



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

## الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحري دراسة نحوية دلالية

إعداد

مازن أحمد محمد حامد

إشراف

أ. د. أحمد حامد

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها،  
من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

## الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحتري دراسة نحوية دلالية

إعداد

مازن أحمد محمد حامد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2024/03/31م، وأجيزت:

 التوقيع	أ. د. أحمد حامد
 التوقيع	المشرف الرئيسي
 التوقيع	أ. د. يونس عمرو
 التوقيع	الممتحن الخارجي
	أ. د. وائل أبو صالح
	الممتحن الداخلي
	أ. د. مهدي عرار
	الممتحن الداخلي



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

## الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحري دراسة نحوية دلالية

إعداد

مازن أحمد محمد حامد

إشراف

أ. د. أحمد حامد

بناء على تعليمات منح درجة الدكتوراة الصادرة عن مجلس عمداء جامعة النجاح فقد تم نشر البحث

المستل التالي من الأطروحة:

حامد، مازن؛ حامد، أحمد (2024). الروابط اللفظية في الجملة الاسمية، وأثرها في توجيه مسارات

الدلالة في شعر الوصف عند البحري. المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد

السادس، العدد الأول.

## الإهداء

إلى الذين خَصَّهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:24]

والديَّ الْعَزِيزَيْنِ

إلى مَنْ وَقَفَتْ إِيَّايَ جَانِبِي، وَدَعَمْتَنِي دَعْمًا مَادِيًا وَمَعْنَوِيًّا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ.

إلى فِلْدَةِ كَبْدِي وَقِرَّةِ عَيْنِي

ابني يامن

إلى إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي

إِلَى كُلِّ الْغَيْرِ عَلَى لُغَةِ الضَّادِ

إِلَى كُلِّ مَنْ لَهُ مَكَانَةٌ فِي قَلْبِي

إِلَيْهِمْ جَمِيعًا أُهْدِي هَذَا الْعَمَلَ

## الشكر والتقدير

أجدُّ أنه واجبٌ أن أُقدِّمَ الشُّكْرَ لِذَوِي الفضلِ عليّ، فأبدأُ بوالدي العزيزين اللذين لولاهما لم أكنُ قادراً على الوصولِ إلى ما أنا عليه، فقد كان لهما دورٌ كبيرٌ في الدعمِ الماديِّ والمعنويِّ، فكانَ لتشجيعهما، ونصحهما أثراً بالغاً في منحي الثقة؛ لأخوضَ غمارَ الجدِّ والمثابرةِ.

ولا أنسى تقديم شكري، وعظيم امتناني إلى شيخي، وأستاذي الأستاذ الدكتور أحمد حسن حامد لما بذَّله من جهودٍ حثيثةٍ؛ إذ لم يبخل عليّ في توجيهي منذ بدء الدراسة حتَّى نهايتها، فأدعو الله أن يمدَّه بموفورِ الصحة، وتمامِ العافية.

كما أزجي أجملَ باقةِ شكرٍ إلى من تتلمذتُ على يديهم في جامعةِ النجاح من الأساتذة الأفاضلِ، ولا أنسى فضلَ جامعتي الحبيبةِ جامعةِ النجاح الوطنية التي أفخرُ، وأعتزُّ بالالتحاق بها. والشكرُ كلُّ الشكرِ للأساتذة الأكارم الذين قبلوا مناقشةَ هذه الرسالة.

## الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الأطروحة التي تحمل عنوان:

### الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحتري: دراسة نحوية دلالية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الأطروحة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه  
حيثما ورد، وأن هذه الأطروحة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب  
علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: مازنا الخريجي عامر

التوقيع: 

التاريخ: ٣١/٣/٢٠٢٤

## فهرس المحتويات

الإهداء.....	د
الشكر والتقدير.....	هـ
الإقرار.....	و
فهرس المحتويات.....	ز
فهرس الملاحق.....	ي
الملخص.....	ك
المقدمة.....	1
أهمية الدراسة.....	2
أهداف الدراسة.....	2
مشكلة الدراسة.....	3
الدراسات السابقة.....	3
منهج الدراسة.....	4
مخطط الدراسة.....	4
فصل تمهيدي.....	6
أولاً: نبذة من حياة البحري.....	6
ثانياً: ديوانه، وشعره.....	7
ثالثاً: الجملة الاسمية مفومها، وحدودها.....	9
<b>الفصل الأول: الجملة الاسمية المطلقة ودلالاتها في شعر الوصف عند البحري.....</b>	<b>14</b>
المبحث الأول: المبتدأ، والخبر من جهة التعريف، والتتكير، وأثرهما في الدلالة في شعر الوصف...15	15
أولاً: المبتدأ المعرفة.....	15
ثانياً: المبتدأ النكرة.....	24
ثالثاً: الخبر المعرفة.....	25
رابعاً: الخبر النكرة.....	28

32.....	المبحث الثاني: أنماط الجملة الاسمية المطلقة البسيطة، ودلالاتها التركيبية.....
38.....	المبحث الثالث: الخبر أنواعه، وتعدد، وأثرهما في توجيه دلالات شعر الوصف .....
38.....	أولاً: أنواع الخبر .....
47.....	ثانياً: تعدد الخبر .....
52.....	المبحث الرابع: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المطلقة.....
61.....	المبحث الخامس: الحذف في الجملة الاسمية المطلقة، وأثره في الدلالة في شعر الوصف .....
61.....	أولاً: أهمية الحذف في الجملة الاسمية .....
63.....	ثانياً: مواضع الحذف في شعر البحري، وأثره في الدلالة في شعر الوصف.....
73.....	<b>الفصل الثاني: الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الحرفية والفعلية في شعر الوصف عند البحري ..</b>
74.....	المبحث الأول: الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الفعلية والحرفية، مفهومها، ومعانيها، ودلالاتها.....
74.....	أولاً: مفهوم النواسخ .....
76.....	ثانياً: النواسخ، دلالاتها، ومعانيها، وأحكامها .....
83.....	المبحث الثاني: الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الفعلية والحرفية، أنماطها، وأحكامها النحوية في شعر الوصف .....
83.....	أولاً: النواسخ الفعلية الأنماط، والأحكام .....
93.....	ثانياً: النواسخ الحرفية: أنماطها، وأحكامها النحوية.....
103.....	المبحث الثالث: أثر الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ في الدلالة في شعر الوصف .....
103.....	أولاً: الأثر الدلالي للفيد الفعلي .....
116.....	ثانياً: الأثر الدلالي للفيد الحرفي.....
133.....	<b>الفصل الثالث: الروابط اللفظية في الجملة الاسمية، وأثرها في توجيه مسارات الدلالة في شعر الوصف عند البحري .....</b>
134.....	المبحث الأول: الربط مفهومه، وأهميته، وأنواعه .....
134.....	أولاً: مفهوم الربط .....
136.....	ثانياً: أثر الروابط في تحقيق الدلالة .....
137.....	ثالثاً: أنواع الروابط اللفظية للجملة الاسمية.....

المبحث الثاني: الروابط اللفظية في شعر الوصف عند البحتري مواضعها، وأحكامها .....	141
أولاً: الربط بالضمير .....	141
ثانياً: الربط بالأدوات .....	148
المبحث الثالث: الأثر الدلالي لروابط الجملة الاسمية في توجيه الدلالة في شعر الوصف عند البحتري .....	153
أولاً: الأثر الدلالي للربط بالضمير في شعر الوصف .....	153
ثانياً: الأثر الدلالي للربط بالأدوات في شعر الوصف: .....	165
الخاتمة .....	170
المراجع العلمية .....	172
الملاحق .....	180
<b>b</b> .....	<b>Abstract</b>

## فهرس الملاحق

ملحق (أ): شهادة قبول نشر البحث المسئل من الاطروحة..... 180

## الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحتري: دراسة نحوية دلالية

إعداد

مازن أحمد محمد حامد

إشراف

أ. د. أحمد حامد

### الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح بناء الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحتري من خلال التمثيل للقواعد المعيارية التي صاغها النحاة الأول بما يوافق هذه المعايير من شعر الوصف عند البحتري؛ لمعرفة واقع النص الشعري عنده، وإلى أي مدى كان مطابقاً للقواعد التي صاغها النحاة. وكشفت عن الجانب الدلالي الذي أدت إليه الجملة الاسمية في شعر الوصف عنده؛ إذ يسهم البناء اللغوي في الجملة الاسمية، وما يتعلق بها من تغيرات كالحذف، والتقديم والتأخير، ودخول النواسخ عليها في توجيه الدلالات، وتوسيع المعاني، وتحقيق الفهم والإفهام.

وعطفاً على ما سبق، فإنّ الدراسة اشتملت على مقدمة عرضت فيها أهمية الرسالة ومشكلتها، والمخطط الذي سارت عليه، والمنهج الذي اتبعته لإنجاز هذه الدراسة، ثمّ على فصل تمهيدي جاء فيه عرضٌ نبذةً من حياة البحتري، وشعره وديوانه وأهميتهما، وعرضٌ تناولت فيه الجملة الاسمية مفهومها ومحدداتها، ثمّ على ثلاثة فصول بينت في الأول أثر الجملة الاسمية المطلقة في إبراز الجانب الدلالي والجمالي في شعر الوصف، وفي الثاني وقفت على الجملة الاسمية المقيدة وأثر القيود الفعلية والحرفية في تحقيق مسار دلاليّ جديد لا يتأتّى إلّا بهذا القيد، وفي الثالث بيّنت أهمية الروابط اللفظية في الجملة الاسمية في توجيه مسارات الدلالة، وأثرها في تحقيق الفهم والإفهام، وفي نهاية الدراسة وضعت خاتمة عرضت فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها.

**الكلمات المفتاحية:** البحتري، وصف، الجملة الاسمية، نحو، دلالة، مطلقة، مقيدة، روابط لفظية.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الصادق الوعد الأمين، وبعد.

لعلنا لا نجاوز حد الحقيقة أو نفارق حرفها إذا قلنا إن الشعر ديوان العرب، إليه لجأ المتقدمون وإليه يلجأ المتأخرون لضبط قواعدهم، وإليه يلجأ البلاغيون لاقتفاء صورهم البلاغية، وقد لا نجاوز حد الحقيقة أيضا إذا قلنا إن اللغة المستخدمة في الشعر تفصح عن الجانب الدلالي فيه، ولعلها أيضا تسهم في تحديد الغرض الشعري إلى جانب السياق الذي يسهم في تحديد الدلالة.

وهذا البحثي إمامٌ من أئمة الشعر في عصره، ولربما في عصر غيره من المتقدمين والمتأخرين، تربّع على عرش الوصف؛ إذ امتلك ناصية المذهب الوصفي - إن صح التعبير - فعمدت إلى شعره، معتكفا على دراسة الجملة الاسمية فيه دراسة نحوية غير مفصومة العرى عن بلاغته النحوية، وصوره الشعرية، وأفانينه اللغوية، مستكشفاً نهجه في استخدام معيار اللغة النحوي، ومدى قدرته على إبراز حسن الوصف، وجمال الصورة من خلال محدد هذه الدراسة (الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحثي).

وكان مما حدا بي لجعل حقل هذه الدراسة مرتكزا على شعر البحثي ما غلب على ظني وحدّ علمي من القراءة والاستطلاع أنّ هذا الجانب المحدد لم يلق اهتماما كبيرا من الدارسين لدراسته من الجوانب النحوية، فقد كانت أغلب الدراسات حوله أدبية تهتم بإبراز الصورة والرمز، والظواهر الاجتماعية. وغير ذلك من القضايا الأدبية.

وجاء البحث مركزا على الجوانب التطبيقية؛ إذ اكتفى الباحث ببيان حدود الدراسة النظرية من خلال الحديث عن الجملة الاسمية مفهومها، وحدودها، وموجهاها، ممهدا لما يخدم الجانب التطبيقي دون إسهاب في الحديث عن كل ما يتعلق بها، فكان البحث يدرس القضية، في شعر البحثي مشفوعا بآراء

النحاة في كل قضية، أو شاهد. واعتمدت في دراستي على نسخة الديوان التي قام بتحقيقها حسن الصيرفي؛ لأنه قام بتبويبه، ووضع مناسبة القصائد، ووضَّح ما أشكل من الألفاظ.

وبعد فأرجو الله أن يكون هذا العمل نافعا، ويعمل على تقريب المعاني الدلالية، ويبرز جماليات شعر البحتري. وهنا أود الإشارة إلى أن الدراسة كانت من جانب لغوي لا من جانب بلاغي. وإن كانت تعتمد إلى إبراز الجوانب الدلالية والجمالية، وهذه رؤية يطمح الباحث إلى الوصول إليها، وأودُ التنويه أيضا على قضية تتعلق بشعر الوصف عند البحتري، فمعلوم أن الشاعر في المدح كان يصف، وفي الغزل كان يصف، وفي الرثاء كان يصف.

### أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تدرس تركيب الجملة الاسمية في ديوان البحتري؛ ذلك لأنَّ الجملة من العناصر المهمة التي تكوّن النص. ثمَّ إنَّها تأتي من محاولة دراسة النحو بطريقه تبعده عن الجمود؛ وذلك بعرض الآراء النحوية، وتطبيقها على نماذج من شعر الوصف، والاستشهاد للقواعد النحوية من غرض الوصف. كما أنَّها تهدف إلى التعرف إلى لغة البحتري، من خلال دراسة الجمل الاسمية في شعر الوصف عنده دراسة نحوية دلالية، وتحليلها؛ لإبراز جمالياتها. إضافة إلى ذلك كلّه، فإنَّ هذا البحث لم يُطرق في دراسة لغوية خاصة على حدِّ علم الباحث. خلا دراستين: واحدة منهما كانت أقرب إلى اللسانيات، بعنوان: "نظام الربط والارتباط في شعر البحتري" للباحث: أشرف محمد، والثانية تدرس الجملة الخبرية في شعر البحتري من منظور نظرية تشومسكي في النحو التوليدي.

### أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة القواعد النحوية دراسة تبعدها عن الجمود من خلال ربطها بالنصوص الأدبية، ودراستها دراسة تطبيقية؛ لتقريب الفهم والإفهام، وتتعلق من عدِّ الجملة النسيج المكون للنص، ولا يمكن الاستغناء عن دراستها؛ لأنها هي التي تكوّن النص؛ لذا من اللازم معرفة كيفية بناء هذه

الجمل، وكيفية ربط عناصرها بعضها ببعض. والعمل على استشراف الأثر الدلالي والجمالي الذي تحققه الجملة الاسمية، وروابطها اللفظية.

### مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في كيفية التوجيه النحوي للجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحتري؛ لأبراز الجانب الدلالي والجمالي في شعره، وتبين إلى أي مدى كانت لغة البحتري موافقة لقواعد الجملة المعيارية.

1. أيُّ أنماط الجملة الاسمية كُثِرَ دورانه في شعر الوصف عند البحتري، وما دلالة ذلك؟
2. كيف أدَّت بعض الظواهر النحوية في الجملة الاسمية إلى تغيير مسار الدلالة؟
3. ما أثر النواسخ الفعلية، أو الحرفية على توجيه الدلالات؟
4. كيف يؤدي التعالق بين الجمل بالروابط اللفظية إلى استمرارية النص، وتماسكه، وتمكين المتلقي من فهمه؟
5. ما أثر الروابط اللفظية على تقريب فهم المعاني الدلالية؟

### الدراسات السابقة

لم يقف الباحث -على حدِّ علمه، وما أتيح له من إمكانات- على دراسة تتناول الجملة الاسمية في شعر الوصف عند البحتري دراسة نحوية دلالية؛ إلا أنَّ الباحثين قد سلطوا الضوء نحو شعره؛ لأنَّ فيه مادة ثرية سواء من الناحية الأدبية، أم اللغوية، وكان من هذه الدراسات على سبيل الأمثلة لا الحصر:

أ. دراسة محمد (2008): نظام الارتباط والربط في شعر البحتري، الهدف من هذا البحث هو الإجابة عن سؤال محوري، وهو هل اللغة التي انطلق منها البحتري تقع ضمن نظام اللغة ذاته، وعمل الباحث فيها أيضاً على تفسير طريقة الارتباط والترابط بطريقة تحليلية، وكانت هذه الدراسة مختلفة عن دراستي؛ إذ إنَّها تبحث في نظام الربط عند البحتري، دون إبراز الجانب الدلالي.

- ب. دراسة العقل (1974): البحتري، وشعره في الوصف، للباحث عبد الله بن سليمان العقل. وهذه الدراسة مختلفة تمام الاختلاف عن دراستي، لأنها تعمل على حصر الأبيات المخصصة في الوصف، وتعمل على شرحها شرحاً أدبياً.
- ج. دراسة عثمان (2006): بناء الجملة الخبرية في شعر البحتري (دراسة وصفية توليدية تحليلية). وهذه الدراسة تعمل على دراسة الجملة الخبرية في شعر البحتري، من منظور نظرية تشومسكي.
- د. إضافة إلى بعض الدراسات البحثية التي تتناول شعر البحتري من زوايا مختلفة، كدراسة الإيقاع في شعر البحتري، وأثره في تحقيق الدلالة.

### منهج الدراسة

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ هو الأنسب لتحقيق هذه الدراسة؛ فقد عمدت إلى استقراء قصائد الوصف عند البحتري، وتوجيه الجملة الاسمية نحويًا ودلاليًا، وعملت على إبراز دور الجملة الاسمية في تحقيق الدلالة.

### مخطط الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، وقد جاءت الدراسة مقسمة على النحو الآتي:

**المقدمة:** وضعت فيها أهمية الدراسة، وأهدافها، ومشكلتها، والدراسات السابقة التي تناولت شعر البحتري، وعرضت فيها مخطط الدراسة، وقد اشتمل على:

**الفصل التمهيدي:** تناولت فيه نبذة من حياة البحتري، وديوانه وشعره، وأهميتهما، ثم تناولت فيه الجملة مفهومها ومحدداتها.

**الفصل الأول:** الجملة الاسمية المطلقة في شعر الوصف عند البحتري.

**الفصل الثاني:** الجملة الاسمية المقيدة في شعر الوصف عند البحتري.

**الفصل الثالث:** الروابط اللفظية في الجملة الاسمية، وأثرها في توجيه مسارات الدلالة في شعر الوصف

عند البحتري.

**الخاتمة:** بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

## فصل تمهيدي

### أولاً: نبذة من حياة البحتري

اسمه: هو" الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره سلاسل الذهب" (الزركلي، 2002، صفحة 121)، ويكنى أبا عبادة" (ابن المعتز، د.ت، صفحة 393). وهو من أهل البصرة (كحالة، د.ت، صفحة 170)، وظلَّ يُكنى بأبي عبيدة، وأبي عبادة، وأبي الحسن إلى أن طلب المتوكل له أن يكنى بواحدة، هي أبو عبادة، فبقيت هذه الكنية مرافقة له في حياته، وفي مماته (الدينوري، د.ت، صفحة 689).

مولده: اختلف المؤرخون في تحديد المكان الذي ولد فيه، فُيرجَّح بعضهم أنه وُلِدَ في منبج<sup>1</sup>، ويُرجَّح آخرون أنه ولد في زردفنة، وهي قرية من قرأها، ونشأ وتخرج في منبج إلى أن خرج إلى العراق، فمدح الخلفاء، فكان أولهم المتوكل على الله، ومدح أناسا من الأكابر، ثم أقام في بغداد مدة من الزمن إلى أن رجع به المطاف إلى الشام (ابن خلكان، 1900، صفحة 21)، ولعلَّ الراجح في شأن مولده أنه ولد في منبج" (بروكلمان، د.ت، صفحة 447) في سنة "206هـ" (كحالة، د.ت، صفحة 170).

حياته: عاش البحتري، أكثر حياته في بغداد قبل أن يعود إلى الشام، "قال صالح بن الأصبغ: رأيتُ النَّحْوِيَّ هَا هُنَا عِنْدَنَا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِرَاقِ يَجْتَازُ بِنَا فِي الْجَامِعِ مِنْ هَذَا الْبَابِ يَمْدَحُ أَصْحَابَ الْبَصْلِ وَالْبَاذَنْجَانَ، وَيَنْشِدُنَا فِي ذَهَابِهِ وَمَجِيئِهِ" (الصفدي، 2000، صفحة 271)، ويذكر عنه أنه كان معتزليا في أيام الواثق، سنيا في أيام المتوكل، شيعيا في أيام المنتصر" (الدينوري، د.ت، صفحة 699).

---

<sup>1</sup> منبج مدينة في شمال شرق محافظة حلب في شمال سوريا.

وفاته: يرى شمس الدين الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء أنَّ البحتري توفي في منبج سنة ثلاث، أو أربع وثمانين ومائتين (الذهبي، 1985، صفحة 487)، ويُرجح أن يكون عمره لما توفي ثمانين سنة، وقيل ربّما يزيد قليلا (الصفدي، 2000، صفحة 271).

### ثانيا: ديوانه، وشعره

يرى الأمدي في كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري أنَّ شعر الوليد بن عبيد البحتري صحيح السبك، حسن الديباجة، وليس فيه سفساف ولا ردي، ولا مطروح، ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضاً. (الأمدي، د.ت، صفحة 3)، ومما يظهر في شعره أنَّه التزم عمود الشعر، فكان من الشعراء المحافظين على القديم، ولا غرابة في ذلك؛ فهو أعرابي الشعر، مطبوغ، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد، ومستكره الألفاظ، ووحشي الكلام (الأمدي، د.ت، صفحة 4).

له أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها، وكان يتغزل بها، وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد، ومحمد بن خلف بن المرزبان، والقاضي أبو عبد الله المحاملي، ومحمد بن أحمد الحكيمي، وأبو بكر الصولي وغيرهم.

أمّا ديوانه، فقد حاز على طبقات متعددة، أشهرها النسخة التي حققها حسن كامل الصيرفي، وهذه النسخة يبلغ عدد قصائدها 933 قصيدة، ومقطوعة، تضم 15950 بيتا؛ أي زيادة 372، ومقطوعة على طبعة الجوائب، و372 عن طبعة بيروت، و323 عن طبعة مصر (البحتري، د.ت، صفحة 32)، وقد اخترت هذه النسخة محور دراستي؛ لأنَّ الصيرفي قام بتبويب الشعر حسب أغراضه، وعلّق على هذه الأشعار، ووضع مناسبة القصائد، فكان يسيرا عليّ اقتباس أشعار الوصف، ولأنَّ الصيرفي أيضا لم يغفل عن توضيح المبهمات من الكلمات.

أكثرَ البحتري في أشعاره من وصف الطبيعة والقصور والحدائق المحيطة بها؛ إذ عمل على " وصف القصور وصفا جميلا بارعا، ووصف ما يحيط بالقصور من حدائق، وبرك، وجداول، وقصور" (الشكعة ، 1986، صفحة 720). فكان يحول الأشياء الجامدة إلى مشاهد نابضة بالحركة.

وتأتي أهمية الديوان من كونه يمثل خريطة تعطي ملامح عن شكل المدينة العباسية التي وصفها في شعره بكلِّ جمالياتها وتفصيلها، فأنت تستطيع أن ترى صورة دقيقة للأشياء التي كان يصفها. ويوجد في الديوان مظاهر من الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تبرزها المشاهد الوصفية، كإظهار اهتمام الخلفاء العباسيين في العمران.

ومن المؤكد أنَّ شعر البحتري لا يقع ضمن الإطارات التي حددها النحويون في الاستشهاد بالشعر، ورغم ذلك كان الشاعر محافظا على اللغة ومستوى فصاحتها، وربَّما يعود ذلك؛ لأنَّه لم يكن بعيدا عن عصر الفصاحة؛ إذ كانت ولادته في بدايات القرن الثالث الهجري. لكنَّه عدَّ من الشعراء المولدين بسبب حضريته، فلا يُحتج بشعره لفظا فقط، وهذا لا ينفي التزامه بقواعد اللغة. وحكى ذلك عنه الأصفهاني حينما قال: "إنَّه" شاعر فاضل فصيح المذهب، نقي الكلام مطبوع... له تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء" (الأصفهاني، 1993، صفحة 167).

ويرى الباحث أنَّ البحتري نصَّب نفسه وصافا للقصور العباسية؛ لإظهار مظاهر الحضارة جميعها من خلال وصفه لها، وهذا كلُّه جاء على سبيل مدح خلفاء الدولة العباسية؛ لإبراز مكانتهم، ودورهم في الرقي بدولتهم، ويظهر ذلك جليا من خلال وصف القصور والبرك التي أنشأها الخلفاء العباسيون، وخير دليل على ما ذهبنا إليه أنَّ البحتري كان في أكثر مواطن الوصف يهدف إلى مدح الخليفة؛ لإثبات أنَّ هذا التطور الواسع في العمران ناجمٌ عن اهتمام الخلفاء، وإبداعهم في بنائها.

ثالثاً: الجملة الاسمية مفهومها، وحدودها

أ. مفهوم الجملة لغة، واصطلاحاً

### 1. لغة

تتبئ المعاني اللغوية عن أنّ مفهوم الجملة، يشير إلى ضم الشيء إلى الشيء، وجعله مرتبطاً، وهذا يتفق وآلية التركيب الإسنادي في ركني الجملتين: الاسمية، والفعلية الذي يعني فيهما التركيب، والضم، والتلازم بين المسند، والمسند إليه، ففي الجملة الفعلية يتم الإسناد بين الفعل والفاعل، وفي الجملة الاسمية بين المبتدأ والخبر، وبهذا التلازم، أو الإسناد تحصل الفائدة الكلامية.

### 2. اصطلاحاً

عند القدماء والمتأخرين

كان سيبويه قد حصر مفهوم الجملة بالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، بقوله: "وهما ما لا يغنى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدأً. فمن ذلك الاسم المبتدأ، والمبنى عليه. وهو قولك عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك" (سيبويه، 1988، صفحة 23). في حين قدّم المبرّد تعريفاً للجملة في باب الفاعل؛ إذ يقول: "وإنما كان الفاعل رفعا؛ لأنه هوَ والفعل جملةٌ يحسن عليهما السكوت، وتجب بهما الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة البتداء، والخبر إذا قلت: قام زيد، فهو بمنزلة قولك القائم زيد" (المبرّد، د.ت، صفحة 8).

أمّا ابن جني فيرى: أنّ الكلام "كلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه، مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء وعاء في الأصوات، وحس، ولب، وأف، وأوه، فكلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه، فهو كلام" (ابن جني، د.ت، صفحة 18)، ويرى أيضاً أنّ الجملة "كلُّ كلامٍ مفيدٍ مُستقلٍّ بنفسه، وهي على ضربين جملة مركبة من مُبتدأٍ وخبر، وجملة مركبة من فعل وفاعل" (ابن جني، د.ت، صفحة 27).

ووضع ابن الخشاب شرطا أساسيا لتحقيق الجملة، فيقول: "والجملة كلُّ لفظ أفاد السامع فائدةً يحسنُ سكوت المتكلم عندها؛ وإن شئت قلت: كلُّ لفظ يدلُّ جزؤه على الجزء من معناه مع إفادته فائدةً حسنة يحسن الاقتصار عليها؛ وقد بين في أول هذا التعليق الائتلاف، وما يفيد منه، وما لا يفيد" (ابن الخشاب، 1972، صفحة 340).

أمَّا ابن هشام فيذهب إلى أنَّ الجملة أخص من الكلام، وليست مرادفا له، "فالكلامُ هوَ القولُ المُفيدُ بالقصدِ، والمرادُ بالفيد ما دلَّ على معنى يحسن السكوتَ عليه، والجملةُ عبارةٌ عن الفعل، وفاعله ك قام زيد، والمبتدأ وخبره ك زيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو ضرب اللص، وأقائم الزيدان، وكان زيد قائما، وظننته قائما" (ابن هشام ، 1985، صفحة 490).

ووافق السيوطي في كتابه همع الهوامع قول سيبويه "والجملة قيل ترادف الكلام، والأصح أعم لعدم شرط الإفادة، فإن صدرت باسم، فاسمية، أو فعل ففعلية، أو ظرف، أو مجرور فظرفية" (السيوطي، د.ت، صفحة 55).

ومن حيث الفائدة فإنَّ الجملة لا يشترط أن تتحقق فيها، وذلك بخلاف الكلام، الذي يشترط فيه تحقق الفائدة؛ لذلك تقول: "جملة الشرط جملة الجواب جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام" (السيوطي، د.ت، صفحة 490).

### عند المحدثين

اهتم المحدثون بدراسة الجملة، وعدوها الخلية الأساسية التي تتبني عليها اللغة، وهي التي تبرزها إلى حيز الوجود، فلا لغة بدون جملة؛ إذ هي القلب النابض لجسم اللغة وكيانها. ونظروا إلى الجملة بأنها قد تكون غير مفيدة، في حين نظروا إلى الكلام بأنه محكوم بالفائدة، فلا يكفي في الكلام الإسناد، (عبد الغني، 2008، صفحة 18) بل ينبغي أن يحقق فائدة دلالية. وتجدر الإشارة إلى أنَّ النحاة حصروا الجملة في نوعين، هما: الجملة الفعلية، والجملة الاسمية، والفعلية ما اشتملت على فعل وفاعل، أمَّا

الاسمية، فهي التي يكون صدرها اسما، وبعدها خبر تعمُّ به الفائدة عن الاسم الأول (الأنباري، 2015، صفحة 318).

ويقرر ابراهيم أنيس أنَّ الجملة والكلام مرتبطان؛ إذ "إنَّ الجملة في أقصر صورها، أو أطولها تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم، أو الكاتب، أو الشاعر يرتب بينها وينظم، ويستخرج لنا من النظام كلاما مفهوما نطمئن إليه، ولا نرى فيه خروجا عما ألفنا في تجارب سابقة" (أنيس، 1966، صفحة 262).

ويقدم مصطفى حميدة تعريفا للجملة قائما على علاقة الربط والارتباط بين ركنيها، فيدعو إلى "النظر إلى الجملة على أنها كيان مستقل بنفسه يمثل وحدة تامة نحوية" (حميدة، 1997، صفحة 147) تعطي دلالة مستقلة من خلال ربط عنصري الإسناد بطريقة منطقية.

وخلاصة قول المحدثين في الجملة أنها المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل. (حماسة، 2003، صفحة 37) والمقصود بذلك الجملتان الاسمية والفعلية، وعندهم أنه لا بد للجملة "أن تفيده معنى ما، وإلا كانت عبثا، فلو رتبت كلمات ليس بينها ترابط يؤدي إلى إفادة معنى لم يكن ذلك إلا كلاما عبثيا" (السامرائي، 2000، صفحة 7).

ويتفق مهدي المخزومي مع الذين ذهبوا إلى شرط تحقق الفائدة في الجملة، فالجملة عنده، هي الصورة الصغرى للكلام في أية لغة من لغات العالم، وهي الصورة التي من خلالها يبين المتكلم أن معنى مفيدا قد اكتمل في ذهنه، ويريد أن ينقلها إلى ذهن السامع. (المخزومي، 1986، صفحة 31)

## ب. الجملة الاسمية

كان النحاة يكتفون بالتمثيل للأبواب النحوية دون الاهتمام بوضع تعريف جامع مانع للمصطلحات، ورغم ذلك، فقد ألفت بعض الأشياء التي ركزوا عليها، فيرى المبرد من خلال فصله بين ركني الجملة

الاسمية، فيقول: "فالإبتداء نحو قولك: زيد فإذا ذكرته، فإنما تذكره للسامع؛ ليتوقع ما تخبره به عنه، فإذا قلت منطلق، أو ما أشبهه صح معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر؛ لأنه قد كان يعرف زيدا كما تعرفه، ولولا ذلك لم نقل له زيد." (المبرد، د.ت، صفحة 126) وبهذا التحديد يتضح أن المبرد يرى أن الخبر مجهول، ولكن المبتدأ معلوم، فالمستمع يعلم المبتدأ، ولكنه جهل الخبر عنه، لذلك لما يُذكر المبتدأ ينتظر المخاطب سماع خبر عنه، وبهذا تكتمل الجملة الاسمية، وتحصل الفائدة، فالجملة الاسمية عنده هي ما تكون من مبتدأ محكوم عليه، وهو معلوم للمتلقي، وخبر محكوم به، وهو مجهول للمتلقي.

أمّا ابن السراج فيشير إلى فكرة التلازم بين ركني الجملة الاسمية، ويرى أنها تتكون من ركنين أساسين: "لا يستغني واحد منهما عن صاحبه، وهما مرفوعان أبداً، فالمبتدأ رفع بالإبتداء، والخبر رفع بهما، نحو قولك: الله ربنا، ومحمد نبينا، والمبتدأ لا يكون كلاماً تاماً إلا بخبره، وهو معرض لما يعمل في الأسماء نحو: كان وأخواتها، وما أشبه ذلك من العوامل، تقول: عمرو أخونا، وإن زيدا أخونا" (ابن السراج، د.ت، صفحة 58).

ويرى ابن هشام أن "الجملة الاسمية هي التي صدرها اسم كزيد قائم، وهيئات العقيق، وقائم الزيدان عند من جوزه، وهو الأَخْفَش والكوفيون" (ابن هشام، 1985، صفحة 492). ويرى أيضاً من خلال حديثه عن صدر الجملة؛ إذ يقول: "مرادنا بصدر الجملة المسند، أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو أقائم الزيدان، وأزيد أخوك، ولعل أباك منطلق، وما زيد قائم اسمية، ومن نحو أقام زيد، وإن قام زيد، وقد قام زيد وهلا قمت فعلية" (ابن هشام، 1985، صفحة 492). ومن خلال تحديد الجملة الاسمية من منظور ابن هشام يتبين أن الجملة الاسمية تتحدد اسميتها بناء على صدرها.

ويلخص علي أبو المكارم كلام النحويين القدماء حول مفهوم الجملة الاسمية في أنه تركيب يتصدره الاسم مع وقوعه ركناً إسنادياً فيها، ومقتضى هذا التصور الذي يشيع بين النحاة أنه لا عبرة في التصدر

بالعناصر غير الإسنادية التي تقع ركنا من أركان الجملة سواء أكانت أسماء، أم أفعالا، أم حروفا". (أبو المكارم، 2007، صفحة 17).

وخلاصة قول الباحث في الجملة الاسمية من خلال استقراء كلام النحاة بأنّها تتكون من مبتدأ وخبر، أو مبتدأ، ومرفوع سد مسد الخبر، وبذلك فالجملة الاسمية إطار يضم بداخله أنماطا متنوعة الصياغة والمكونات (أبو المكارم، 2007، صفحة 18)؛ أي مسند إليه ومسند، والمسند إليه، هو المحكوم عليه، أمّا المسند، فهو الذي تكمن الفائدة فيه.

وقد حدد النحاة الجملة الاسمية بنوعين من حيث التقييد والإطلاق، فالجملة المحكومة بالأدوات تكون مقيدة، أمّا الجملة التي لا يدخل عليها أدوات فتكون مطلقة. والجملة المقيدة تدلُّ على أنّ ثمة قيودا قد أحدث تأثيرا لفظيا، ومعنويا في العلاقة الإسنادية، فليس النسخ في جوهره سوى تعبير بالتحديد؛ أي التقييد لبعض العلاقات، والروابط القائمة بين أطرافها" (أبو المكارم، 2007، صفحة 21).

أمّا دلالتها، فنكمن في أنّها تدلُّ على الثبوت بخلاف الجملة الفعلية التي تدلُّ على التجدد في الحدث، وتبقى الجملة الاسمية في حالة ثبوت إلا إذا كان الخبر فيها جملة فعلية، فإنّها تدلُّ على التجدد والاستمرار في الحدث.

ويقسم النحويون الجملة الاسمية باعتبار العوامل الداخلة عليها إلى قسمين: "جملة اسمية غير منسوخة، وأخرى داخلها النسخ" (أبو المكارم، 2007، صفحة 21)، وبناء على هذا التقسيم سيتناول الباحث فصول الجانب التطبيقي.

## الفصل الأول

### الجملة الاسمية المطلقة ودلالاتها في شعر الوصف عند البحتري

الجملة الاسمية المطلقة هي التي تعتمد في تركيبها على عنصرَي الإسناد؛ أي المسند إليه والمسند، وتكتفي بهما، وتُسمَّى الجملة المجردة، ويعني ذلك أنَّها مجردة من الزيادات جميعها سواء أكانت حرفية، أم فعلية، وسميت بالمطلقة أيضا؛ لأنها تؤدي وظيفتها الدلالية دون دخول نواسخ عليها؛ إذ النواسخ تدخل عليها، فتصبح مقيدة، أو منسوخة، فلا تؤدي وظيفتها إلَّا بهذا القيد. وقد بلغ عدد الجمل الاسمية المطلقة (130) جملة من مجموع الأبيات الحائزة على جمل اسمية في الشعر المخصص للوصف.

## المبحث الأول

المبتدأ، والخبر من جهة التعريف، والتكثير، وأثرهما في الدلالة في شعر الوصف

أولاً: المبتدأ المعرفة

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، وقد يأتي نكرة بشرط حصول الفائدة، فمعلوم أن المعارف في العربية خمسة، وهي: الاسم المكنى، والاسم المبهم، كالأسماء الموصولة، والعلم، والاسم المعروف بآل، وما أضيف إليهن (ابن السراج، د.ت، صفحة 149). والمعرفة هي ما وضعه العرب؛ ليدلوا به على شيء بعينه دون سائر الأشياء الأخرى، فقولنا: هذا جميل، فاسم الإشارة (هذا) استعمل للدلالة على شيء معرف من خلال الإشارة إليه.

وقد جاء المبتدأ معرفاً في شعر الوصف عند الباحثين في مواضع متعددة، وبناء على تواترها، قمت بتقسيمها:

### أ. التعريف باسم الإشارة

يندرج اسم الإشارة في خانة الأسماء المعرفة، وهو "ما وضع لمشار إليه" (الأشموني، 1998، صفحة 119)، ويُعرفه عباس حسن بأنه "اسم يعين مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه؛ كأن ترى عصفوراً، فقول، وأنت تشير إليه: (ذا) رشيق؛ فكلمة: (ذا) تتضمن أمرين معاً، هما: المعنى المراد منها؛ أي: المدلول، وهو: جسم العصفور، والإشارة إلى ذلك الجسم في الوقت نفسه" (حسن، د.ت، صفحة 321).

والمبتدأ الذي يأتي اسم إشارة يكون حاملاً دلالات موسعة، وغايات بلاغية متعددة، منها: أنه يهدف إلى التنبه على أشياء، وأوصاف وردت سابقاً في النص، فتكون "للتنبه مثلاً - إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور." (القزويني، د.ت، صفحة 20) فيأتي اسم الإشارة في هذه الحالة من أجل تعظيم هذا المذكور، والرفع من شأنه، والإعلاء من قيمته، ويكون أيضاً لأجل تمييز الشيء المقصود تمييزاً كاملاً من خلال الإشارة إليه إشارة محسوسة، أو قد يهدف إلى جعل الأشياء غير المشاهدة منزلة الأشياء المحسوسة،

(السامرائي ، 2000، صفحة 88) فالأشياء التي كان الشاعر يصفها ربما تكون بالنسبة لنا غير محسوسة، لكنها عند الإشارة إليها ستكون بمنزلة الأشياء المحسوسة عن طريق صرف الذهن إليها؛ لاستحضارها في الذهن، وجعلها حية في المخيلة.

وقد جاء المبتدأ معرفاً باسم الإشارة في ثلاثة مواضع من شعر الوصف، ومن ذلك قول البحتري في وصف قصر الدكة، وتعظيمه، والإعلاء من شأنه:

[الخفيف]

ذَاكَ قَصْرٌ مُبَارَكٌ تَقْصِرُ الْأَعْيُنُ دُونَ الرِّفِيعِ مِنْ بُنْيَانِهِ  
(البحتري، د.ت، صفحة 2170)

هكذا أبرز البحتري جمال قصر الدكة؛ وذلك بإعطائه قيمة معنوية عظيمة تجسد عظمة بنيانه وهيئته، فالقيمة التي أعطاها الشاعر للقصر يقصد بها مدح الخليفة الذي بناه، فكأنه يريد أن يقول: إنَّ العَظِيمَ لَا يَبْنِي إِلَّا شَيْئًا عَظِيمًا. وقد أسهم اسم الإشارة بتقديم وصف جميل؛ فالمرء إذ يشير إلى شيء، فهذا يعني أنه موجود سواء أكان وجوده معنويًا، أم حقيقيًا، كما أنَّ اسم الإشارة مبهم، ولا بدَّ من حضور شيء يفسره، فحين يسمع المتلقي اسم الإشارة (ذاك)، فإنه يتشوق لمعرفة هذا الشيء.

إضافة إلى مجيء الخبر نكرة الأمر الذي رفع وتيرة الشوق عنده، وكل ذلك يعيد المتلقي إلى استحضار جمال القصور العباسية، فالقصر مبارك، ويعجز عن بنيانه إلا من كان ذا مكانة عليية، ولعلَّ ما يسعى الشاعر إليه، هو أنه يحاول توجيه الأنظار إلى ما فعله الخليفة العباسي من أجل الرقي بالدولة العباسية عن طريق الإبداع في العمران.

وجاءت الجملة الاسمية مكونة من اسم الإشارة (ذاك)، والخبر نكرة (قصر) المتبوع بوصفين أحدهما مفرد، والثاني جملة، فقوله: (مبارك) صفة للخبر (قصر)، فالشاعر يشير إليه إشارة بأنه قصر، ولكنَّ

الوصف يخبرنا بأنه ليس أي قصر، بل هو مبارك. أمّا الوصف الثاني، وهو الجملة الفعلية (تقصر الأعين)، فقد جاء الوصف جملة فعلية، وفي ذلك تحدٍ بإبداع الخلفاء العباسيين؛ إذ الشاعر يؤكد على استمرارية عجز بناء هذا القصر عند من لم يكن صاحب نظر ثاقب يتطلع إلى الرفعة بالأشياء. ولا يخفى على القارئ أنّ المبهمات تسهم في تحقيق التماسك بين الجمل، فاسم الإشارة ذاك أحال إلى مذكور بعدا، وهو قصر، وقد أسهمت هذه الإحالة في تحقيق التماسك النصي بين أجزاء القصيدة.

وقوله أيضا في وصف قصري المعتمد: (المعشوق، والمشوق)، وإبراز الجمال المتحقق في أحدهما، والثاني لا يقلُّ عنه حسنا، بل ينافسه في اللحاق به:

[السريع]

هَذَا قَدْ بَرَزَ فِي حُسْنِهِ سَبَقًا      وَهَذَا مُسْرِعٌ فِي اللُّحُوقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1468)

يتابع الشاعر وصفه للقصرين: المشوق والمعشوق، فالأول قد أثبت جماله قبلا، وكان فاتحة خير على الدولة العباسية، وهو الأول من حيثُ الزمن، والثاني: وهو المعشوق ينافسه من حيث الجمال، وقد جمع الشاعر في هذا البيت وصفين لقصرين مختلفين، الأول: جماله متحقق، والثاني آخذ بإبراز جماله، وقد أسهم في إبراز هذا الوصف الجملتان الاسميّتان، فقوله: هناك إشارة للبعيد، وهو يقصد القصر المشوق الذي يسبق المعشوق زمانيا.

وجاء الخبر في الجملة الأولى جملة فعلية، فعلها ماضٍ، مسبوقا بقد؛ ليناسب القصد الذي ذهب إليه الشاعر، فهو يؤكد تحقق جمال القصر المشوق، والجملة الثانية خبرها اسم فاعل في قوله: (هذا مسرع في اللحق) يعني في اسم الإشارة (هذا) القرب الزماني؛ أي إنّ هذا القصر الحديث ينافس القصر القديم في جماله، وبهائه. فكأنّ الشاعر هنا يحاول التأكيد على أنّ الإنجازات العظيمة هي بيد الخلفاء العباسيين، فما مضى من بناء قد أثبت حسنه، وما هو لاحق لا يقلُّ عنه حسنا، وربما سيتفوق عليه.

وقد عمل هذا الإبهام في اسمي الإشارة على تحقيق التماسك والترابط النصي؛ لأنَّ اسمي الإشارة في الجملتين يحيلان إلى الأبيات السابقة، وهذا كلُّه يعمل على ربط هذه الجمل بالجمل السابقة ربطاً ذهنياً؛ ذلك لأنَّ المتلقي يحيل نفسه إلى المبهمات من أجل توضيحها.

ومن الملاحظ أيضاً أنَّ تعريف المبتدأ باسم الإشارة يأتي في شعر الوصف لاستحضار الشيء الموصوف استحضاراً ذهنياً لتجمله في مخيلة السامع، والرفع من شأنه، ولا يتمُّ استحضار هذه الأشياء دفعة واحدة، بل يكون شيئاً فشيئاً؛ لأنَّ الذهن يعمل على التفتيش عن كلِّ مبهم، فيكون أكثرَ تعلقاً بنفسه.

#### ب. التعريف بال التعريف

تأتي "ال" بجملتها حرف تعريف كما هو مذهب الخليل، وسيبويه على ما نقله عنه في التسهيل وشرحه، أو اللام فقط" (الصبان، 1997، صفحة 257)، وللاسـم المعرف بال دلالات، يوجهها الشاعر بناء على ما يقتضيه السياق. وقد جاء المبتدأ معرفاً ب (ال) في أحد عشر موضعاً، وسيتم الحديث عن نماذج منها من خلال الوقوف على أنواعها، وأغراضها، وأهم المعاني التي تؤدبها (أل) في شعر الوصف.

الكمال: تدلُّ ال "على الكمال" (السامرائي، 2000، صفحة 109) أي اتصاف الشيء بالكمال، ومن أمثلته في شعر الوصف، قول البحثري عن الموقعة التي وقعت بين الفرس والروم في (540)، وكانت مسجلة على جدران إيوان كسرى: (البحثري، د.ت، صفحة 1156)

[الخفيف]

والمَنَائِمَا مَوَائِلٌ وَأَنُوشِرُ      وَأَن يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرْفَسِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1156)

ففي هذا البيت وصف البحثري الصورة المعلقة على جدران القصر من خلال تركيزه على تصوير المنايا بأعلام شاخصة فوق هذا الجمع الحاشد، في حين يصور أنوشروان يقود هذه الحشود تحت لوائه،

وكلُّ ذلك جاء في سياق حديثه عن الصورة التي شاهدها في الإيوان، وقد أسهمت الجملة الاسمية المبدوءة باسم معرف بـأل (المنايا)، بتعظيم العدد، فأل في كلمة المنايا، هي أل الجنسية، وهنا لا تعني استغراق كامل الجنس، إنّما أفادت التكاثر في جنس المنايا؛ أي الكاملة في وصفها، والكاملة في عددها؛ ليبين القوة في مواجهة الخصوم، وهذه القوة هي التي خلفت الأعداد المهولة من المنايا.

وما قاله البحتري في وصف الشجر المحيط بقصر (الكامل)، وما يقدمه من خير وفير:

[الكامل]

والخيرُ يُجمَعُ والنَّشَاطُ لمَجْبِسٍ      قمن المَحَلِّ مِنَ السَّمَاةِ آهَلِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1649)

يتابع البحتري وصف القصور، فيصف قصر (الكامل) الذي بناه الخليفة المعتز بن المتوكل، فيرسم عنه صورة جميلة؛ إذ يحدثنا عن الخير الوفير في أشجار هذا القصر، وجاء المبتدأ معرفاً بـأل المعهودة ذهنياً، وهي التي تفيد العلم بها ذهنياً (السامرائي ، 2000، صفحة 114)، فقول الشاعر: (والخير يجمع)؛ أي أنّ الخير الذي يجمع، هو المعهود من هذه الأشجار التي يفيض عليها نهر دجلة فيضاً، فتعريف كلمة الخير (بـأل)، دلّ عليها دليل ذهني تفسره الأبيات السابقة، فلا غرابة من أنّ خير هذه الأشجار وفير ما دام نهر دجلة يمر عنها فيسقيها؛ لأنّه يفيض عليها فيضاً.

إضافة إلى ذلك، فإنّ دلالة تعريف المبتدأ تأتي تعظيماً للخير كما ونوعاً، وقد أسهم في تحقيق هذه الدلالة الخبر الذي جاء جملة فعلية، فعلها مبني للمجهول، فحذف الفاعل في الفعل المضارع (يُجمَعُ)، وبنائه للمجهول، دلّ على أنّ جمع هذا الخير لا يختص به أحد، فلو قال: (يُجمَعُ) المبني للمعلوم لما أعطى الدلالة نفسها؛ إذ الفعل المبني للمجهول يسهم في بعض الأحيان في التكاثر، فبناء الفعل ضد مجهول يكون؛ لإفادة عدم حصره بفتة معينة، أو بفتة قليلة.

وقد تأتي ال للدلالة على الحقيقة الطبيعية، أو الكونية (السامرائي ، 2000، صفحة 116)، كقول  
البحثري في وصف السحاب الذي يسوقه الريح، وينجيه الرعد:

[البسيط]

فَالرَّيْحُ تُزْجِيهِ تَارَاتٍ وَتُحَدِّرُهُ      وَالرَّعْدُ يُنْجِيهِ طَوْرًا أَوْ يُنَاجِيهِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 2444)

جاءت الجملة الاسمية في هذا البيت على الأصل، وفي موضع كان تقديم المبتدأ فيه واجبا؛ لأنَّ الخبر  
جاء جملة فعلية، فلا يجوز أن يقول: تزجيه الريح؛ لأنَّ الجملة تصبح فعلية، فلما جاء الشاعر بهذا  
التركيب، فإننا نجد أنه بذلك حافظ على الوزن الشعري أولا، وأفاد معاني دلالية ثانيا، فكلمة الريح  
جاءت معرفة، وهذا يُمكن المتلقي من استحضار صورة حركة الغيوم بفعل الريح.

فقد تمثل إبداع البحثري في وصف مظهر من مظاهر الطبيعة؛ إذ جاء بجملتين اسميتين مبدوءتين  
باسمين معرفين للدلالة على الحقيقة، فقله: (الريح) لا يعني أنَّ كل الريح، هو الذي يحرك هذه الغيوم،  
وليس كل الرعد يداعبها؛ إنما يشير إلى الحقيقة الطبيعية في هذا الكون، وقد أسهمت هذه الجملة الاسمية  
بتمثيل مظهر حقيقي من مظاهر الطبيعة، وجعله يستحضر في ذهن المتلقي.

### ت. التعريف بالإضافة

تعرف بالإضافة في الباب النحوي بأنها "إضافة اسم لاسم، وتأتي بالإضافة على ضريين، فإما أن تكون  
معنوية، وهي التي تفيد تعريفاً، كقولك: بيت محمد، أو تخصيصاً، كقولك: بيت رجل. "ولا تخلو في  
الأمر العام من أن تكون بمعنى اللام، كقولك: مال زيد وأرضه، وأبوه وابنه وسيده وعبد، أو بمعنى  
من كقولك خاتم فضة، وسوار ذهب، وباب ساج." (الزمخشري، 1993، صفحة 113) ومن خلال  
تتبعي لشعر الوصف وجدت أن المبتدأ جاء معرفا بالإضافة في ستة مواضع:

## 1. الإضافة إلى معرفة

من المعروف أنّ المضاف إلى معرفة يكتسب تعريفه من الاسم الذي يضاف إليه (ابن يعيش، 2001، صفحة 126)، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله البحترى في وصف الخيل، وجماله:

[الكامل]

وَمَقْدَمُ الْأُذُنَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ      بِهِمَا يَرَى الشَّخْصَ الَّذِي أَمَامَهُ

(البحترى، د.ت، صفحة 1990)

هكذا يدع البحترى في وصف الخيول الجميلة، فالخيل الذي أمامه جميل، وله أذنان متقدمتان حتى يظن من يراه أنّ هاتين الأذنين المتقدمتين، هما العيون التي يرى بهما، وقد جاء المبتدأ معرفاً بالإضافة، ومقدم نكرة عُرِّفَتْ بإضافتها إلى المعرفة، وهذا ما سوغ لها الابتداء، وبهذا التعريف صاروا معاً اسماً واحداً، يسمى به هذا الخيل، فالخيل بهذا التركيب صار اسمه (مقدم الأذنين)؛ ذلك لأنها إضافة محضة اكتسب فيها الاسم تعريفاً.

ومنه أيضاً قوله في وصف جمال البركة الجعفرية:

[البسيط]

فَرَوْنَ قُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا      وَرِيْقُ الْغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِهَا

(البحترى، د.ت، صفحة 2418)

جاء هذا البيت في سياق مدح الجعفري، ووصف بركته، وهي بركة جميلة، وواسعة تقع في القصر الذي بناه، وقد أبدى البحترى إعجاباً في هذه البركة؛ لسعتها وجمالها، فأول ما يطلع عليها من الشمس كان يغازلها، وريق الغيث (المطر اليسير) كان يبكيها.

وقد جاء المبتدأ نكرة مضافة إلى معرفة، فرونق مبتدأ مضاف إلى الشمس. والشمس مضاف إليه، ويضاحكها جملة فعلية في محل رفع خبر، ومثله ما جاء في عجز البيت، فريق مبتدأ، وهو مضاف، والغيث مضاف إليه، ويياكيها جملة فعلية في محل رفع خبر. والغرض من الإضافة هو التعريف بالمبتدأ. وبهذا صنع الشاعر صورة حية نابضة بالحركة بالمبتدأ والخبر في الجملتين الاسميّتين، فقد شبه رونق الشمس بإنسان يداعب ويضاحك وشبه ريق الغيث بإنسان يياكي، فبهذا التعبير استطاع الشاعر أن ينقل لنا جمال المناخ الذي تتمتع به البركة، والذي استمدته من موقعها الجميل. وإضافة إلى ذلك، فقد جاءت أخبار هذه الجمل فعلية؛ لتدل على استمراريتها.

وقوله أيضا في وصف الشيب؛ إذ وظف البحثري مثلا واقعيا من الحياة؛ للتدليل على جمال الشيب:

[الخفيف]

وَبَيَّاضُ الْبَازِيِّ أَصْدَقُ حُسْنًا      إِنَّ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1486)

ففي هذا البيت نرى أن الشاعر يرد على المرأة التي عيرته بالشيب، فقد ردَّ عليها بوصف يظهر الشيب بصورة جميلة تخالف رؤية المرأة؛ وذلك من خلال عقد مقارنة بين البياض الموجود في الصقر، وبين سواد الغراب، فإذا تأملنا تركيب الجملة الاسمية، لوجدنا أن المبتدأ جاء معرفا بإضافته إلى معرفة، وقد اكتسب المضاف (بياض) الذي هو المبتدأ تعريفا عند إضافته للمعرفة.

ولعلَّ غرض الإضافة هنا أنها جاءت لتعريف البياض؛ أي إن بياض الصقر هو الذي يزينه، وهو أجمل من السواد في الغراب، فالشاعر هنا يشير إلى أنه ليس أيُّ بياض يتصف بالجمال، بل بياض الصقر، ويؤكد أن الشيب لا يقل حسنا عن جمال الصقر الذي كان البياض سببا في جماله. ونلاحظ أيضا أن الشاعر جاء باسم التفضيل (أصدق)، واسم التفضيل لا يأتي للمفاضلة إلا إذا اجتمع الاثنان على الصفة نفسها وزاد أحدهما على الآخر (السامرائي، 2000، صفحة 318)، فالشاعر لا يهدف هنا إلى عقد

مقارنة بينهما؛ إنّما جاء بالصورة المغايرة لإثبات حسن البياض الموجود في البازي، فيحدث أن تأتي بالشيء، ثم تأتي بصورة أخرى مخالفة له؛ لإبراز الصورة الجمالية المتحققة في الأول.

## 2. الإضافة إلى نكرة

يكتسب المضاف من المضاف إليه تخصيصاً إذا كان نكرة (النجار، 2001، صفحة 310)، وهذا يعني أنّها تعمل على حصر المضاف بها وحدها، فتخصصه، فتصبح هي منه فقط. فقول البحري في وصف المحمدية، وهي "قرية من نواحي بغداد" (البحري، د.ت، صفحة 1075) من الأمثلة على مجيء المبتدأ نكرة اكتسبت تخصيصاً من المضاف إليه؛ لأنها أضيفت إلى نكرة:

[المنسرح]

مَغْنَى سُرُورٍ بِالسَّعْدِ تَنْزِلُهُ      وَدَارُ أَنْسٍ بِالْيَمْنِ تَعْمُرُهَا

(البحري، د.ت، صفحة 1075)

ففي هذا البيت يتابع البحري وصف تمام المحمدية، وإشراقها وجمالها، فمن تربتها تفوح رائحة الكافور، ومطر السماء لا ينقطع عنها، فيعمّ الخير الأرجاء جميعها، وهذا الوصف كلّ مهّد لها لأنّ تكون منزلاً يعمه السرور والبهجة، وقد أسهم في تحقيق الوصف الجميلتان، فقوله: (مغنى) مبتدأ نكرة خصص بالإضافة إلى نكرة الأمر الذي سوغ له الابتداء، و(دار) مبتدأ نكرة معرف بالإضافة إلى أنس، وهي نكرة أيضاً. فالمحمدية بيت أنيق تشعر بالسعادة إذا نزلته، ودار لطف وحسن ومباركة حين تسكن فيها. فبهذا التخصيص أصبحت كلمة مغنى سرور مبتدأ تختص به المحمدية، وكأنّ اسمها أصبح مغنى سرور ودار أنس، فصارت أسماء ملازمة لما تتمتع بهما من طيب الحياة وحسن معايشة أهلها.

## ثانياً: المبتدأ النكرة

وهنا سيكون الحديث عن المبتدأ النكرة، ومسوغات الابتداء به:

الأصل في المبتدأ "أن يكون معرفة، أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفة خاصة، فأما المعرفة فنحو قولك: عبد الله أخوك، وزيد قائم، وأما ما قارب المعرفة من النكرات، فنحو قولك: رجل من تميم جاعني، وخير منك لقيني. وصاحب لزيد جاعني. وإنما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة؛ لأنه لا فائدة فيه." (ابن السراج، د.ت، صفحة 59) فيجب أن يكون الابتداء بالنكرة مقروناً بفائدة، وقد أجاز النحويون الابتداء بالنكرة بمسوغات كثيرة، منها: "أن تكون النكرة موصوفة" (أبو المكارم، 2007، صفحة 34). فقد أوجب النحويون مجيء المبتدأ معرفة، ولم يجوزوا مجيئه نكرة إلا بمسوغات؛ ذلك؛ لأن المبتدأ مخبر عنه، والمخبر عنه ينبغي أن يكون معلوما لدى المتكلم والسامع. (أبو المكارم، 2007، صفحة 34)

ويصدق على ذلك ما قاله البحرني: من وصف للمدينة المتوكلية في قصيدة مدح فيها المتوكل على الله؛ والمتوكلية، "مدينة بناها المتوكل على قرب سامرا" (البحرني، د.ت، صفحة 2011):

[الوافر]

قُصُورٌ كَالْكَوَاكِبِ لَامِعَاتٌ      يَكْدُنُ يُضِيئِنَ لِّلسَّارِي الظَّلَامَا  
وَبَرٌّ مِّثْلُ بُرْدِ الوَشْطِي فِيهِ      جَنَى الحَوْدَانِ يَنْشُرُ والخُزَامَى

(البحرني، د.ت، صفحة 2011)

هكذا وصف البحرني المدينة المتوكلية، إذ فيها قصور تشبه الكواكب في لمعانها، كأنها الدليل الذي يوضح الطريق لساري الليل، كما أن ساحتها وحدائقها المحيطة فيها تشبه لوحة جميلة موشاة ومزخرفة، وإذا أمعنت النظر في الجملتين الاسمييتين، لوجدت أنهما جملتان مبدوءتان بمبتدأ نكرة له مسوغ، وذلك بأنهما موصوفتان، فقصور نكرة موصوفة، وبر مبتدأ نكرة موصوفة، وقد جاء المبتدأ نكرة؛ ليدلا على التعظيم، فالشاعر يريد أن يعلي من المدينة المتوكلية؛ ليعطي مكانة عظيمة للخليفة المتوكل على

الله تبين إبداعه في البناء، فتعظيم المكان من خلال تكثيره جاء لمناسبة السياق الذي يهدف إلى تعظيم مكانة الخليفة المتوكل.

### ثالثاً: الخبر المعرفة

الأصل في الخبر أن يأتي نكرة، ولكنه قد يأتي معرفة لأغراض معينة، "وإنما كان الأصل في الخبر التكرير؛ لأنه محكوم به على المبتدأ، وإذا كان المحكوم به معلوما انتفت الفائدة المطلوبة من الكلام" (ناظر الجيش، صفحة 919)، وقد جعل النحاة مجيء الخبر معرفة "من قبيل مخالفة الأصل." (أبو المكارم، 2007، صفحة 40).

ومن جهة تعدد المعاني، فإن تعريف الخبر يكون أكثر دلالة من تعريف المبتدأ؛ لأن الخبر أصله التكرير، والمبتدأ أصله التعريف، فإذا عرّف الخبر، كان من وراء ذلك دلالة؛ إذ العدول عن الأصل هو الذي يخلق هذه الدلالة، فالأصل في الخبر أن يكون مجهولاً؛ لأنه إذا كان معلوماً، فلا فائدة منه، ونحن نعلم أن الخبر يلزم الفائدة، والجهل به يكون من جهة تكثيره" (أبو المكارم، 2007، صفحة 40)؛ إذ إن النكرة هي التي تتسم بعدم التعيين، لكون مدلولها مفرداً شائعاً في نطاق جنسه"، وبناء على ذلك رأى بعض النحاة أن جعل الخبر معرفة هو من قبيل مخالفة القانون اللغوي. ويعرف الخبر بأحد هذه الأشياء:

### أ. التعريف بالإضافة

ومن أمثله في شعر الوصف عند البحثري ما قاله في وصف بركة المتوكل؛ إذ تتفوق على البحر لشدة جمالها، واتساعها:

[البسيط]

بِحَسَبِهَا أَنَّهُمَا مِنْ فَضْلِ رَبِّتَيْهَا      تُعَدُّ وَاحِدَةً وَالْبَحْرُ ثَانِيهَا  
(البحثري، د.ت، صفحة 2416)

فقد جاءت الجملة الاسمية (والبحر ثانيها) مكونة من مبتدأ معرف، والخبر (ثانيها) جاء معرفا بالإضافة؛ "ذلك لأنه مجهول في ذاته" (أبو المكارم، 2007، صفحة 40) والفائدة الدلالية التي يريدها البحرّي، هي أن يظهر الاتساع الكبير الذي تتمتع به البركة الحسنة، وأنها آية في الجمال، بل يبالغ في ذلك حتّى جعلها تتفوق على البحر في الجمال بقوله تعد واحدة؛ أي تسبق البحر من ناحية الجمال والاتساع مع يقينه أن البحر في الحقيقة أوسع من البركة. فجاء بالخبر معرفا بالإضافة؛ لإثبات أمرين: الأول للفت النظر إليها من خلال إضافتها إلى ضمير يحيل إليها، والثاني جاء معرفا بالإضافة والمضاف إليه جاء ضميرا متصلا يحيل إلى لفظ البركة في البيت السابق لتعظيم شأنها.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله البحرّي في وصف مدينة دمشق:

[السريع]

هَوَاؤُهَا الْفَضْفَاضُ غَضُّ النَّدَى وَمَاؤُهَا السَّلْسَالُ عَذْبُ الْمَذَاقِ

(البحرّي، د.ت، صفحة 1515)

يصف البحرّي في هذا البيت مدينة دمشق، ويركز على مناخها العذب الجميل، ومائها طيب المذاق، فيظهر أنه جعل الجملة الاسمية في موضعين، وتشتمل كل واحدة على خبر معرف بالإضافة، ففي الموضع الأول هواؤها مبتدأ، وخبره (غض الندى) المعرف بالإضافة، وفي الشطر الثاني: ماؤها مبتدأ خبره عذب المعرف بالإضافة، وفي الخبرين أفادت بالإضافة تعريف المضاف؛ أي أن هواء دمشق الكثير طري الندى، والماء المستمر فيها عذب المذاق. وإضافة إلى ذلك فإنّ الخبر في الجملتين دون أن يكون معرفا، أو مخصصا بشيء فإنه يكون غير صالح لإظهار الصورة الوصفية في أدق تفاصيلها، فلا يمكن الاكتفاء بقولنا (هواؤها غض)؛ لأنّ الصورة في ذلك مطلقة وغير دقيقة.

## ب. تعريف الخبر بلام التعريف

يأتي الخبر معرفاً بلام التعريف على سبيل القصر، وذلك عندما تريد قصر المخبر عنه؛ لقصد المبالغة، أو أن تقصر جنس المعنى المراد على المخبر عنه وحده، (الجرجاني، د.ت، الصفحات 179-180) وقد يأتي الخبر معرفاً بال لتخصيص المخبر به بالخبر وحده، أو تريد جعله هو هو، فلا يجيد عنه بشيء.

وكان ورود الخبر معرفاً بلام التعريف قليل الحضور في شعر الوصف؛ إذ لم أجد إلا مثالا واحدا من الأشعار المخصصة للوصف، والبيت كان مخصصا لوصف بركة المتوكل:

[البسيط]

فَلَوْ تَمَرُّ بِهَا بَلْقَيْسُ عَنْ عَرَضٍ      قَالَتْ هِيَ الصَّرْحُ تَمَثِيلًا وَتَشْبِيهًا

(البحثري، د.ت، صفحة 2417)

يصف البحثري البركة، ويستعين بالملكة بلقيس التي كانت تملك قصرا يعدُّ من أجمل القصور، لكن الشاعر هنا يرى أن بلقيس التي امتلكت أجمل قصر لو مرَّت، ولو بشكل عارض عند أي جزء من البركة، لقات: إنه الصرح بتفاصيله كافة، والصرح هو القصر الذي بناه سليمان لبلقيس ممسًا من الزجاج" (البحثري، د.ت، صفحة 2417). وفي قوله قالت: (هي الصرح)، جاء إعراب (هي): ضميرا منفصلا في محل رفع مبتدأ، وجاء إعراب(الصرح) خيرا مرفوعا وعلامة رفعه الضمة، وقد جاء الخبر معرفاً بال " العهدية التي تشير إلى معهود بين المتكلم والمخاطب" (ابن عقيل، 1980، صفحة 32)، ففي هذا البيت أتت الإفادة في تعريف الخبر؛ لأنَّ الشاعر يستخدم بلقيس، وقصرها لوصف بركة المتوكل، فجاء بالخبر معرفاً؛ لأنَّ الخبر معرفاً هو محل الإفادة، فهو لا يريد أن يخبرنا بأنَّ البركة قصر، وإنما هو قصر بلقيس بتفاصيله كافة، فلا يجيد عن هذه البركة من أي زاوية من زواياه، وأضاف إلى هذه الدلالة التي حققها الخبر المعرفة قوله: (تمثيلا وتشبيها)؛ أي إنَّ القصر يتجسد في البركة ويتشبه بها.

## رابعاً: الخبر النكرة

الأصل في الخبر أن يكون نكرة؛ ذلك لأنه يأتي بمنزلة الوصف للمبتدأ، ولأنَّ الخبر مناط بالفائدة، فهذا يعني أنه ينبغي أن يكون غير محدد بشيء بعكس المبتدأ الذي يفترض فيه أن يكون معيناً، ومحدداً بالنسبة للمتلقي (أبو المكارم، 2007، صفحة 40)؛ لأنَّ الخبر حكم، والحكم لا فائدة منه إن كان معلوماً، لذا فلا فائدة من خبر معلوم حقيقة، ويكون تنكير الخبر إمّا لعدم حصره كما هو في الخبر المعرف، فإذا قلنا: زيد المنطلق، هذا يعني أننا حصرنا الانطلاق بزيد وحده، وإذا أردنا عدم الحصر جعلنا الخبر نكرة، فنقول: زيد منطلق؛ أي زيد منطلق، وغيره أيضاً منطلق، وإمّا أن يكون تنكيره لأجل الحط من قيمته، أو الرفع من شأنه (القزويني، د.ت، صفحة 128).

ومن خلال تتبعي لأشعار الوصف وجدت أنَّ الخبر نكرة كان حضوره بارزاً؛ ذلك لأنه هو الأصل في تركيب الجملة الاسمية، ومن شواهد، قول البحري في وصف الخمرة التي أعطاه إياها ابنه أبو الغوث:

[الخفيف]

مِنْ مُدَامٍ تَظُنُّهَا وَهِيَ نَجْمٌ      ضَوْأَ اللَّيْلِ أَوْ مُجَاغَةَ شَمْسٍ

(البحري، د.ت، صفحة 1158)

يتابع الشاعر وصفه لكأس الخمر بأنه نجم قد ضوأ الليل، فالجملة الاسمية (هي نجم) جملة اسمية مكونة من ضمير مبتدأ هي، وخبره نجم، وقد جاء الخبر نكرة؛ للإعلاء من شأن الخمرة الموصوفة، وهذا يناسب غرض الوصف عندما يعلي الشاعر من قيمة الشيء الموصوف، فلو قال: هي النجم لاقتصر قوله على واحد من النجوم، أمّا قوله: وهي نجم أوقع في النفس؛ لأننا بهذا نتخيل شيئاً أوسع؛ أي نجم في لمعانه وفي ظهوره بالإضافة إلى إرادة الجنس بكامله على سبيل التعظيم

(السامرائي ، 2000، صفحة 40)؛ ذلك لأنّ مجيء الخبر نكرة يفيد تقوية الحكم على الشيء، وحينما يكون دالا على العموم يكون الموصوف أوقع في النفس (حسن، د.ت، صفحة 486).

ويصدق على ذلك أيضا قول البحري في وصف القصر الجعفري من خلال التركيز على أهمية المكان الذي أقيم فيه القصر:

[الكامل]

فِي رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاها لَوْلُوٌّ      وَتَرَابِهَا مَسْكٌ يَشَابُ بَعْبِرِ  
(البحري، د.ت، صفحة 1040)

أي هو واقع في مكان عالٍ مطل، وأرضه مفروشة بحصى يشبه اللؤلؤ الكثير، ورائحة ترابها تشبه المسك الكثير الممزوج بالعنبر، وقد جاء المبتدأ معرّفا بالإضافة، وجاء الخبر نكرة لؤلؤ؛ أي حصاها لؤلؤ كثير، ورائحة ترابها مسك كثير لا ينتهي، فقد أفاد تنكير الخبر تكثيرا، وتجميلا (السامرائي ، 2000، صفحة 40)؛ ذلك لأنّ كلمتي لؤلؤ، ومسك الواقعتين نكرتين تشيران من خلال هذا التنكير إلى عدم إرادة التمثيل باللؤلؤ فقط، وإنما إرادة التمثيل والتكثير، فلو قال: حصاها اللؤلؤ، لاقتصر قوله هذا على التشبيه والتمثيل، أمّا في اختياره للنكرة، فإنّ الذهن ينصرف إلى إرادة كامل الجنس على سبيل تكثير العدد المتضمن معنى التشبيه.

ومن ذلك أيضا قوله في وصف خيل أهدي إليه؛ وذلك من قصيدة مدح فيها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب:

[الكامل]

مُتَّوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّما      تُرَيَانٌ مِنْ رَقٍّ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ  
(البحري، د.ت، صفحة 1745)

فإذا نظرنا إلى هذا الحصان، لوجدناه يتمتع بأذنين تسمعان الأشياء الخطرة، فقد جاء الخبر (متوجس)؛ أي يسمع كل صوت خفي لمبتدأ محذوف تقديره (هو متوجس)، وقد أفاد الخبر النكرة تعظيماً، وهذا النوع من الجمل الاسمية هو الأصل، وموافق لأصل القاعدة النحوية؛ إذ جاء المبتدأ معرفة، والخبر نكرة. وإضافة إلى ذلك، فإنّ مجيء الخبر نكرة مكنّ الشاعر من عرض تفصيل لهذا التوجس، فلو قال: (هو المتوجس) لما أتيح له التفصيل بالأشياء التي يتوجس بها؛ لأنها تكون واقعة على عمومها من غير إظهار الصفة المعينة التي يهدف الشاعر إلى إبرازها، فالشاعر جاء به مجملاً، ثمّ عمد إلى تفصيله من خلال إطلاقه وعدم تعيينه، فكلمة متوجس جاءت نكرة، لتتيح للشاعر التفصيل فيها.

وقوله في وصف الأسد:

[الطويل]

هَزْبِرٌ مَشَى يَبْغِي هَزْبِرًا وَأَغْلَبٌ      مِنْ الْقَوْمِ يَعْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا

(البحثري، د.ت، صفحة 200)

يذهب البحثري في هذا البيت إلى وصف المعركة التي وقعت بين الفتح بن خاقان والأسد، وكان فيها الفتح أسداً حقيقاً، وقد أثبت قوته وعنفوانه في مواجهة الأسد، وتقدير قوله هو هزبر، فقد جاء الخبر نكرة على سبيل التعظيم، فهزبر الأولى تعني الفتح بن خاقان، وجاءت نكرة؛ لإثبات أمرين: الأول شيوع الجنس وعمومه، والثاني: لئلا يقع في أنّ هذا لقب للفتح، فلو قال الهزبر، لانصرف الذهن إلى أنّ هذا لقب للفتح بن خاقان؛ إذ ليس شرطاً في صاحب اللقب أن يتمتع بمواصفات هذا اللقب، فكلمة هزبر تنبئ إلى قوته وشجاعته في المواجهة في هذا الموقف؛ لتبين تمكنه وفوزه في هذه المعركة.

من خلال معاينتي لأنواع المبتدأ والخبر من جهتي التعريف والتكثير، وعدد مرات الورد لكل نوع، وجدت أنّ:

- أكثر صور المبتدأ حضوراً في شعر الوصف، هو المبتدأ المعرفة، ذلك لأنَّ الشاعر يسعى إلى الإعلاء من قيمة الأشياء الموجودة في العصر العباسي، وفي بلاده، وكانت أكثر هذه المعارف حضوراً هي الضمائر؛ ذلك ليسهم الحذف في الرفع من شأن الموصوف.
- أكثر الباحثين من استعمال الخبر نكرة، وهذا مناسب لشعر الوصف؛ إذ إنَّ الخبر النكرة يعمل على رفع شأن الشيء المخبر عنه، وهذا ما يسعى الشاعر إليه في شعر الوصف؛ لأنَّ الخبر النكرة يعمل على تعظيم الشيء الموصوف (السامرائي، 2000، صفحة 40)، وهذا هو الأصل في تركيب الجملة الاسمية.
- الأصل في الخبر أن يأتي نكرة، ولكنَّه جاء معرفة في مواطن قليلة، والهدف من ذلك أنها كانت مناسبة لتحقيق غايات دلالية اقتضاها السياق المقامي، فإمَّا أن يريد الشاعر تخصيص الخبر، أو توضيحه إذا جاء معرفاً بالإضافة، وإمَّا أنه يريد قصر الخبر على المبتدأ وحده دون سائر الأشياء إذا جاء معرف بلام التعريف.

## المبحث الثاني

### أنماط الجملة الاسمية المطلقة البسيطة، ودلالاتها التركيبية

يتناول هذا المبحث الجملة الاسمية من حيث طبيعة تركيبها، وأثرها في الدلالة، فالجملة الاسمية قد تقتصر على المبتدأ والخبر؛ لإتمام المعنى، وقد تحتاج إلى متمات، فيأتي الشاعر بالخبر متضمنا أنواعا من المكملات؛ ذلك لأنَّ طبيعة هذه الجملة قد وضعت في مقامات تتطلب نوعا من التجميل، وقمت بدراسة عدد من النماذج دراسة نحوية دلالية، وذلك بناء على الأنماط الواردة في شعر الوصف.

ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أنَّ الجملة الأكثر حضورا هي الجملة الاسمية البسيطة، وهي التي تكون مستقلة عن غيرها، وتتكون من ركنين أساسيين، هما المبتدأ والخبر، ويغلب عليها أن تكون دالة على الثبوت والدوام، ولا يكون فيها المسند إليه إلَّا ضميرا، أو اسما ظاهرا، أو وصفا معرفا، أما المسند، فيكون ضميرا، أو اسما، أو شبه جملة، أو وصفا ظاهرا (عبد الغني، 2008، صفحة 29). يرى مهدي المخزومي أنَّ الجملة الاسمية في أقصر صورة لها؛ أي البسيطة، "هي أقلُّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، وليس لازما أن تحتوي على العناصر المطلوبة كلها، وقد تخلو هذه الجملة من المسند إليه لفظا، أو من المسند، لوضوحه وسهولة تقديره" (المخزومي، 1986، صفحة 33). وقد جاءت أنماط الجملة الاسمية البسيطة على النحو الآتي:

#### نمط 1: المبتدأ معرفة + الخبر معرفة:

يفيد هذا النمط اتصاف المبتدأ بالخبر، وقصره عليه دون غيره؛ وقد جاء هذا النمط في أكثر من موضع، يقول ابن السراج: "فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة، فإنَّما الفائدة في مجموعهما" (ابن السراج، د.ت، صفحة 66)، ومن أمثلته قول البحثري:

[المنسرح]

جَنَّةٌ عَدْنٍ مَتَى حَلَّتْ بِهَا شَهَدَتْ أَنَّ الْقَاطُولَ كَوَثْرُهَا

(البحثري، د.ت، صفحة 1076)

يتابع البحثري وصف المحمدية بعد تمام حسنها واجتماع مقومات الجمال جميعها فيها، فهي جنة عدن؛ ففي الوقت الذي تأتي إليها لزيارتها ترى أن نهر القاطول الذي يمر منها هو الكوثر، وهذا هو الذي يجعلها تشبه جنة عدن؛ إذ لا يمكن أن يكون نعتها لها بالجنة صالحا إلا إذا التقت مع الجنة بأشياء تشبهها، فالجنة فيها نهر الكوثر، وكذلك المحمدية فيها نهر القاطول، فالفائدة تكمن أولا في المبتدأ المحذوف وتقديره (هي)، وبالخير المعرف بالإضافة.

إضافة إلى ذلك، فإنَّ الجملة الاسمية (هي جنة عدن) جاءت من غير أداة تشبيه رغم أنَّ السياق سياق تشبيه إلا أنَّها جاءت مكونة من مبتدأ محذوف وخبر؛ لإيقاع ذلك في ذهن المتلقي من حيثُ إنها هي الجنة نفسها تشبهها في كلِّ شيء؛ لأنَّ نهر القاطول يساوي فيها نهر الكوثر. كذلك فقد تساوى المبتدأ مع الخبر من حيث التعريف؛ إذ عرّف الخبر جنة بإضافته إلى عدن، فاكتسبت كلمة (جنة) الواقعة نكرة تخصيصا من عدن واكتسبت دلالاتها؛ فعن تعني الخضرة والأزهار والماء العذب. وهي وحدها تدلُّ على نقاط الالتقاء بينهما.

## نمط 2: المبتدأ معرفة والخبر نكرة

وهذا النمط هو أكثر الأنماط حضورا في شعر الوصف، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه الكلام" (ابن السراج، د.ت، صفحة 65)، يقول سيبويه، " فأصلُ الابتداء للمعرفة" (سيبويه، 1988، صفحة 329). وإضافة إلى ذلك فإنَّ هذا النمط يشير إلى قوة الارتباط بين المبتدأ والخبر، وإلى العلاقة الوثيقة بينهما؛ إذ يعبر فيها الشاعر عن صورة ذهنية يرسمها بخياله عن الشيء الموصوف، فلو قلت رجل واقف لا يصحُّ إلا إذا عرفته بشيء، كأن تقول: رجل من قبيلة فلان قادم لصح ذلك، أو أن تعرفه حتى تعلق في

ذهنك صورته؛ فالأصل في المبتدأ أن يكون في الأمور العامة معرفة، وعلل ذلك ابن الأنباري في كتابه أسرار العربية، بقوله: "فإن قيل: لماذا لا يكون المبتدأ في الأمر العام إلباً معرفة؟ قيل: لأنَّ المبتدأ مخبر عنه، والإخبار عما لا يعرف لا فائدة منه". (الأنباري، 2015، صفحة 73) وهذا التركيب من الجملة الاسمية مناسب لغرض الوصف؛ لأنَّه لا فائدة من وصف الشيء إذا لم يكن معرفة؛ فوصف الأشياء المجهولة غير مفيد.

ونجد أيضاً أنه في هذا التركيب، وكما حكم النحاة على أنَّ الأصل في الخبر التعريف، والأصل في الخبر التتكير، فإنَّ هذا النوع من التركيب، الأصل فيه أن يتقدم المبتدأ على الخبر؛ لذا يقول سيبويه: "فالمبتدأ الأول، والمبنى ما بعده عليه، فهو مسند، ومسند إليه" (سيبويه، 1988، صفحة 126).

وقد تكرر هذا النمط في أكثر من موضع، ومن ذلك ما قاله البحرني في وصف قصري الصبيح والملح، وهما قصران من القصور التي بناها المتوكل، فبعد أن تمَّ بناء قصر الصبيح، وأصبح دار أنس ومقام، كان بإزائه قصر آخر يقال له الملح:

[الخفيف]

مُسْتَمِدُّ بِجَدُولٍ مِنْ عُبَابِ مَاءٍ      كَالْأَبْيَضِ الصَّاقِيلِ الْحُسَامِ  
(البحرني، د.ت، صفحة 2377)

وصف البحرني في هذا البيت قصر الملح بجملة اسمية بسيطة مكونة من مبتدأ معرفة وخبر نكرة، وتقدير الجملة (هو مستمد)؛ أي مستمد ماءه بوساطة جدول ماء يشبه السيف الأبيض المصقول، فالمبتدأ جاء معرفة؛ لأنَّه لا فائدة من الإخبار عن الشيء المجهول، وجاء الخبر نكرة لإفادة الخبر، فلو قال: هو المستمد، لتوهم المتلقي أن يكون صفة من صفاته، فجاء الخبر نكرة دفعا لهذا التوهم. فهذا النمط يهدف إلى الإخبار عن المعلوم بما هو مجهول.

### نمط 3 المبتدأ معرفة + الخبر شبه جملة ظرفية

وهذا النمط من الجمل الاسمية يشير إلى لفت انتباه المخاطب على المبتدأ، وجعله محور الكلام. وهو قليل الحضور، ومن الشواهد عليه، قول البحتري في وصف إيوان كسرى:

[الخفيف]

ذَاكَ عِنْدِي وَكَيْسَتِ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابِ مِنْهَا وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي

(البحتري، د.ت، صفحة 1162)

بلغ البحتري في حبه للإيوان مبلغاً جميلاً، ولم يكن الإيوان يمتُّ له بأيِّ صلة، فالإيوان فارسي والشاعر عربي، فإنَّ ما شاهده من سوء حال الإيوان جعله حزينا، فلم يفته أن يشير إشارة باسم الإشارة عن إحساسه وشعوره تجاه القصر، فقد جاء المبتدأ اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ، ويظهر استخدام اسم الإشارة للتنبيه على حاله المذكور في البيت السابق، فكأنه يقول: إنَّ كل ما تقدم من وصف للإيوان مستقر عندي.

وإضافة إلى ذلك، فقد أفاد اسم الإشارة في تركيب الجملة الاسمية في ترابط كلام وربطه ببعضه ببعض، فاسم الإشارة (ذاك) مبهم، والمبهم يحتاج إلى مفسر يفسره، فالمتلقي يعمل على استحضار الكلام المقرون باسم الإشارة، فيظل بذلك الكلام مستمرا، فكأنَّ الشاعر بهذا يقول: هذا رأيي في الإيوان رغم أنَّه لا يربطني مع هذه الدار أيُّ رابط.

### نمط 4: الخبر شبه جملة + مبتدأ

وهذا النمط أيضا شكل حصورا بارزا في شعر الوصف، وهو يشير إلى اهتمام البحتري بالشيء الذي يحكم به، ويؤخر المحكوم عليه أيضا للاهتمام به من خلال تشويق المتلقي لسماعه، وقد تكرر هذا النمط في مواضع كثيرة. ومن أمثله قول البحتري في وصف السيف:

[الطويل]

وَلِي صَاحِبٌ عَضْبُ الْمَضَارِبِ صَارِمٌ طَوِيلُ النَّجَادِ مَا يُقَلُّ لَهُ حَدٌّ  
(البحثري، د.ت، صفحة 742)

ففي هذا البيت يصف الشاعر سيفه من قصيدة وصف بها الذئب، وقد افتتح البيت بجملة اسمية تقدم فيها الخبر الجار والمجرور، بقوله: (ولي صاحب)، وتقديمه جاء جائزاً، وتضافرت مع هذا الجواز معانٍ دلالية يفصح عنها اختيار الشاعر لهذا التركيب بجملته.

فتقديم الجار والمجرور الذي هو الخبر يعمل على تنبيه المتلقي بأنه هو الخبر؛ إذ الشاعر هنا يشير إلى ملكيته لهذا السيف على سبيل الاختصاص، فهو يمتلك سيفاً قاطعاً قويا، ونجاده طويل، وهذه كلها صفاته، والبحثري يخبرنا عن ملكيته لهذا السيف الذي يتمتع بالصفات المذكورة. فلازمة الفائدة بملكيته للسيف.

#### نمط 5: مبتدأ معرفة + خبر جملة فعلية

وهذا النمط من أكثر الأنماط حضوراً في شعر الوصف، وهو يفيد استمرارية حدوث الخبر إن كان الفعل مضارعاً، وحتمية تحققه إن كان ماضياً؛ وكان الشاعر يستخدمه للدلالة على استمرار العلاقة بين المبتدأ والخبر، وأنَّ المحكوم به؛ أي الخبر مرتبط بالمبتدأ بحالة تجدد واستمرار، أو مرتبط به بحتمية التحقق إذا كان الفعل ماضياً، وقد تكرر هذا النمط (ثمانية) مرات، أحد هذه الأفعال ماضٍ، وهو يفيد حتمية التحقق.

وهذا النمط من الجمل الاسمية يكون تأخير الخبر فيه واجباً؛ لأنَّ الشاعر إنما أراد الإخبار عن الشيء الموصوف بالجملة الفعلية. ومن ذلك قول البحثري:

[السريع]

هَذَاكَ قَدْ بَرَزَ حُسْنَهُ سَبَقًا وَهَذَا مُسْرِعٌ فِي اللُّحُوقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1468)

أُعْجِبَ البَحْثَرِي بِقَصْرِي المَعشُوقِ وَالمَشُوقِ، وَلشِدَّةِ جَمَالِهِمَا قَدْ انبَهَرَ بِهِمَا، فَقَوْلُهُ: هَذَاكَ اسْمُ إِشَارَةٍ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مَبْتَدَأً، وَالجُمْلَةُ الفَعْلِيَّةُ بَعْدَهُ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ، أَمَّا (هَذَا) فِي عِزِّ البَيْتِ، فَهِيَ اسْمُ إِشَارَةٍ مَبْنِي عَلَى السُّكُونِ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مَبْتَدَأً، وَمُسْرِعٌ خَبَرٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةٌ رَفْعُهُ الضَّمَّةُ، فَهَذَاكَ يَدُلُّ عَلَى البَعْدِ، وَالثَّانِي يَدُلُّ عَلَى القُرْبِ، فَالأُولَى دَالَّةٌ عَلَى البَعْدِ الزَّمَانِيِّ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ قَصْرَ المَعشُوقِ قَدْ بَنِيَ مِنْذُ زَمَنِ، وَكَانَ مَحَلِّ إِعْجَابِ البَحْثَرِي، فَقَوْلُهُ: (قَدْ بَرَزَ) جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ جَاءَتْ خَبْرًا، وَالفِعْلُ المَاضِي يَدُلُّ عَلَى التَّحَقُّقِ فِي الزَّمَنِ المَاضِي، وَهُوَ مُنَاسِبٌ هُنَا لِطَبِيعَةِ السِّيَاقِ؛ إِذْ يَشِيرُ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَمَلِيَّةِ إِتْمَامِ البِنَاءِ.

### المبحث الثالث

الخبر أنواعه، وتعددته، وأثرهما في توجيه دلالات شعر الوصف

أولاً: أنواع الخبر

يأتي الخبر على ثلاثة أنواع: مفرد، وجملة، وشبه جملة. "المفرد على ضربين خال عن الضمير، ومتضمن له، وذلك نحو: زيد غلامك، وعمرو منطلق. والجملة على أربعة أضرب: فعلية، واسمية، وشرطية، وظرفية." (الزمخشري، 1993، صفحة 44) وقد جاء الخبر في شعر الوصف وفق أنواعه المختلفة، وذلك:

النوع الأول: الخبر مفرد

وهذا النوع من الأخبار، هو الأصل حسب القاعدة النحوية، ويعرّف بأنه ما ليس جملة، أو شبه جملة، ويكون على هيئة اسم ظاهر، ويتطابق مع المبتدأ في الإفراد والتنثية والجمع، وفي التذكير والتأنيث. فالخبر إن جاء مفرداً يكون في المعنى هو المبتدأ، أو منزلاً منزلته؛ إذ قولنا: خالد قائد، فالقائد هو خالد، وخالد هو القائد، فلمّا جاز أن نقيم أحدهما مقام الآخر، فهذا يعني أنه يصح أن يكون المبتدأ هو الخبر، والعكس صحيح كذلك (ابن يعيش، 2001، صفحة 228).

ومن خلال تتبعي لأشعار الوصف في ديوان البحترى، وجدت أنّ الأمثلة على وقوع الخبر اسماً مفرداً كثيرة، ومن ذلك ما قاله البحترى في وصف قصري المعتمد بالله: المعشوق، والمعشوق:

[السريع]

هُمَا صَبُوحٌ بَاكِرٌ غَيْمُهُ      تُتِّيَ فِي أَعْقَابِهِ بِالْغُبُوقِ

(البحترى، د.ت، صفحة 1468)

ففي هذا البيت جاء الخبر مفرداً نكرة، والمبتدأ معرفة من الضمائر، وهذا النوع من الجمل الاسمية، هو الأكثر حضوراً، وهو الأصل في تركيب الجملة الاسمية؛ إذ الأصل في الأخبار أن تكون مجهولة، ويخبر بها عن شيء معلوم، فالضمير (هما) عائد على قصري: المعشوق والمشوق، وهما معلومان، وخبرهما مفرد نكرة (صباح)، ودلالة صباح ترتبط مع صيغتها الصرفية، فكلمة صباح صفة مشبهة دالة على الثبوت الدائم، فالبحتري في هذا البيت لا يريد أن يخبرنا عن جمال إشراق القصرين، وإنما أراد أن يبين الثبوت في لذة النظر إلى القصرين، فالنظر إليهما بمثابة الشرب في الغداة والعشي، فقد أدت اللفظة المفردة على الوصف ثبوتاً؛ لأن الصيغة الصرفية للاسم المفرد (صباح) هي التي تعبر عن الوصف من خلال دلالاتها المرتبطة بالإشراق حين النظر إليها.

### النوع الثاني: الخبر الجملة

يأتي الخبر جملة، مثل: محمد أخوه مجتهد، وخالد سمع القرآن، "ولما بُدِّ لكل واحدة من هاتين الجملتين إذا وقعت خبراً عن مبتدأ من ضمير يعود إليه منها" (ابن جني، د.ت، صفحة 27)، تقول: محمد أخوه مجتهد، فمحمد مرفوع بالابتداء، والجملة الاسمية أخوه مجتهد بعده خبر عنه، وجملة خالد سمع القرآن، فقد أتت جملة (سمع القرآن) مركبة من فعل وفاعل، والضمير المستتر في محل رفع فاعل، وهو عائد إلى خالد، فلو قلت: خالد سمع خالد القرآن، "لم يجز؛ لأنه ليس في الجملة ضمير يعود على المبتدأ" (ابن جني، د.ت، صفحة 27).

وأما من حيث دلالاتها، فإنها تستعمل لتقوية الحكم على المبتدأ، فالجملة من حيث الدلالة أقوى من الاسم المفرد، وفعليتها لإفادة التجدد. واسميتها لإفادة الثبوت، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت" (القزويني، د.ت، صفحة 133).

يطابق الخبر (الجملة الفعلية) أصل القاعدة النحوية لتركيب الجملة الاسمية؛ إذ الخبر في تركيب الجملة الاسمية قد يأتي جملة فعلية، فعلها مضارع، أو ماضٍ؛ وذلك مع مراعاة مناسبته لسياق المقام، فالجملة

الاسمية المخصصة لشعر الوصف، وأخبارها جمل فعلية فعلها مضارع تكون دالة على التجدد، أمّا إذا كان فعلها ماضيا فتكون دالة على حتمية وقوع الخبر، وتأكيد. يرى أبو البقاء أنّ الإخبار بالجملة مكان المفرد يكون لثلاثة أشياء، وهي:

- الحاجة إلى التوسع في العبارات في مجالي: النثر، والشعر.
- إزالة اللبس في بعض المواطن.
- تفخيم الشيء المخبر عنه (العكبري، 1995، صفحة 139).

وقد عمدت في هذا النوع من الخبر إلى اختيار الجملتين، الاسمية، والفعلية، ودراسة دلالتها في شعر الوصف:

#### أ. الخبر جملة فعلية

الجملة الاسمية أقوى في التعبير من الجملة الفعلية من حيث الثبوت؛ ذلك لأنّ الجملة الفعلية تدلّ على التجدد والاستمرار؛ لذا فإنّ الجملة الاسمية التي يكون خبرها جملة فعلية تكون أقوى أنواع الجمل إحياء ودلالة؛ لأنّها تدل على التجدد والحركة، والثبات في استمرارية الحركة؛ ذلك لأنّ الفعل يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء (الجرجاني، د.ت، صفحة 174).

وقد بلغ عدد الأبيات المصدرة بجمل اسمية خبرها جملة فعلية ثمانية أبيات، منها سبعة فعلها مضارع وواحد جاء ماضيا، ومن الأمثلة على ذلك عند البحتري، ما قاله البحتري في وصف إيوان كسرى، وفي إبداع القوم الذين تفننوا في بنائه:

[الخفيف]

وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَن عَجَائِبِ قَوْمٍ      لَا يُشَابُ الْبَيْانُ فِيهِمْ بَلْبَسٍ  
(البحتري، د.ت، صفحة 1156)

إذ ورد الخبر جملة فعلية فعلها مضارع، (ينبيك) للضمير المنفصل (هو) الذي وقع مبتدأ، والملاحظ هنا أنّ هذا البيت، هو تمهيد لوصف إيوان كسرى، وإظهار حجم الإبداع في صناعته، فالفعل ينبيك الواقع خبراً للجملة الاسمية جاء؛ ليقوم بدور الإخبار المتجدد؛ إذ الفعل كما هو معلوم يدلّ على التجدد والاستمرار، ففي كل مرة، يقف الإيوان؛ ليحكي إبداع القوم الذين بنوه؛ فتوجيه النص من خلال استخدام الخبر جملة فعلية دالة على الحدوث والاستمرار، قادرٌ على إبراز الدلالة والإحياءات، وإبراز جمال الإيوان، فالقصر هو الذي سيحكي عن القوم وفعالهم؛ لأنّ الفعل (ينبيك) فعل مضارع دال على تجدد الإخبار، فكأنّ الشاعر يذهب بنا كل مذهب من خلال إسناد الفعل ينبيك إلى الإيوان، وجعله يقوم بدور السارد والمخبر عن جماله، وعن إبداع من بناه، وأنه في حالة تجدد واستمرار، وهذا الأسلوب اللغوي يعطي قوة، فنحن نستخدم مثل هذا التعبير في حياتنا العادية؛ ذلك عندما نجعل الشيء الموصوف يتحدث عن نفسه، فنقول مثلاً عن كتاب فوائده جمة: هذا الكتاب يحكي عن نفسه.

وقوله في وصف الإيوان عندما ساء حاله، وتردت أوضاعه، لكنّه ظل صامداً رغم كل الظروف التي عصفت به:

[الخفيف]

فَهُوَ وَيُبِيدِي تَجَأُداً وَعَلَيْهِهِ كَكَالٍ مِنْ كَلَالِ الدَّهْرِ مُرْسِي

(البحثري، د.ت، صفحة 1159)

جاءت الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ (هو)، والخبر (يبيدي) جملة فعلية فعلها مضارع، دالٌّ على الحركة والتجدد والاستمرار؛ فالشاعر يتحدث عن الإيوان، وقد وضع الجملة الفعلية خبراً للمبتدأ؛ ليظهر دور الإيوان في تقديم صورة حية لنفسه. وجعل الخبر جملة فعلية يناسب غاية الشاعر في تحقيق غرض الوصف؛ فالغاية من هذا البيت هي تأكيد صبر الإيوان على الرغم مما حلَّ به، وكأنّ الشاعر يريد أن يبين أنّ الإيوان سيظل محتفظاً بذكراه العظيمة على الرغم من المصائب جميعها، والشاعر بهذا جعل

الإيوان يزاول هذا العمل شيئاً فشيئاً؛ ذلك " لأنَّ الفعلَ يقتضي مزاولةً وتجددَ الصفةَ في الوقتِ" (الجرجاني، د.ت، صفحة 175)، فلو قال: فهو مبدٍ للتجدد لا يصح للغرض الذي يريد، فمعنى قوله: فهو مبدٍ يعني أنَّه اتصف بهذه الصفة دون الاستمرار فيها، أو مزاولتها، ولو جاء بالفعل الماضي أيضاً لما صح غرضه؛ لأنَّ الفعلَ الماضي يدلُّ على أنَّه حدث وانتهى، أو أنَّه حتمي التحقق، لكنَّ الشاعر يريد التأكيد على استمرارية الحدث؛ ليناسب القوة والتجدد، فلا يكفي أن يكون الشيء قويا في موقف فقط، بل يجب أن يستمر في هذه القوة، وتبقى صفة ملازمة له.

وقوله أيضاً في وصف الماء، وحركته بفعل الرياح والرعد:

[البسيط]

فَالرَّيْحُ تُزْجِيهِ تَارَاتٍ وَتَحْدَرُهُ      وَالرَّعْدُ يُنْجِيهِ طَوْرًا أَوْ يُنَاجِيهِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 2444)

قاد الخيالُ البحتريَّ إلى وصف مظاهر الطبيعة في العصر العباسي، ولعلَّ هذا البيت يجسد مشهداً من مشاهد الطبيعة التي سعى البحتري إلى تصويرها أحسن تصوير بأدق تعبير، فجاء في هذا البيت بجملتين اسميتين، أخبارهما جمل فعلية، فعلها مضارع، فالريح: مبتدأ، وتزجيه فعل مضارع في محل رفع خبر، والرعد مبتدأ، وخبره ينجيه، ففي هذا البيت يتوسل الشاعر بالجمل الاسمية التي جاءت أخبارها أفعالاً مضارعة؛ ليسجل ابداعاً في وصف حركة الماء المستمرة، وكانت الأفعال مناسبة؛ لأنها دالة على الحركة، وهي مناسبة لطبيعة الشيء الموصوف؛ إذ لا تحلو صورة الطبيعة إلَّا إذا كان جمالها مستمراً، وهناك ديمومة في طبيعة هذه الحركة، وبهذا التعبير استطاع البحتري أن يرسم صورة جميلة لحركة الماء.

وقوله في وصف غيمة مطرة:

[الرجز]

كَأَنَّما غُدْرانُها فِي الوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبابِها بِالنَّردِ

(البحثري، د.ت، صفحة 567)

يصف الشاعر في هذا البيت غيمة مطرة من خلال تشبيه حبات المطر، وهي تنزل على الأرض، بحركة حجارة النرد، فجاء في هذا البيت بجملة اسمية مصدرية بكأنما لإفادة التشبيه، ويأتي الاسم الواقع بعدها مبتدأ؛ لدخول ما الكافة عليها، وخبر المبتدأ جاء جملة فعلية (يلعبن)، ولعل في هذا الفعل إشارة إلى الحركة المستمرة لحبات المطر لدلالة الفعل المضارع عليه، وإضافة إلى ذلك فإن الشاعر أضفى على هذا الوصف مشهدا يعج بالحيوية، والحركة؛ إذ جعلها كالأشخاص الذين يمارسون لعبة.

فقد لا تحلو صورة الشيء إذا كان مظهرا طبيعيا يألفه الإنسان إلا إذا تم تشبيهه بشيء آخر يشترك معه في صفات معينة، فلو نظرت مثلا إلى الطبيعة في جو ماطر، فإن حركة حبات المطر وهي تتساقط على الأسطح تكون مألوفة بالنسبة للناظر إليها، أما إذا شبهناها بمشهد آخر فيه نوع من الحيوية والحركة، فإن ذلك يبعث فينا روحا تستحضر المشاهد بصورتها الجميلة.

ومن الأمثلة على مجيء الخبر فعلا ماضيا قول البحثري في وصف قدوم المتوكل لما زار دمشق:

[البسيط]

كَأَنَّما القَيْظُ وَلَّى بَعْدَ جِيئِتهِ أو الرِّبيعُ دنا من بعد ما بَعُدَا

(البحثري، د.ت، صفحة 710)

ففي هذا البيت يحاول الشاعر تطويع مظاهر الطبيعة، وتوظيفها توظيفا مجازيا، فالبحثري في هذا البيت كعادته أخذ بتطويع غرض الوصف؛ لتحقيق غرض المدح، فقد وصف قدوم المتوكل إلى دمشق وصفا

مجازياً، وتوسل إلى هذا الوصف بجملتين اسميتين خبر كل واحدة منهما جملة فعلية فعلها ماضٍ، ولا يقصد بالفعل الماضي هنا أنه حدث، وانتهى. إنما تأتي إفادة الماضي هنا؛ لتأكيد تحقق الخبر، فقد استخدم جملتين اسميتين؛ لاستحضار مشهد وصف قدوم الخليفة إلى دمشق، وتأكيد تحقق هذه الأخبار من خلال استخدام الفعل الماضي، فحر الصيف نأى لقدمه والربيع اقترب بعد أن كان بعيداً.

#### ب. الخبر جملة اسمية.

قد يأتي الخبر جملة اسمية للدلالة على فائدة، فكما أشار النحاة إلى أن الأصل في الخبر أن يكون مفرداً، فمجيئه جملة اسمية يكون لفائدة يقتضيها السياق، ولا بدّ لهذه الجملة من ضمير يعود على المبتدأ. وقد كانت الأمثلة على وقوع الخبر جملة اسمية في شعر الوصف قليلة الحضور، ومن ذلك قول البحثري في وصف الأرض التي أقيم عليها القصر الجعفري:

[الكامل]

مُخَضَّرَةٌ وَالْغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ      وَمُضَيِّئَةٌ وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقَمِّرٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1040)

إذ جاء في هذا البيت جملتان اسميتان خبرهما جملة اسمية منفية، فالغيث مبتدأ مرفوع، وجملة ليس بساكب في محل رفع الخبر، وقوله والليل مبتدأ. وليس بمقمر جملة اسمية في محل رفع خبر، فالشاعر يريد أن يخبر أن الأرض التي أقيم عليها القصر كانت خضراء رغم أن المطر غير حاضر، وهذا يعني أنها خضراء حتى في فصل الصيف، وهي مضينة على الرغم من أن بعض الليالي لا يظهر فيها القمر، فقد جاءت الجملة الاسمية منفية للدلالة على نفي المسبب الحقيقي، إلا أن الشيء ذاته حاصل؛ لأنّ هناك أشياء أخرى تسهم في تحقق جمالها، فالجملة الاسمية المنفية جاءت مناسبة للسياق الذي يقتضيه الشاعر، وهذا مثل قولنا: هو نجح وليس بدارس؛ فهذا دليل على ذكائه.

### النوع الثالث: الخبر شبه الجملة

قد يأتي الخبر شبه جملة، وشبه الجملة "هي المتعلق المحذوف لكل من الظرف، والجار والمجرور" (الهاشمي، د.ت، صفحة 137)؛ أي هي "الظرف، أو الجار الأصلي مع المجرور، وإنما سميت بذلك؛ لأنها مركبة كالجملة" (قباوة، 1989، صفحة 271)، فالأصل في الجملة الاسمية، هو الإخبار بالمفرد، ولكن يحدث فيها أن يتم الإخبار عن المبتدأ بشبه جملة ظرفية، أو جار ومجرور، ويشترط في ذلك أن يؤدي شبه الجملة مع المبتدأ معنى تاما، فيقال: محمد في الحديقة، والعصفور بين الأشجار، ويقدر النحاة أن يكون في شبه الجملة تقدير كائن، أو مستقر. (بركات، د.ت، صفحة 91) فإذا كان تقدير هذا الكائن مفردا كان الخبر مفردا، أما إذا كان تقديره فعلا، فالخبر فعل (الهاشمي، د.ت، صفحة 137).

#### أ. شبه الجملة الظرفية

شبه الجملة (الظرفية) هي التي تتكون من ظرف زمان، أو مكان مع مضاف إليه، ومن الأمثلة على مجيء الخبر شبه جملة ظرفية، قول البحري في وصف الإيوان، ووفاته للناس الماجدين، وإن لم يكونوا من جنسه:

[الخفيف]

ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي      بِاقْتِرَابِ مِنْهَا وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي

(البحري، د.ت، صفحة 1162)

عبرت الجملة الاسمية المطلقة (ذاك عندي) المكونة من اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، وخبره عندي شبه جملة ظرفية عن وفاء الشاعر للناس الماجدين، فقوله ذاك عندي؛ أي رأيه فيهم، وهذا خاص به، وإن لم يكن الإيوان يمتُّ له بأيِّ صلة، فكأنَّ الشاعر يحيلنا مرة أخرى إلى تصوير الإيوان والقوم الذين بنوه، ويشير إلى عظمتهم، ثمَّ يحيل مرة أخرى إلى أنَّ هذا رأيه فيهم على الرغم من أنَّه لا صلة له بهم. وقوله: عندي يشير إلى أنَّ هذا الرأي خاص فيه؛ أي مستقر عنده.

فقوله من اسم الإشارة(ذاك) يشير إلى الأمور التي قام بوصفها، في الأبيات السابقة، فيجعلها تتراءى إلى ذهن المتلقي مرة أخرى من خلال اسم الإشارة الذي يشير لها، والخبر عندي يعني أن هذا الوصف مستقر عنده؛ لأنه ما قال هذا الوصف إلا وفاء للناس الماجدين.

#### ب. الخبر الجار والمجرور

إنَّ شبه الجملة من الجار والمجرور يكون على هيئة اسم مسبوق بحرف جر، وهو على تقدير كائن إذا كان مفرداً، وعلى تقدير الفعل إن كان فعلاً، وقد جاء الخبر شبه الجملة (الجار والمجرور) في مواضع متعددة، ولأنني قمت بدراسة الخبر شبه الجملة في مبحث التقديم والتأخير، فسأقتصر على ذكر المثالين اللذين جاء فيهما شبه الجملة مؤخراً تجنباً للتكرار، وسأقوم بدراسة الأمثلة الأخرى في مواضعها بإذن الله، وهذان المثالان جاء في موضعين مختلفين:

وذلك ما قاله في وصف القصر الجعفري:

[البسيط]

وَتَسِيرُ بِجَلَّةٍ تَحْتَهُ فَفَنَّاؤُهُ      مِنْ لَجَّةٍ غَمْرٍ وَرَوْضٍ أَخْضَرِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1041)

جاءت الجملة الاسمية من مبتدأ (فناؤه) معرفاً بالإضافة، وخبره (من لجة) شبه جملة، فما دامت دلالة تسير من تحت القصر الجعفري، فلا غرابة إذن أنْ تعمَّ الخضرة الفناء الواسع، وتصيح البساتين المحيطة به خضراء. وعن دور شبه الجملة في أداء المعنى، فالجار والمجرور يعني استقر بها، وكما يقول النحاة: إنما يحسن تقدير الفعل؛ لأنه أصل العمل، وهو هنا عامل في الظرف، أو في المجرور، والذي يقدر الاسم يرى أن الأصل في الخبر أن يكون مفرداً (ابن عقيل، 1980، صفحة 211)؛ أي كانت بساتين القصر الجعفري قد استقرت الخضرة فيها، ودلَّ على هذا الاستقرار قوله من شبه الجملة الواقعة خبراً (من لجة).

أما المثال الثاني، فقد جاء في سياق وصف معركة أنطاكية:

[الخفيف]

وَعِرَاكُ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُفُوتِ مِنْهُمُ وَإِعْمَاضِ جَرَسِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1157)

ففي هذا البيت يصور الشاعر أنوشروان (كسرى)، وهو يقود الجمع الحاشد في مواجهة الأعداء في معركة أنطاكية، وعبرت الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ، (عراك)، وخبره شبه الجملة (في خفوت) عن الصمت الذي عمَّ المكان، فلم يفت البحثري أن يصف صمت الجنود؛ ليظهر ضعفهم أمام جيروت كسرى وقوته، فقله: في خفوت دلَّ على شيء مستقر، وهو الهدوء والسكينة الناجمة عن خوفهم من قوة هذا القائد العظيم.

#### ثانياً: تعدد الخبر

يرى الباحث أنَّ الغاية من تعدد الخبر هدفها تعدد المعاني وتكاثرها، وهذا يتوافق مع غرض الوصف؛ لأنَّ الشاعر يعمد إلى اختيار الأشياء جميعها، فيخبر بها عن هذا المبتدأ؛ لإيصاله إلى أبهى صورته. فتستخدم واو العطف إذا كان الصفات الموصوف فيها الشيء متباعدة، وغير متحدة في المعاني، أمَّا إذا كانت متحدة، فإنَّها تكون من غير واو العطف؛ لأنَّها تجري مجرى الصدق على الشيء الموصوف، فحينما تصدق الأشياء جميعها على الشيء الموصوف تمتنع واو العطف.

ومن خلال تتبعي لأشعار الوصف عند البحثري، فقد تبين لي أنَّ الخبر جاء متعدداً لمبتدأ واحد في عشرة مواضع من مواضع شعر الوصف، وهذه المواضع تتمثل بضرورة الاستغناء عن واو العطف؛ لأنَّ كلَّ خبر من هذه الأخبار مغاير للآخر في اللفظ والمعنى، ومتحد في موافقته على الشيء الموصوف؛ إذ يصدق كلُّ واحد من هذه الأخبار على المبتدأ. وقد يأتي الخبر المتعدد في أكثر من صورة لفظية؛ لإغناء الجانب الدلالي.

والخبر المتعدد قد يتشابه في النوع، أو يأتي مختلفاً، فقد يجيء الأول مفرداً والثاني جملة، أو شبه جملة والأنواع الواردة في شعر الوصف عند البحتري كانت على النحو الآتي:

### النوع الأول مفرد، والثاني مفرد، والثالث مفرد

ومن الأمثلة على مجيء الخبر المتعدد اسماً مفرداً في الأخبار جميعها عند البحتري، قوله في وصف سحابة:

[الرجز]

ذَاتُ ارْتِجَازٍ بِحَنِينِ الرَّعْدِ      مَجْرُورَةٌ الذَّيْلِ صَدُوقُ الوَعْدِ  
(البحتري، د.ت، صفحة 567)

الشاهد في هذا البيت أن الأخبار (الأوصاف) جاءت متعددة لمبتدأ واحد، فكلمة ذات خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي، وكلمة مجرورة خبر ثان، وصدوق خبر ثالث، وجاءت الأخبار الثلاثة اسماً مفرداً، وفي هذا يصف البحتري سحابة، ملأت الدنيا بصوت رعدا المدوي، وكانت مثقلةً بالأمطار حتى تكاد تجر أذيالها لتقل حملها، ثم ما إن وصلت إلى مرحلة الإمطار كانت صادقة فيما توقع منها. وكان هذه الأخبار الثلاثة تحكي قصة هذه السحابة.

وإضافة إلى ذلك، فإن هذا النظم الرائع يهدف إلى إظهار الطبيعة الجميلة آنذاك، فبلادهم كانت كثيرة المطر، وقد أسهم تعدد الخبر لمبتدأ واحد محذوف في التركيز على الفائدة التي يريدها الشاعر من هذه السحابة، فتعدد الخبر يعطي دلالات متنوعة، وأخباراً مختلفة للمبتدأ نفسه، وكل هذه الأخبار تصدق عليه فقد تمكن البحتري إذن من خلال جملة اسمية لها مبتدأ واحد، وأخبار متعددة من إعطاء صورة متكاملة الأركان عن تلك السحابة التي وصفها بالأوصاف الثلاثة للمبتدأ نفسه.

## النوع الثاني: الأول مفرد والثاني: جملة فعلية

فقد يأتي الخبر الأول مفرداً، والثاني جملة فعلية، ومن الأمثلة على هذا النوع التنوع والتعدد للخبر، قاله قول البحري في وصف إيوان كسرى إبان مجده:

[الخفيف]

مُشْمَخِرٌ، تَعْلُو لَهْ شُرْفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

(البحري، د.ت، صفحة 1160)

وتقدير الكلام هو مشمخر، فالمبتدأ محذوف، والخبر متعدد؛ إذ جاء مشمخر خبراً أول، وجملة تعلو له شرفات جملة فعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ المحذوف، والشاهد في هذا البيت أن المبتدأ جاء له خبران؛ أي هو بناء عالٍ تعلوه الشرفات كأنها شرفات موجودة على رأس جبل رضوى وقُدس، والخبران يدلان على العلو والارتفاع، وقد تعدد الخبر؛ لتعزيز الصورة التي يريد الشاعر أن يثبتها للإيوان، فلو تمعنت الخبرين لوجدت أنهما يحملان الدلالة ذاتها لكن اللفظين مختلفان، وهذا يشير إلى قضية التنويع اللفظي التي تغني النص بتنوع الألفاظ؛ فالخبر الأول من حيث مجيئه اسم، فإنه دال على الثبات، والثاني دال على التجدد والاستمرار كونه جاء فعلاً.

ثم إن تعدد الخبر في البيت السابق يعمل على ترسيخ الصورة في ذهن المخاطب، وتعطي هذه الأخبار مشهدين في العلو والارتفاع؛ إذ الخبر الثاني أقوى في الدلالة؛ ذلك لأن الشرفات لا تكون في أعلى قمة القصر، ورغم ذلك كانت تشبه في علوها جبل رضوى وقُدس، وكأن الشاعر جاء في الخبر الثاني بصورة لفظية جديدة؛ لتعزيز دلالة الخبر الأول.

النوع الثالث: الأول مفرد، والثاني مفرد، والثالث جملة فعلية، والرابع مفرد

ويصدق على هذا النوع من تعدد الأخبار، وصف البحري للمتوكلية:

[الكامل]

فِيحَاءٌ مُشْرِقَةٌ يَرْقُ نَسِيمُهَا      مِيثٌ تَدْرَجُهُ الرِّيحُ وَأَجْرَعُ

(البحري، د.ت، صفحة 1312)

أي هي فيحاء، وهي مشرقة، ويرق نسيمها، وهي ميث (أرض لينة)، ففي تعدد الخبر دلالة تمثلت في أن الشيء المخبر عنه يجوز الحكم عليه بأكثر من خبر بالوقت نفسه؛ أي هذه أرض واسعة متألثة، وريحها لطيفة، وأرضها لينة، فكل هذه الأخبار تصدق على المتوكلية؛ لذا جاء الخبر متعددا دون واو عطف للدلالة على تقارب الأشياء الموصوفة بها المتوكلية.

يتبين مما سبق:

أن الخبر جاء على صور متعددة؛ إذ جاء مفردا، وجملة اسمية وفعلية، وقد جاءت الجملة الاسمية؛ لتدل على الثبوت، والجملة الفعلية تدل على التجدد، فما كان مناسباً له التجدد جاء خبره جملة فعلية، وما كان مناسباً له الثبوت جاء جملة اسمية، وقد تفوقت الأخبار الجمل الفعلية التي فعلها مضارع على الجمل الاسمية؛ ذلك لأن البحري، يحاول إظهار التجدد في جمال الشيء.

وأن الخبر المفرد أخذ النسبة الأكبر من بين أنواع الخبر، وهذا هو الأصل في تركيب الجملة الاسمية، فالأصل أن يأتي الخبر نكرة مفردا؛ ليكون الإخبار عن الشيء الموصوف نابعا من دلالة الكلمة المفردة، إلا إذا أدى الخروج عن الأصل فائدة دلالية، فيأتي جملة، وكونه جملة، "فإمّا لإرادة تقوي الحكم بنفس التراكيب كما سبق، وإما لكونه سببا. وفعليتها لإفادة التجدد. واسميتها لإفادة الثبوت، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت" (القزويني، د.ت، صفحة 133).

جاء الخبر الجملة الفعلية التي فعلها مضارع بنسبة أكبر من الأخبار التي فعلها ماضٍ؛ إذ جاء الفعل المضارع في (7مرات)، أمّا الفعل الماضي فلم يأتِ إلا في موضع واحد، ويعود سبب تفوق الفعل المضارع إلى مناسبته، وطبيعة شعر الوصف؛ إذ الفعل المضارع يدلُّ على التجدد في الحدث، فالشاعر عندما كان يصف الشيء بالجمال، فإنه كان يريد أن يجعله متكرر الحدث، ويتصف به على الدوام، أمّا الفعل الماضي، فقد أفاد تحقق الحدث.

جاء تعدد الخبر لإغناء اللفظ، أو للأخبار عن المبتدأ بأشياء متعددة، وكلها صالحة لأن تكون خبراً، فالمحكوم عليه في أشياء متعددة، يكون صالحاً لأن يكون محط وصف؛ لأنه غني بالأشياء التي يمكن وصفها، فالبحتري سعى لاستخدام الجمل الاسمية متعددة الأخبار؛ لإظهار الشيء الموصوف في أجمل حلة. فقد أدّى تعدد الخبر إلى إبراز وظائف دلالية، تتمثل في تناول الشيء الموصوف من جوانب مختلفة، وإضافة إلى ذلك، فإن تنوعه عمل على إغناء الحقل الدلالي من خلال إعادة المعنى نفسه بألفاظ مغايرة تؤدي المعنى نفسه.

## المبحث الرابع

### التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المطلقة

أثر التقديم والتأخير في الجملة الاسمية في الدلالة في شعر الوصف

#### 1. تقدم المبتدأ وجوبا

الأصل في المبتدأ التقديم؛ ذلك لأنه محكوم عليه، ويحدث أن يأتي متأخرا لغاية دلالية لا تتحقق إلا بتأخره، وهناك مواقع لا يجوز فيها تأخير الخبر، فيتعين في ذلك تأخير المبتدأ، وتقديم الخبر كأن يكون الخبر "مشتملا على ما له صدر الكلام مثل: (من أبوك؟)، أو كانا معرفتين، مثل: (زيد القائم)، أو متساويين، مثل: (أفضل منك أفضل مني)، أو كان الخبر فعلا له مثل: (زيد قام) وجب تقديمه." (ابن الحاجب، 2010، صفحة 16) أمّا إذا جاء المسند جملة فعلية، فإنّ الأصل في الجملة التي يأتي فيها المسند فعلا أن يتقدم على المسند إليه، أمّا إذا كان القائل يهدف إلى إحداث غاية دلالية تقع في نفس السامع، فإنّه يقدم المسند إليه، نحو أنا فعلت هذا، فهنا كان تقديم المبتدأ واجبا، وفي هذا دلالة تعني أنك تريد الانفراد بهذا الفعل وحدك على سبيل الحصر. (السامرائي، 2000، صفحة 65)

وقد ورد تقديم المبتدأ تقدما واجبا، ومطابقا لأصل القاعدة النحوية التي لا مسوغ للعدول عنها في مواضع مختلفة من شعر البحتري، ومن ذلك قوله في وصف دمشق لما خرج المتوكل إليها:

[السريع]

وَالدَّهْرُ طَلَّقَ بَيْنَ أَفْيَاهِهَا      وَالْعَيْشُ فِيهَا ذُو حَوَاشٍ رِقَاقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1515)

الدهر: مبتدأ مرفوع، وهو معرف بلام التعريف، وطلق: خبر مرفوع، وهنا كان تقديم المبتدأ واجبا، ومطابقاً لأصل القاعدة النحوية؛ إذ جاء المبتدأ معرفة والخبرة نكرة، وتضافر مع هذا الأصل معانٍ دلالية

تفصح عن أغراض الشاعر؛ فالشاعر هنا يصف مدينة دمشق بهوائها الرطب، وجوها الجميل، ويشير إلى أن الزمان فيها غير مقيد، فجاء الخبر نكرة على سبيل الإطلاق حتى يبين أنه متحرر من القيود جميعها، فلا يخص بذلك تحررها من قيد بعينه، كما أن دلالة الكلمة (طلق) دللت على ذلك فهي تعني التحرر

ووجوب تقديم المبتدأ هنا في قوله: (والدهر طلق) يأتي؛ لأنه جاء معرفا والخبر بعده نكرة، فالشاعر اختار هذا التركيب؛ لتعظيم المبتدأ بتعريفه، وجعل الخبر نكرة؛ لعدم حصره وتقييده. فالمبتدأ إن كان معرفة والخبر نكرة، وجب تقديم المبتدأ؛ لأنه بذلك هو المبني عليه.

ويتقدم المبتدأ وجوبا إذا تساوى مع الخبر في التعريف والتكثير؛ "وذلك إذا حدث تساوي في درجة كل من المبتدأ والخبر تعريفاً وتكثيراً، وليس ثمة ما يميز المبتدأ من الخبر؛ إذ لا سبيل إلى معرفة كل منهما إلا بالالتزام بالترتيب" (أبو المكارم، 2007، صفحة 54) نحو قوله في وصف دمشق أيضاً:

[السريع]

هَوَاؤُهَا الْفَضْفَاضُ غَضُّ النَّدَى وَمَاؤُهَا السَّسَالُ عَذْبُ الْمَذَاقِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1515)

ففي هذا البيت لا مسوغ لأن يتأخر المبتدأ، فقد جاء متقدماً وجوباً؛ لأنهما تساويا في التعريف، فهوؤها مبتدأ معرف بالإضافة، و(غض) خبرها معرف بالإضافة أيضاً، و(ماؤها) مبتدأ معرف بالإضافة، وخبرها (عذب)، وهو معرف بالإضافة أيضاً، فعند التساوي في التعريف، أو في التكثير يجب أن يأتي المحكوم عليه متقدماً.

ويشترك في هذا البيت مع أصل القاعدة النحوية معانٍ دلالية ترتبط بنفس الشاعر؛ إذ يظهر تلذذه بذكر المبتدأ أولاً؛ لأن المبتدأ يشير إلى الاختصاص بدمشق من خلال إضافة (هواء) إلى الضمير العائد على

دمشق، وإضافة إلى ذلك فإنَّ الشاعر جاء بالمبتدأ المتقدم موصوفاً؛ ليجعل المتلقي يستحضر المشهد الجمالي المتعلق بدمشق قبل ذكر الخبر.

ويتقدم المبتدأ وجوبا أيضا إذا كان المبتدأ ضمير شأن (أبو المكارم، 2007، صفحة 53) لأنَّ ضمير الشأن تفسره الجملة الواقعة بعده، وهذا الضمير يأتي للدلالة على الغائب، وإذا كان لمذكر، فهو شأن، وإذا كان لمؤنث، فهو القصة، وعملها واحد، وهذا الضمير من الألفاظ التي لها حق الصدارة في الجملة الاسمية. ويصدق على ذلك قول البحرّي في وصف قصر الساج:

[الكامل]

قَصْرٌ تَكَامَلَ حُسْنُهُ فِي قَلْعَةٍ      بِيضَاءَ وَأَسِطَةَ لِبَحْرِ مُحْدَقِ

(البحرّي، د.ت، صفحة 1483)

فقد تقدم المبتدأ المحذوف (هو) تقدما واجبا، وضابطه أنَّه جاء ضمير شأن، وهو ما توجيهه القاعدة النحوية، وخبره (قصر)، فالشاعر هنا يريد أن يعلي من قيمة القصر، فجاء بهذا التركيب الجملي الذي استطاع من خلاله أن يحيلنا إلى عظمة القصر، وذلك بتقديم ضمير الشأن الذي يشير إلى القصر المذكور في السياق لتعظيمه، وله قرينة تدلُّ عليه في الأبيات السابقة التي يصف فيها قصر الساج، فعظمه بضمير الشأن المحذوف، ثمَّ جاء بالخبر نكرة (قصر) على سبيل التخييم.

وإن كان هذا التركيب لركني الجملة مما يجب أن يلتزم به الشاعر أصلا، إلَّا أنَّه يشير بجملة إلى الدلالة التي يريد الشاعر إظهارها، فلعلَّ أبرز ما يمكن أن يعين الشاعر على تحقيق غرض الوصف، هو أن يستخدم تركيبا جمليا يعين على تعظيم الموصوف في حال كان السياق للتعظيم والتخييم.

## 2. تقديم الخبر جوازا

الأصل في الخبر عند النحاة أن يكون متأخرا، ولكن إذا أمن لبسه، فمن الممكن أن يتقدم، ويكون في تقديمه غايات دلالية، وحكمه في التقديم إما جائزا، وإما واجبا، فإذا كان "المبتدأ نكرة والخبر ظرفا، وذلك كقولك: "في الدار رجل" (ابن يعيش، 2001، صفحة 234) كان تقديمه واجبا، أما في قولك: (في الدار رجل صالح)، فإن تقديم الخبر جائز؛ لأن المبتدأ جاء نكرة.

لكن هذه النكرة جاءت موصوفة، وهذا يعني أن لها مسوغا في الابتداء، وللشاعر الحق في تأخيرها، أو تقديمها، فأى أسلوب يختاره الشاعر يخدم غايات دلالية في شعره؛ لأن تقديم الظرف أو الجار والمجرور، "فيه تفصيل"، فإن كان في الأثبات دل على الاختصاص كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: 25-26]، وكذلك: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: 1]، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى: وقوله: ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تُخَشَرُونَ﴾ [آل عمران: 158]. (الزركشي، 1975، صفحة 236).

وقد تقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة، أو النكرة المسوغ لها الابتداء في اثنين وعشرين موضعا، وتوحي هذه الظاهرة المكررة أن الشاعر يعمد إلى استخدام هذا الأسلوب التركيبي في الجملة الاسمية؛ لتحقيق غايات دلالية في أشعار الوصف. ومن هذه الأنماط التي جاء فيها الخبر مقدما رغم وجود مسوغ الابتداء بالمسد إليه:

### نمط 1: الخبر شبه جملة، والمبتدأ نكرة مؤخر

وهذا النمط هو من أكثر الأنماط حضورا في شعر الوصف؛ إذ يتقدم الخبر على المبتدأ تقديما جائزا ويكون المبتدأ نكرة مخصصة، وقد تكرر تسع مرات في شعر الوصف، وهو يعبر عن رغبة الشاعر

في إظهار أهمية المقدم، ولفت انتباه المتلقي إليه، ومن ذلك قول البحترى في وصف البركة التي أنشأها المتوكل:

[البسيط]

لَهْنٌ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا إِذَا انْحَطَّطْنَ، وَبَهْوٌ فِي أَعَالِيهَا  
(البحترى، د.ت، صفحة 2419)

ففي هذا البيت جاء الخبر شبه جملة (لهن) مقدم، وصحن مبتدأ مؤخر، وجاء المبتدأ نكرة موصوفة، وحقه التقديم، والشاعر هنا بالخيار؛ إذ الأصل حسب المعيار النحوي أن يأتي المبتدأ مقدماً؛ لأنه واقع بالجواز النحوي، ويجوز أن يكون تركيب الجملة (صحن رحيب لهن)، لكن البحترى هنا أراد رسم صورة جميلة للبركة الحسنة؛ ليقنع المتلقي من أول الأمر على اتساع البركة.

ولعلَّ الظاهر في الأثر الدلالي لهذه الجملة أنَّ الشاعر هدف من وراء ذلك إلى التدليل على السعة الكبيرة لهذه للبركة. (السامرائي ، 2000، صفحة 154) فقدم شبه الجملة لهن على سبيل الحصر والتخصيص. ثمَّ فصل بحركة الأسماك داخل البركة؛ لتكتمل الصورة في ذهن المتكلم، وهو يتخيل الأسماك، وهي تنزل إلى أسفل البركة، فتتمتع بحرية الحركة لاتساع البركة من الأسفل، ثم إذا صعدت هذه الأسماك إلى أعلى، وجدت نفسها في متنوع آخر، فتقديم الخبر شبه الجملة (لهن) جاء ليشير إلى حرية حركة الأسماك داخل البركة، وهو ما يشير ضمناً إلى اتساع البركة من الأعلى ومن الأسفل.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً، قول البحترى في وصف الذئب:

[الطويل]

لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرَّشَاءِ يَجِرُّهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مَنْأَدُ  
(البحترى، د.ت، صفحة 743)

يُصور البحترى في هذا البيت الذئب، فحرص على إظهار أدق تفاصيله؛ إذ له ذنب يجره كما يُجرُّ الحبل، وله ظهر أعوج كاعوجاج القوس، فنلاحظ هنا أنَّ الشاعر في هذا البيت وقع بالخيار؛ إذ جاء المبتدأ نكرة مخصصة بالوصف، وكان حق المبتدأ أن يكون أولاً، لكنَّ الشاعر اختار هذا التركيب؛ لإبراز دلالة معينة، فشبه الجملة المقدم (له) في محل رفع خبر، وذنب مبتدأ مؤخر موصوف ب (مثل)، والأصل في الجملة أن تكون ذنب مثل الرشاء له، لكنَّه عدل عن أصل التركيب الإسنادي للجملة الاسمية حسب النظام المعروف في النحو العربي.

إضافةً إلى ذلك، فإنَّ تقديم الخبر هنا أسهم في إزالة اللبس عن الخبر، لأنَّ المبتدأ الموصوف قد يأتي متقدماً، فيظن المتلقي أنَّ الفعل (يجره) هو الخبر، فعند النحاة يحدث أن يتقدم الخبر شبه الجملة للتبويه من أول الأمر على الخبر (القزويني، د.ت، صفحة 192)، وإذا قلنا: (ذنب له مثل الرشاء) لوقع الجار والمجرور صفة، و (مثل) هي الخبر، لكنَّ الشاعر هنا يريد أن يخبر بالجار والمجرور، فقدمه ليصح الخبر، فكأن البحترى هنا ينبه القارئ على الصورة التي آل إليها الذئب وصرف الذهن إلى الصورة الحقيقية التي كان عليها سابقاً؛ ليتضح أمام القارئ الهيئة التي عليها الذئب الآن. فعمد إلى تقديم الخبر شبه الجملة للإخبار بحقيقة امتلاك الذئب لهذه الذئب التي تشبه حبل الدلو المجرور؛ لتمثيل صورة الذئب، وهو يستحکم قوته لشدة جوعه.

ومثل ذلك أيضاً قوله في وصف مجلس دعا إليه المبرد:

[الخفيف]

حُ فَسِيحٌ تَرْتَاخُ فِيهِ الْقُتُوبُ

وَلَنَا مَجْلِسٌ عَلَى النَّهْرِ فَيَا

(البحترى، د.ت)

يدعو البحترى في هذا البيت المبرد إلى مجلسه، فجاء بوصف جميل لهذا المجلس من خلال تجميله، لإغرائه به؛ إذ يوجد به ما تحتاجه الأنفس، وما يسد به الجوع والعطش، ويقع على النهْر، وهو واسع،

وترتاح فيه قلوب المقيمين، وقبل هذا الإغراء نلمس أنّ الشاعر جاء يتفاخر بملكيتة لهذا المجلس، فجاء بجملة اسمية قدّم فيها الخبر (لنا مجلس).

فشبه الجملة جار ومجرور (لنا)، والمبتدأ (مجلس) نكرة، ولكنّه مخصص بوصف (فياح)، فكان حقه التقديم؛ لأنّ له مسوغ الابتداء، ولكنّ الشاعر قدّم شبه الجملة الجار والمجرور على سبيل التخصيص؛ ليخبر بذلك المبرد أنّ هذا المجلس خاص بهم؛ أي الإخبار بملكيتة لهذا المجلس على سبيل التفاخر.

وقد يكون المبتدأ مخصصا بشبه جملة جار ومجرور، وحق المبتدأ أن يكون متقدما، ومن ذلك قول البحرّي في وصف الإيوان:

[الخفيف]

فَهُوَ يُوَيْدِي تَجَأُداً وَعَلَيْهِ كَلَّكُلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي  
(البحرّي، د.ت، صفحة 1159)

جعل البحرّي الإيوان كالإنسان الذي أثقلته هموم والأحزان بنوائب الدنيا إلّا أنّه يظهر تجلده وعنفوانه، فنلاحظ من قوله: (وعليه كلكل) أنّ شبه الجملة (عليه) في محل رفع خبر مقدم، و (كلكل) مبتدأ مؤخر والذي سوغ تقديم الخبر، هو الجواز النحوي لا الوجوب؛ ذلك لأنّ المبتدأ المؤخر خصص بشبه الجملة (من كلاكل)، وله مسوغ الابتداء، ولعلّ الملاحظ هنا أنّ الشاعر قدّم الخبر؛ لربطه بالكلام السابق؛ إذ شبه الجملة (عليه) جاءت شاملة لكل ما يتعلق بالإيوان، فقد تقدمت لتخبر أنّه أثقل بهذه المصائب في عمومها، إلّا أنّه يقف صامداً.

ويحتمل فيها أيضا أنّ تكون تنبيها للقارئ على أنّها واقعة في عمومها حتّى تكون الصورة أقوى في الذهن؛ إذ إبداء الصبر على من أثقلته هموم من الجوانب كافة تكون أقوى تأثيرا في المتلقي، وأحسن تمثيلا للصورة.

## نمط 2: الخبر شبه الجملة مقدم والمبتدأ معرفة

وقد يأتي المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة مقدما، ومن ذلك قول البحتري في وصف منبج معلقا على تركها:

[الوافر]

لَهَا الْكَنْفُ الرَّحِيبُ بِسَاحَتَيْهِ      وَطُولُ مَعْرَسِ الظِّلِّ الْمَدِيدِ  
(البحتري، د.ت، صفحة 682)

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، والمبتدأ المعرفة له حق الصدارة حسب التركيب الإسنادي للجملة الاسمية، ولكن يجوز في هذا النوع أن يتقدم الخبر على المبتدأ تقدما جائزا، وفي هذا البيت وقع الخبر (لها) شبه جملة مقدم، والمبتدأ (الكنف) جاء معرفة، وإعرابه مبتدأ مؤخر مرفوع، ولما كان الشاعر بالخيار، وعدل عن التركيب الأصلي للجملة وأخر المبتدأ، وهو معرفة، فيمكننا من ذلك أن نقول: إن الشاعر اختار هذا الترتيب لغاية؛ إذ التعبير الطبيعي في هذا النوع من الجمل "أن يتقدم المبتدأ على الخبر" (السامرائي، 2000، صفحة 154)، فنقول: الكنف الرحيب لها إلبا أن الشاعر يريد الإخبار بشبه الجملة، فقدمه على سبيل الحصر؛ لصرف انتباه المتلقي إليه؛ لإقناعه بحبه لها، وأن خروجه منها لم يكن لكرهها.

وقد يأتي المبتدأ معرفة من المبهمات كأن يكون المبتدأ اسما موصولا، ومن ذلك قول البحتري في وصف النبيذ:

[مجزوء الوافر]

وَفِيهَا مَا تَرُدُّ بِهِ الـ      ظَمَاءَ وَتُذْهِبُ السَّغْبَا  
(البحتري، د.ت، صفحة 269)

يعاتب الشاعر في هذا البيت صديقه مازحا على تركه النبيذ، وفيه ما يذهب عطشه وجوعه، فجاء بجملة اسمية خيرها مقدما للأهمية، وإضافة إلى ذلك، فقد جاء الاسم الموصول من المبهمات لكنه معرف بصلته، (ابن يعيش، 2001، صفحة 349) وحقه التقديم، وتأخير جاز، لكنّ البحتري جعل الخبر شبه الجملة هنا مقدما، رغم أنّ المبتدأ جاء اسما موصولا، والأصل فيه أن يتقدم، وهنا يظهر أثرُ غرض الوصف في توجيه الجملة الاسمية؛ لأنّ الشاعر قدم الخبر شبه الجملة هنا للأهمية على سبيل الحصر؛ أي كيف تتركها وفيها ما يذهب الجوع والعطش.

أمّا تقديم المبتدأ جوازا وتقديم الخبر وجوبا، فلم أجد لهما أمثلة في شعر الوصف عند البحتري.

ولعلّ الملاحظ مما سبق:

كان تقديم المبتدأ تقديما واجبا مناسبا لطبيعة الدلالة الوصفية، لأنّه قد يكون هو محور الكلام، وذكره في البداية أهم، أو لجعل الخبر يكون أمكن "في ذهن السامع؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه" (القرويني، د.ت، صفحة 50)، وإضافة إلى ذلك فإنّ المبتدأ هو الموصوف، والموصوف هو المحكوم عليه، فيأتي متقدما في مواضع يقتضيها السياق.

ونلاحظ أيضا أنّ تقديم الخبر ارتبط بدلالة غرض الوصف؛ إذ أكثر حالات تقديمه كانت تهدف إلى التركيز على الخبر لأهميته، والإخبار به قبل مجيء المخبر عنه؛ لئلا يقع التباس بأنّ صفة المبتدأ\_ حال ورودها- هي الخبر.

## المبحث الخامس

### الحذف في الجملة الاسمية المطلقة، وأثره في الدلالة في شعر الوصف.

#### أولاً: أهمية الحذف في الجملة الاسمية

يقع الشاعر في الجواز اللغوي بين عدة خيارات تركيبية، فيلجأ إلى استخدام تراكيب معينة في إطار ما تجيزه اللغة، دون أن يؤثر هذا الحذف في إفساد المعنى، ويكون الشاعر بهذا قد فضّل واحداً من هذين التركيبين. ولعلّ في ميله إلى بعضها دون الآخر، إشارة إلى أنه يركز على إظهار دلالات معينة، أو أنه يهدف إلى جعل الصورة المقصودة حية في ذهن المتكلم. وخير دليل على ذلك أنّ الحذف في بعض مواضعه يكونه أشدّ تأثيراً في النفوس، وأكثر وقعاً؛ إذ إنّ بعض التراكيب تكون كزائر مقيم في القلوب، وبعضها لا يبقى له أيُّ أثر.

يضاف إلى ذلك أنّ بعض الألفاظ المحذوفة يكون حذفها آتس من النطق بها؛ ذلك لأنّ في حذفها تظهر دلالات لولاه لما تمكنت هذه الدلالات من الظهور، (الجرجاني، د.ت، صفحة 152) فالحذف هو الذي يعطي جمالية للنص؛ لذا أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الجمالية التي يحققها الحذف؛ إذ يقول: "وأنّ ربّ حذّف هو قِلاَدَةُ الجيد، وقاعدةُ التّجويد." (الجرجاني، د.ت، صفحة 151) ولا يقتصر الحذف على البلاغيين، بل هناك اهتمام واضح عند النحويين، ولعلّ ذلك يرجع إلى القيمة الدلالية التي يؤديها الحذف داخل النص؛ ذلك لأنّ أكثر مواضع الحذف تؤدي أغراضاً دلالية.

فتتبع أهميته من كونه أسلوباً من الأساليب التي تُسخرها اللغة لتحقيق غايات بلاغية، ومعانٍ دلالية موسعة، ثمّ إنّ له قيمة عظيمة تتمثل في اختصار الألفاظ في بعض المواطن للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لجعل النفس تذهب به كل مذهب، وهذا يأتي خاصة مع حذف الخبر، فقد لا يستطيع الوصف تأدية الغرض المطلوب عن الموصوف من خلال الإخبار عنه، فيحذف الخبر، ويكون

بحذفه رسالة مفادها أنه لا شيء من الألفاظ بإمكانها أن تعطي المخبر عنه حقه (الصعدي، 2005، صفحة 337).

وحين النظر إلى تركيب الجملة الاسمية تظهر مقدرتنا على قطع جزء من ركنيها الأساسيين مع مراعاة الشروط التي وضعها النحاة، فأكثر أغراض حذف أحد ركنيها مرتبط بنفس المتكلم والسامع، وبالظروف والملابسات التي تقتضي الحذف؛ وذلك بناء على مناسبة الأغراض والأحوال والسياقات.

وإجازة الحذف في مواضع ومنعها في مواضع أخرى أكبر دليل على أن الحذف لا يأتي اعتباطاً أو تجاوزاً، ولكن له دوافع، وأسباباً تدفع الأديب لاستخدامه، ومن هذه الدوافع:

الاختصار: ويكون ذلك في الجملة الطويلة التي لا يوجد فائدة دلالية من طولها؛ إذ يقول سيبويه: " لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل، وكأنه شيء يصير بدلاً من شيء." (سيبويه، 1988، صفحة 38) وإضافة إلى ذلك، فإن طول العنصر اللغوي قد "يؤثر في فهم الجملة." (عفيفي، 1996، صفحة 282)

التخفيف: وذلك لتخفيف الألفاظ، وتقليلها.

الاتساع: يهدف الحذف إلى توسيع المعاني الدلالية من خلال جعل المتلقي يسهم في صناعة النص من خلال إشراكه في تأويل المحذوف.

التفخيم والتعظيم: وذلك حين القصد من التأكيد على أن لا شيء يعبر عنه تعبيراً جميلاً، فيتترك، أو يقطع للفت انتباه القارئ إليه كضمير الشأن الواقع مبتدأ.

ربط عناصر النص ببعضها: وذلك لأن الشيء المحذوف يكون له إمّا دلالة لفظية، أو حالية، ومهما كانت هذه الدلالة، فإن المتكلم يقدرها، أو يستحضرها في ذهنه، وبهذا يترابط النص في ذهن المتكلم.

صيانة المحذوف: يحذف الشيء تشريفاً له عن الذكر.

وبذلك يتضح أنّ أهمية الحذف تأتي من كونها أداة تثير فضول المتلقي، واهتماماته في تقدير الشيء المحذوف، لأنها لعبة يمارسها الكاتب على المتلقي؛ لإثارة الشغف لديه؛ لاستيضاح المحذوفات، فالمتلقي لا يكتفي بالمذكور فقط، بل يعمل على استرجاع ما قطع لفظاً.

ثانياً: مواضع الحذف في شعر البحري، وأثره في الدلالة في شعر الوصف.

الأصل في المبتدأ أن يكون مذكوراً كي يكون الحكم عليه مفيداً، إلا أنه قد يحذف وفقاً للشروط التي وضعها النحاة جوازا، أو وجوبا (الهاشمي، د.ت، صفحة 131).

ومن مواضع الحذف في شعر الوصف عند البحري:

### 1. حذف المبتدأ

يحذف المبتدأ، ويكون حذفه إما جائزا، وإما واجبا، فيحذف حذف واجبا إذا كان "كالمخبر عنه بنعت مقطوع لمجرد مدح، أو ذم، أو ترحم، أو بمصدر بدلا من اللفظ بفعله، ومخصوص في باب نعم، أو بئس" (ابن مالك، 1967، صفحة 45). ويكون حذفه جائزا في مواطن، وهذه المواطن، هي: في جواب الاستفهام، وبعد الفاء الداخلة على جواب الشرط، وبعد القول، وبعدما يقع بعد شيء وقع الخبر صفة له في المعنى (أبو المكارم، 2007، صفحة 60).

ولا يكون حذف المبتدأ إلا مفردا؛ ذلك لأنه لا يبتدأ إلا بالأسماء المفردة، ويتعذر تقدير الجمل في المفردات، وقد ترد جملة على تقدير المفرد على جهة الشذوذ، كقولهم: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» والذي حسنه كونه في تأويل المصدر (العلوي، 1423، صفحة 64)؛ أي سماعك. وهذا النمط من الحذف شائع في اللغة العربية، "وهو شيعو يشهد أنّ حذف المبتدأ جوزا يتفق و فطرة اللغة العربية وناموسها، مما سهل على النحاة مهمتهم، ودفعمهم إلى وضع المسألة التي تتصل بالحذف" (البدارين، 1999، صفحة 141).

وقد ورد المبتدأ محذوفا في مواطن عديدة من أشعار الوصف، وبلغ عدد هذه المواضع التي حُذِفَ فيها المبتدأ اثنين وعشرين موضعا، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنه لم يرد في حذف المبتدأ مثال حُذِفَ فيه المبتدأ على الوجوب، إنما كانت الأمثلة الواردة جميعها في سياق الحذف الجائز، ومن هذه المواطن:

أنَّ المبتدأ يُحذف في سياق جملة معطوفة على جملة أخرى، ومن ذلك ما قاله البحثري في وصف الأرض التي أقيم عليها القصر الجعفري:

[البسيط]

مُخَضَّرَةٌ وَالغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ وَمُضَيَّةٌ وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقْمِرٍ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1040)

فقد جاء الخبر (ومضية) في سياق عطف جملة على جملة، وتقدير الكلام، وهي مضية، (فمضية) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي)، ويجوز في إعرابها وجهان، الأول: أن تكون اسما معطوفا، والثاني: أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف في سياق عطف جملة على جملة، فالقرينة الدالة على المبتدأ، هي تركيب الجملة المعطوفة عليها.

فقد أبدع الشاعر في وصف المكان الذي يقع فيه القصر الجعفري، فهو مكان مرتفع، وأرضه مفروشة باللؤلؤ، وبهذا يكون حذف المبتدأ اختصارا للألفاظ، وتنبهها للسامع على كلمتي مخضرة، ومضية، فلا ينصرف الذهن إلا إليهما؛ لأنَّ البحثري في سياق وصفه للأرض التي أقيم عليها القصر الجعفري، لم يكن المبتدأ هو المحور، بل كان الخبر هو محور الكلام، فالشاعر يريد التركيز على الأخبار لجعل الذهن لا ينصرف إلا إليها.

أضف إلى ذلك، فإنَّ حذف المبتدأ في البيت السابق أسهم في تماسك النص الشعري، وربط هذا البيت بالأبيات السابقة، فصار البيت مع ما قبله وحدة واحدة؛ لأنَّ المتلقي لا يكتفي بذكر الصفات وحدها، بل

يعمد إلى تقدير المحذوف، والبحث عنه، وإحالته إلى غير المبهم لفك إبهامه، وبالتالي العودة إلى سابق النص؛ لاكتشاف المحذوف، فنترايط الألفاظ في ذهنه، وتتسجم شبكة العلاقات اللغوية.

ويوافق ما سبق أيضا قول البحري عن جمال المتوكلية، والسعة الكبيرة التي تتمتع بها:

[الكامل]

وَفَسِيحَةً الْأَكْنَافِ ضَاعَفَ حُسْنَهَا      بَرَّ لَهَا مَفْضَى وَيَحْرُ مُتْرَع

(البحري، د.ت، صفحة 1312)

ففي هذا البيت يصف البحري المتوكلية، ويعبر عن مدى اتساعها، ويبين أنها آية في الجمال، ولعلّ الذي زاد في جمالها أنها محاطة ببر جميل، وبحر ممتلئ، وعبر عن اتساعها وجمالها بجملة اسمية جاء فيها المبتدأ محذوفا. وتقدير الكلام، وهي فسيحة.

وحذف المبتدأ لدلالة التركيب السابق عليه؛ لأنه معلوم في ذهن المخاطب، فلا حاجة لذكره؛ إذ لو ذكر لأصبح الكلام ممجوجا مفتقرا إلى معيار المقبولية الذي يعدُّ أحد معايير لسانيات النص الحديثة. ودليل المتلقي في المحذوف، هو السياق التي تتحدث عنه الأبيات في مجملها، فالجملة الواقعة في البيت السابق، وهي الجملة المعطوفة عليها هذه الجملة، تدلُّ على أنّ المبتدأ المحذوف، هو الضمير (هي) العائد إلى المتوكلية، وهذا الأسلوب اللغوي يعمل على ربط السابق باللاحق، وبيّح الفرصة أمام المتلقي كي يتدبر، ويتمعن في الشيء الموصوف من خلال الاكتفاء بذكر الخبر، فلدى الشاعر رغبة ظاهرة في التركيز على الخبر حتى يستقرّ في ذهن المتلقي أنها مكان متسع جميل صالح للتنزه والاستجمام.

وقد يحذف المبتدأ تعظيما للخبر، ومن ذلك ما جاء في وصف للقصر الجعفري، ومدح للخليفة المأمون، فعظم الخليفة بذكر كلمة ملك تولى، ووصف بعبارة أفضل مكان، وذلك في قوله:

[الكامل]

مَلِكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ إِقَامَةً فِي خَيْرِ مَبَدَى لِلْأَنَامِ وَمَحْضَرٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1040)

ففي هذا البيت يستأنف الشاعر وصفه لقصر الجعفري الذي بناه جعفر البرمكي للخليفة المأمون، والملاحظ في هذا البيت أنّ الشاعر لجأ إلى وصف القصر، بالاستعانة بالجملة الاسمية المحذوف فيها المبتدأ، وتقدير الجملة (هو ملك)، والحذف هنا جائز لقريضة دلّت عليه في البيت السابق، والقريضة هي لفظ (الخليفة)، وقريضة أخرى حالية دلّ عليها سياق البيت، وقد حذف الشاعر الضمير (هو) العائد على الخليفة؛ اختصاراً للكلام أولاً، وللفت انتباه المخاطب إلى الخبر، وهو ملك؛ وذلك لتعظيمه، وقد استخدم الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ المحذوف، وخبره المذكور تمهيداً لوصف القصر، وهو خير دار في خير مكان.

ومن ذلك أيضاً قول البحثري علو "القصر الجعفري"، وشموخه:

[الكامل]

عَالٍ عَلَى لَحْظِ الْعُيُونِ كَأَنَّ مَا يَنْظُرُنْ مِنْهُ إِلَى بَيَاضِ الْمُشْتَرِي

(البحثري، د.ت، صفحة 1041)

يستمر البحثري في وصف القصر الجعفري في سياق الإشادة بصنيع المتوكل، فهذا القصر لشدة ارتفاعه فإنه يخيل للناظر إليه أنّ النور المنبعث من أعالي شرفاته ممزوج بالنور الأبيض المنبعث من كوكب المشتري. ولعله واضح أنّ هذا البيت جاء للدلالة على علوه وشموخ شرفاته، فجاء الشاعر بجملة اسمية تصدرت البيت، كان المبتدأ فيها محذوفاً، وتقدير الجملة (هو عالٍ)، والحذف هنا جائز لدلالة القريضة عليه، وهي واضحة من خلال الأبيات السابقة، والغاية من الحذف هنا هي لفت نظر المتلقي إلى

المسند، وهو هنا علو القصر الجعفري وارتفاعه بقوله: (عالٍ)؛ إذ بحذف المبتدأ تقصر الألفاظ، فيكون الخبر هو أول ما يترأى إلى سماع المتلقي، فيقع في نفسه من خلال دلالاته المعجمية الدالة على الارتفاع، وصيغته الصرفية، فاسم الفاعل يدلُّ على اتصاف ذاته بالحدث، فعلو الشيء يعني اتصافه بحدث العلو.

إضافة إلى ذلك فإنَّ حذف المبتدأ أسهم في الربط الذهني بين هذا البيت، وبين الأبيات السابقة؛ فالمتلقي يعمل على استحضار الشيء المحذوف، ويقدره ذهنياً، وبهذا ينصرف ذهن إلى استحضار القصر الجعفري في سياق الحديث عن علوه وارتفاعه.

ومن أمثلته أيضاً ما جاء عند البحري دالا على علو إيوان كسرى، وارتفاعه:

[الخفيف]

مُشْمَخَرٌ تَعَلَّوْا لَهُ شُرْفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

(البحري، د.ت، صفحة 1160)

ففي هذا البيت حُذِفَ المبتدأ، وتقدير الكلام (هو مشمخر)، وبهذا يكون الإعراب: مشمخر: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، وللحذف قرينة دلَّ السياق عليها؛ إذ إنَّ المحذوف هو الضمير العائد على الإيوان، ولعلَّ في حذفه ترابطاً مفهوماً بين أجزاء النص، فالمخاطب ينصرف ذهنه إلى الخبر، ويبحث عن المحذوف بالجملة، ففي كل مرة يعمل فيها على تقدير المحذوف تزداد لحمة النص، ويتحقق ترابطه، ولو كان هذا الترابط غير ظاهر على السطح، فإنَّه يعمل على تقديره. كما أنَّ في حذف المبتدأ صرف ذهن المتلقي إلى استحضار صورة علو الإيوان وارتفاعه، فهو شاهق تعلوه شرفات كأنَّها رفعت على رؤوس رضوى، وقُدس، وكلُّ ذلك أظهره السياق.

ومن جميل حذف المبتدأ حذفاً جائزاً ما ورد عند البحرني من وصف دمشق لما خرج إليها المتوكل، فقد صورها بامرأة تشتاق إلى حبيبها، وتتنظر نحوه عند قدومه:

[السريع]

نَاطِرَةٌ نَحْوَكُ مُشْتَاقَةٌ مِنْكَ إِلَى الْقُرْبِ وَوَشْكُ التَّلَاقِ

(البحرني، د.ت، صفحة 1515)

يصور البحرني في هذا البيت دمشق، وهي تشتاق إلى المتوكل لما قدم إليها، وكأنها محبوبة تشتاق إلى لقاء حبيبها، فجاء بجملة اسمية حذف فيها المبتدأ حذفاً جائزاً، وتقدير قول الشاعر، (هي ناظرة)، فكلمة ناظرة خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي، وكذلك في قوله: مشتاقه فقد حذف المبتدأ، ومشتاقه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي عائد على دمشق؛ لصرف النظر إلى الخبر؛ أي إن دمشق تنظر إليه وتشتاق إلى قدومه، والقرب منه، والاقتراب من لقائه. كما أن الخبر جاء على صيغة اسم الفاعل، وهو وحده كان كافياً للدلالة على المبتدأ؛ لأنه متضمن ضميراً يعود على دمشق.

وقوله أيضاً في وصف البركة الحسنة التي أنشأها المتوكل:

[البسيط]

مَحْفُوفَةٌ بِرِيَاضٍ لَا تَزَالُ تَرَى رِيْشَ الطَّوَاوِيسِ تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا

(البحرني، د.ت، صفحة 2420)

وتقدير قوله: هي محفوفة؛ أي البركة الحسنة، فالحذف هنا جائز دل عليه السياق، لأن البركة المذكورة في الأبيات السابقة، وقد حذف المبتدأ هنا؛ لأنه يوجد ما يدل عليه من السياق دون أن يخل في المعنى، بل على العكس أضاف معنى جديداً تمثل في ضرورة التركيز على الخبر؛ لاستحضار صورته، فالبركة محاطة ببساتين تشبه في جمالها ريش الطواويس، فالشاعر يريد صرف نظر المتلقي إلى الخبر، فحذف

المبتدأ كي لا يشغله عن استحضر الصورة الجميلة للخبر، ومثل هذا الصرف لا يتأتى إلا من حذف المبتدأ.

ولعلني لا أجوز حد الحقيقة إذا قلت أيضا: إنَّ حذف المبتدأ يسهم في رفع من شأن المحذوف إذا كان سياق النص يهدف إلى الرفع من شأنه، وقد تمثل في تعزيز هذه الصورة وصف للبحثري خيل أهدي إليه:

[الطويل]

مِثْلُ الْعُقَابِ انْقَضَ مِنْ عَلْيَائِهِ فِي بَاقِرِ الصَّمَانِ أَوْ أَرَامِهِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1991)

ففي هذا البيت يظهر البحثري وهو يصور الخيل، وكأنَّه العقاب الذي ينقضُّ على فريسته، فقد حذف المبتدأ من الجملة الاسمية، وتقدير الجملة: هو مثل العقاب، وربما حذف المبتدأ هنا للإعلاء من شأنه، وصرف النظر إلى الخبر؛ ليتجلى المشهد للسامع، ويكون وقعهُ أشدَّ تأثيراً، فإننا نلمس ذلك من إحساسنا أنَّ قوله مثل العقاب أجمل من قوله هو مثل العقاب، فقد حذف الضمير (هو) للإعلاء من قيمته. وإضافة إلى ذلك فإننا نلمس في ذلك عنصر المفاجأة في حركة الحصان، وهو ينقض على فريسته من الأعلى إلى الأسفل.

## 2. حذف الخبر

الأصل في الخبر أن يكون مذكوراً؛ لأنَّه محط الفائدة، وهو الجزء المتمم للمبتدأ، ولا يتحقق المعنى إلا به ذكراً أو تقديراً، ولكن يحدث أن يحذف من اللفظ إذا اقتضت الدلالة على ذلك، ويكون حذفه إمَّا واجباً، وإمَّا جائزاً، وخاضعاً لأحكام النحاة، فيحذف كما هو المبتدأ، وذلك عند قيام القرينة الدالة على خصوصهما (ابن أيوب، 2000، صفحة 150)، فمن "الجواز أن يحذف الخبر لدليل، كقول ابن الخطيم (الأنصاري، 1986، صفحة 205):

[المنسرح]

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راضٍ والرأيُ مختلفٌ  
(ديوان ابن الحطيم، 1967، صفحة 239)

والمحذوف هو الخبر راضون، وتقدير الكلام، نحن بما عندنا راضون.

وخلال تتبعي لأشعار الوصف وجدت أن حذف الخبر كان قليلا؛ إذ لم يرد محذوفا إلا في موضعين اثنين، وكان حذف الخبر فيهما محذوفا حذفاً جائزاً دلَّ عليه سياق المقام، ولعلَّ حذفه في المثالين جاء مناسباً لطبيعة السياق الواردة فيه، ومن ذلك ما قاله في وصف تمام المحمدية:

[المنسرح]

مُشْرِقَةٌ فِي الْعُيُونِ ضَاحِكَةٌ مَبْدُوهَا أَنَسٌ وَمَحْضَرُهَا  
(البحثري، د.ت، صفحة 1075)

جاء في عجز البيت جملتان اسميتان لهما الخبر نفسه لفظاً، فقوله مبدؤها أنس مبتدأ وخبر، وكذلك محضرها أنس، فقد حذف الخبر حذفاً جائزاً يبيحه فهمه من السياق ضمناً، فالشاعر يريد أن يدل على أنَّ المحمدية أنس في داخلها، وفي مدخلها، ويريد أن يحكي عن جمالها وعن إشراقها، وعن الأمان والأمان فيها، وقد جاء في هذا البيت جملة اسمية خبرها محذوف دلَّ عليه السياق، فعند النحاة يجوز حذف الخبر لدليل، وتقدير الجملة ومحضرها أنس، فقد حذف الخبر هنا؛ لأنَّ السياق دلَّ عليه؛ إذ تقدم ما يدلُّ عليه. وحذفه أيضاً جاء لإقامة الوزن الشعري، إذ لو ذكرها لاختل الوزن. أضف إلى ذلك فإنَّ حذف الخبر جاء لأنَّ المعنى ظاهرٌ بدون ذكرها. فالحذف هنا جائز لدلالة الكلمة السابقة عليها، وهذا الحذف ضرب من الإيجاز الذي يضيف على النص جمالا، فلو ذكر الشاعر الكلمة مرة أخرى لأصبح الكلام ممجوجاً، ولا يرتقي إلى رقي الكلام المخصص لشعر الوصف.

وبعيدا عن هذه الأسباب غير الدلالية، فإنَّ هذا البيت جاء في سياق وصف، والشاعر في الوصف يسعى لجعل الشيء الموصوف يظهر بأجمل صورة، فقد حذف الخبر تجنباً لتطويل الكلام، وجعل كلمة (أنس) تقع في النفس، بعدم تكرارها حتى لا تكون مبتذلة، وهي محور الكلام الذي يريد الشاعر التركيز عليه، وهي تعني الأمن والأمان في المحمدية. فلا يتصور في ذهنك أن يكون خالي الذهن من الخبر، وإنَّك إن ورد مبتدأ خبره محذوف، فإنك تعمل على استحكام نفسك حتى تتبين هذا الخبر، فتقول مثلاً: ماذا محضرها، فيستقر في ذهنك أنَّ محضرها أنس بناء على ذكرها في الكلام السابق، فالخبر إن كان محذوفاً ينشئه المتلقي في نفسه، ويناجي به قلبه، وفكره وإحساسه (الجرجاني، د.ت، صفحة 528).

يظهر من الأمثلة السابقة تفوقَ حذف المبتدأ حذفاً جائزاً في شعر الوصف على حذف الواجب، وهذا ينطبق مع العادات الكلامية عند العرب، "فَحَذَفُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ اسْتِعْمَالٌ شَائِعٌ عِنْدَ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرُوا مَوْصُوفًا بِأَوْصَافٍ، أَوْ أَخْبَارٍ جَعَلُوهُ كَأَنَّهُ قَدْ عُرِفَ لِلسَّمْعِ، فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ أَوْ فَتَى أَوْ رَجُلٌ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيرِ هُوَ فَلَانٌ" (ابن عاشور، 1984، صفحة 313). وفي شعر الوصف كان يتحدد الموصوف خلال سياق الكلام، أو يذكر في البيت نفسه، أو في الأبيات السابقة، يقول ابن السراج: "حذف المبتدأ وإضماره إذا تقدم من ذكره ما يعلمه السامع" (ابن السراج، د.ت، صفحة 68).

جاء حذف الخبر حذفاً جائزاً في موضعين فقط، ولم يوافق أيُّ موضع من مواضع الأبيات الواردة في شعر الوصف حذف الخبر حذفاً واجباً، ويعود ذلك لأنَّ شعر الوصف يناسبه التركيز على الخبر، فهو المحور؛ لأنَّ المبتدأ معروف للعامة، ولكنَّ الأوصاف التي يعبر عنها الخبر هي التي تكون مجهولة، وهي محط الفائدة.

يتبين أيضاً أنَّ ما ورد من حذف للمبتدأ جاء لأنَّ هناك قرائن مقالية، وحالية وعقلية تدلُّ على المبتدأ، وهذا يتفق مع شروط النحويين والبلاغيين في أنَّ المبتدأ يحذف إذا كان هناك دليل عليه مع التأكيد على أنَّ الحذف لم يكن اعتباطاً، بل حذف لغاية بلاغية، ومعانٍ دلالية، بالإضافة إلى ترك فرصة للقارئ لتأويل المحذوف.

ثمَّ إنّ المبتدأ كان يحذف، فتقل الألفاظ، وتحتل التراكيب معاني أوسع، فقد استمد البحثري أعذب معاني الوصف من الألفاظ والتراكيب التي كان يستخدمها، فكان حذفه مناسباً لوصف مظاهر الطبيعة والعمران والحيوانات والمعارك وصفاً متاهياً من خلال صرف النظر إلى الخبر، والتركيز عليه، فكأنه بذلك يشير إلى أنّ المبتدأ معروف، فلا حاجة لذكره، فقد دلَّ عليه السياقان اللفظي، والحالي.

## الفصل الثاني

### الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الحرفية والفعلية في شعر الوصف عند البحتري

يهدف هذا الفصل إلى الوقوف على أنماط الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الفعلية والحرفية، ومناقشتها نحويًا، وبيان أثرها في الدلالة في شعر الوصف؛ فالبحتري وظَّف الجملة الاسمية المنسوخة في مواطن كثيرة في أشعار الوصف؛ ومما لا شكَّ فيه أنَّه وباستخدامه لهذا النمط من الجمل المقيدة هدف إلى تحقيق غايات دلالية لا تتحقق إلاَّ بهذا القيد. ولأنَّ للنواسخ دلالات على الجملة، فسيعمل الباحث على دراسة الجملة الاسمية المنسوخة بأنماطها المختلفة، ويبيِّن أثر دخول هذه النواسخ عليها من ناحية الإعراب، ومن ناحية دورها في توسيع الدلالة، وفي تحقيق غايات بلاغية تخدم السياق.

وقد رصدت ما ورد من هذه الأدوات في شعر الوصف، وأقمت حوله دراسة نظرية تخدم الجانب التطبيقي، وما لم يرد من هذه النواسخ في أشعار الوصف، لم أخصص له حديثًا في الجانب النظري.

## المبحث الأول

### الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الفعلية والحرفية، مفهوماً، ومعانيها، ودلالاتها

أولاً: مفهوم النواسخ

أ. لغة

جاء في لسان العرب "نسخ: نسخ الشيء ينسخه نسخاً، وانتسخه، واستنسخه: اكتتبه عن معارضيه" (ابن منظور، 2003)<sup>1</sup>. وفي معجم مقاييس اللغة "قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه. وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء. قالوا: النسخ: نسخ الكتاب. والنسخ: أمر كان يعمل به من قبل ثم يُنسخ بحادث غيره" (ابن فارس، 1979)<sup>2</sup>. أمّا في معجم العين: "فالنسخ والانتسخ: اكتتابك في كتاب عن معارضه. والنسخ: إزالتك أمراً كان يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره" (الفراهيدي، د.ت.)<sup>3</sup>.

فمن خلال هذه المعاني اللغوية، يتضح أنّ النواسخ جمع ناسخ، وهو في اللغة من النسخ بمعنى الإزالة يُقال: نسخت الشمس الظل إذا أزالته" (ابن هشام، د.ت، صفحة 127)، ومنها يرتبط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي. فعمل الظاهر إذن في أمر النواسخ - من خلال ما جاء من معان لغوية - أنّها تدخل على الجملة الاسمية، فتغير الحكم الإعرابي، والدلالي لها. وهي كالأيات التي تنزل في حكم، ثم تأتي آيات أخرى تنفي الحكم السابق، وتسمى الآيات الناسخة؛ ذلك لأنها نسخت الحكم، أي غيرته (الفراهيدي، د.ت، صفحة 201)، وبعبارة أخرى، فالنسخ هو "إزالة الحكم بحكم آخر، ويعني النقل من مكان إلى آخر من غير تغيير، ويعني إبطال الحكم، والتداول، والاستبدال والتحول" (يوسف، 2007).

<sup>1</sup> مادة: نسخ.

<sup>2</sup> مادة: نسخ.

<sup>3</sup> مادة: نسخ.

## ب. اصطلاحاً

تكاد تجمع الكتب النحوية على معنى النواسخ بأنها أدوات تدخل على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر، فتغير حكمها الإعرابي والدلالي، وقد تكون هذه النواسخ فعلية، أو حرفية، وسميت النواسخ بهذا الاسم؛ لأنها تتسخ المعنى والإعراب، فهي تأتي للضرورة معنوية؛ لأنَّ الجملة الاسمية في العربية تخلو من معنى الزمن" (مرات، 2014، صفحة 57).

تنقسم النواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية إلى قسمين: نواسخ حرفية، ونواسخ فعلية، فالنواسخ الفعلية سمّاها النحاة بالأفعال الناقصة، " ولم يذكر سيبويه منها إلّا كان، وصار، وما دام، وليس، ثمّ قال: وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر. ومما يجوز أن يلحق بها عاد وآض وغدا وراح. وقد جاء بمعنى صار في قول العرب ما جاءت حاجتك." (الزمخشري، 1993، صفحة 349) فإن كان سيبويه لم يذكر في كتابه مصطلح النواسخ إلّا أنه تعرض لبعض أحكام كان وأخواتها في باب الفعل الذي يتعدّى اسمَ الفاعل إلى اسم المفعول، واسمُ الفاعل والمفعول فيه لشيء واحدٍ وذلك قولك: كان ويكون، وصار، وما دام، وليس، وما كان نحوهنّ من الفعل مما لا يستغني عن الخبر. تقول: كان عبداً الله أخاك، فإنما أردت أن تُخبر عن الأخوة، وأدخلت كان؛ لتجعل ذلك فيما مضى" (سيبويه، 1988، صفحة 45). فقد بين سيبويه عملها دون أن يتعرض لمصطلح النواسخ.

وذهب السامرائي إلى أنّ النحاة اختلفوا في سبب تسميتها بالناقصة، فقال: "سميت ناقصة، لأنّ سائر الأفعال تدلّ على الحدث والزمن، في حين أنّ هذه الأفعال لا تدلّ على الحدث، وإنما هي تدلّ على الزمن فقط؛ فكانت ناقصة لتجردها من الحدث" (السامرائي، 2000، صفحة 208).

وخلص القول في النواسخ أنّها ألفاظ تدخل على الجملة الاسمية، فتغير دلالاتها ومضمونها، وحكمها الإعرابي، ويصبح المبتدأ اسماً لها، والخبر خبراً لها، وتسهم في إفادة أغراض دلالية، وتعمل على

توسيع الدلالة بما يتلاءم مع السياقات التي وضعت فيها هذه النواسخ. وقد قسّم النحاة هذه النواسخ من حيث عملها إلى ثلاثة أقسام، وهي:

- ما يرفع المبتدأ، وينصب الخبر، ومنه كان وأخواتها، وكاد وأخواتها.
- ما ينصب المبتدأ، ويرفع الخبر، ومنه إن وأخواتها.
- ما ينصب المبتدأ والخبر منه: ظن وأخواتها.

ثانياً: النواسخ، دلالتها، ومعانيها، وأحكامها

#### أ. النواسخ الفعلية

المقصود فيها النواسخ الفعلية التي تدخل على الجملة الاسمية؛ فتغير حكم الخبر على المبتدأ، وهذه النواسخ "هي كَانَ وَصَارَ وَأَمْسَى وَأَصْبَحَ وَظَلَّ وَبَاتَ وَأَضْحَى وَمَا دَامَ وَمَا زَالَ وَمَا أَنْفَكَ وَمَا فَتَى وَمَا بَرَحَ، وَلَيْسَ، وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهُنَّ، وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ الْمُجَرَّدِ مِنَ الْحَدَثِ" (ابن جني، د.ت، صفحة 26). وهي أدوات عاملة؛ إذ إنها تغير الحكم عندما تدخل على الجملة، فنرفع المبتدأ، ويسمى اسمها، وتنصب الخبر، ويسمى خبرها، واسمها مشبه بالفاعل، وخبرها مشبه بالمفعول، فتقول: كَانَ خَالِدٌ وَاقِفًا، وَصَارَ الْقَمْرُ طَالِعًا وَأَصْبَحَ مُحَمَّدٌ مُعَلِّمًا، وَبَاتَ سَعِيدٌ كَرِيمًا، وَظَلَّ أَبُوكَ مُقْدَامًا، وَمَا دَامَ سَعِيدٌ كَرِيمًا، وَمَا زَالَ الْمَطَرُ مَنْسُكِبًا، وَمَا أَنْفَكَ الرَّجُلُ حَرِيصًا (ابن جني، د.ت، صفحة 26).

وقد اتفق النحاة على نصب خبرها، ورفع اسمها، فقال الجمهور عن انتصاب الخبر: "انتصابه على أنه خبر مشبه بالمفعول، وقال الفراء: انتصب تشبيهاً بالحال، وعن الكوفيين انتصب على الحال، واختلفوا في المرفوع، فذهب البصريون إلى أنه مرفوع بها، شذبت كان بالفعل الصحيح نحو: ضرب، فعمل عمله، وزعم الفراء أنه ارتفع لشبهه بالفاعل، وقال غيره من الكوفيين: إنه باق على رفعه الذي كان في الابتداء عليه، وكلها أفعال إلا ليس" (الأندلسي، 1998، صفحة 1146). ويرى أبو حيان في ارتشاف

الضرب أنّ ابن السراج، وابن شقير، والفارسي في أحد قوليه، وجماعة من أصحابه ذهبوا إلى أنّها حرف، وغيرهم من الجمهور ذهبوا إلى أنّها فعل، مكسور العين (الأندلسي، 1998، صفحة 1146).

## 1. كان وأخواتها

اختلف النحاة في سبب تسميتها، فذهب أكثرهم إلى أنّها سميت ناقصة بسبب تجردها من الحدث (السامرائي، 2000، صفحة 208)، وعندما تدخل كان عليها، فإنّها تفيد "زمان الخبر، فيصير الخبر عوضاً من الحدث فيها، فإذا قلت: "كان زيداً قائماً"، فهو بمنزلة قولك: "قام زيداً" في إفادة الحدث والزمن." (ابن يعيش، 2001، صفحة 354) وهنا لا أريد أن أبحث في قضية تمامها، أو نقصانها، وإنّما الذي يعينني هنا، هو استعمالها، ومعانيها، ودلالاتها:

أ. كان: وهي تعني اتصاف الاسم بالخبر في الزمان الماضي، أو في الحال والاستقبال، ويجري عليها أحكام دون سائر أخواتها بأربعة أمور، وهي: أنّها تأتي بلفظ الماضي بين متلازمين، وتحذف جوازا هي واسمها، بعد إن ولو، مثل التمس، ولو خاتما من حديد، وقد تحذف وحدها حذفاً واجباً، وتقد تحذف النون منها في الفعل المضارع (الهاشمي، د.ت، صفحة 147).

وتستعمل كان في أكثر حالاتها للدلالة على الماضي المنقطع كأن تقول: كان خالدٌ قويا، وهذا المعنى ينقسم إلى ضربين: ضرب يشير إلى اتصاف الحدث في الزمن الماضي بصفة ثابتة نحو كان محمد أميناً؛ أي على وجه الثبوت. وضرب يقصد به أنّه حدث لمرة واحدة، ولم يكن ثابتاً في صاحبه، كأن تقول: كان سعيد قد عاهد رجلاً على أن يصاحبه في سفر، ولكنها قد تخرج عن الدلالة الأصلية لها، فتكون على سبيل الدوام والاستمرار، أو للدلالة على الحال والهيئة، أو للدلالة على الاستقبال. (السامرائي، 2000، صفحة 216)

ب. ليس: تصنف ليس على أنّها فعل ماض جامد يفيد النفي المطلق، ويذهب بعض النحاة إلى الالتزام في تركيبها بالرتبة النحوية، فقد جاء "عَنْ ابْنِ دُرَيْمٍ أَنَّهُ مَنَعَ تَقْدِيمَ خَيْرٍ لَيْسَ" (ابن هشام، د.ت،

صفحة 132)، والراجح في هذا المنع أنه من "اختيار الكوفيين والمبرد وابن السراج، وهو الصحيح، لأنه لم يسمع مثل ذاهياً لست؛ ولأنها فعل جامد فأشبهت عسى. وخبرها لا يتقدم بانقلاق، وذهب الفارسي، وابن جني إلى الجواز مستدلين بقوله تعالى: ﴿الْأَيَّامَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:8]؛ وذلك لأن يوم متعلق بمصروفاً، وقد تقدم على ليس، وتقدم المعمول يؤذن بجواز تقدم العامل، والجواب أنهم توسعوا في الظروف ما لم يتوسعوا في غيرها، ونقل عن سيبويه القول بالجواز" (ابن هشام، دت، صفحة 133).

ج. أصبح: يدل هذا الفعل في حقيقته على اتصاف الخبر بالمخبر عنه في الصباح (السامرائي ، 2000، صفحة 237)، وهي من الأدوات التي تدخل على الجملة الاسمية؛ لتفيد زمانها بالخبر، ولكنها لا تعني أنها مختصة بوقت الصباح، بل قد تأتي دالة على معنى كان، وصار دون النظر إلى وقت الصباح (السامرائي ، 2000، صفحة 238).

د. أمسى: يدل الفعل أمسى على أن المخبر عنه يتصف بالخبر في وقت المساء (المصري، 1998، صفحة 89)؛ أي يكون اتصافه بالوقت الذي حصل فيه، وهذا على الأصل، ولكنه قد يأتي للدلالة على التحول؛ أي ب"معنى صار" (ابن الحاجب، 2010، صفحة 48).

هـ. ما زال: وهذا الفعل من الأفعال التي تدل على الدوام، وإن كان يتضمن في أصله معنى النفي؛ أي قبل دخول ما النافية عليه، ولكنها عند دخولها عليه، جعلته في خلاف النفي، وخلاف النفي يعني الإثبات، فالفعل (زال) يفيد الإزالة، ولكن الفعل (مازال) يدل على الاستمرار في الحدوث (السامرائي ، 2000، صفحة 240).

و. أضحى: الأصل في هذا الفعل أنه يدل على تصاف المخبر عنه بالخبر في وقته، ولكنه قد يأتي للدلالة على معنى صار دون الاختصاص بوقت محدد (السامرائي ، 2000، صفحة 238).

ز. صار: وهي تعنى التحول والانتقال، وصرف النظر إلى حال جديد غير الذي يعرفه، وهي "ترفع المبتدأ والخبر بدون شروط، ودون أن يتقدما نفي، أو نهي، أو دعاء مثل غيرها من أخوات كان التي تحتاج إلى ذلك، ويمكن لهذا الفعل أن يأتي خبره وسط الجملة، أي: بين الفعل نفسه وبين اسمه" (المصري، 1998، صفحة 95).

## 2. أفعال المقاربة

وهذه الأفعال تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ما يدلُّ على قرب وقوع الخبر، وما يرجو وقوعه، وما يدلُّ على البدء به، وإِنَّمَا جاء العنوان أفعال المقاربة،" من باب تسمية الكل باسم الجزء كتسميتهم الكلام كلمة" (ابن هشام، د.ت، صفحة 290)، وعملها كعمل كان الناقصة؛ إذ تدخل على الجملة الاسمية، فترفع المبتدأ، ويسمى اسمها، وتنصب الخبر، ويسمى خبرها، ولا يأتي خبرها إلا جملة، وشرطها "أن تكون فعلية" (ابن هشام، د.ت، صفحة 293)، ويكون فعلها مضارعاً. وتشتمل هذه على ثلاثة مجموعات من الأسماء:

- أفعال المقاربة، وهي ثلاثة: كاد، كرب، أو شك.
- أفعال الرجاء، وهي ثلاثة: عسى، حرى، اخلوق.
- أفعال الشروع، وهي: أنشأ، طفق، أخذن جعل. (الأشموني، 1998، صفحة 273)

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنه لم يرد من هذه الأدوات في شعر الوصف سوى: كاد: وهو فعل من أفعال المقاربة (المرادي، 1992، صفحة 521).

## ب. النواسخ الحرفية معانيها، ودلالاتها، وأحكامها

سميت النواسخ الحرفية بهذا الاسم؛ لأنَّ صيغتها، وبناءها يرتدان إلى الحروف، وهذه النواسخ:

1. إنَّ وأخواتها: تعمل هذه الأدوات عكس عمل كان الناقصة؛ إذ تنصب المبتدأ، ويسمى اسمها، وترفع

الخبر، ويسمى خبرها (الأشموني، 1998، صفحة 294)، يقول ابن مالك في ألفيته:

لأنَّ أنَّ لِيَتَ لَكِنَّ لَعَلَّ ... كَأَنَّ عَكْسَ مَا لَكَانَ مِنْ عَمَلٍ  
كَانَ زَيْدًا عَالَمًا بِأَنِّي ... كَفَاءً وَلَكِنَّ ابْنَهُ ذُو ضَعْفٍ

(جمال الدين، د.ت، صفحة 21)

تدخل هذه الأحرف على الجملة الاسمية، "فتنصب المبتدأ اسماً لها، وترفع الخبر خبراً لها؛ فهي مثل (كَانَ) في نسخ عمل الابتداء، وعكسها في عمل الرفع والنصب،" (الحنبلي، 2018، صفحة 481) وتكون دلالاتها "إنَّ وأنَّ للتأكيد، ولكنَّ للاستدراك، وكأنَّ للتشبيه، أو الظن، وليت للتمني، ولعل للترجي، أو الإشفاق، أو التعليل" (ابن هشام، د.ت، صفحة 11). وتختص كأنَّ بالتشبيه المؤكد؛ لأنها مركبة من (كاف التشبيه، وأنَّ).

ويشترط في عمل أيِّ حرف من هذه الأحرف أن لا تقترن إحداهن بما الحرفية، فإذا اقترنت بما الحرفية بطل عملها، وأعرب الاسم الواقع بعدها مبتدأ، وكلُّ هذه الأدوات، وبإجماع النحاة قديماً وحديثاً يرون أنَّها تبقى الجملة الاسمية اسمية، فلا تغير في اسميتها. وذهب البصريون إلى أنَّهن يرفعن الخبر، أمَّا الكوفيون، فيرون أنَّ الخبر مرفوع على أصله؛ أي قيل أن يدخلن عليه (الأندلسي، 1998، صفحة 1237).

ولا تدخل الحروف الناسخة على كلِّ مبتدأ وخبر، فهناك جمل اسمية لا يصلح لمبتدأها أن تدخل عليه إنَّ وأخواتها، ويكون ذلك في المبتدأ المحذوف، نحو قولنا: الحمد لله الحميد، برفع الحميد، وتقدير القول: هو الحميد، ومن الخبر أيضاً ما لا تدخل عليه أيُّ أداة من هذه الأدوات، كأنَّ يكون الخبر اسم استفهام (السامرائي، 2000، صفحة 285). نحو قولنا: أين الاحتفال؟، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذه الحروف لم ترد جميعها في شعر الوصف، وكان أكثرها حضوراً (كأنَّ) التي تفيد التشبيه، وتليها (إنَّ وأنَّ) التوكيدية.

## • إِنَّ وَأَنَّ

وهما حرفان يفيدان التوكيد، الأول مكسور الهمزة، ومشدد النون (إنّ)، وهي تفيد "توكيد النسبة بين طرفي الإسناد في الجملة الاسمية، ونفي الشك عنها، ودحض الإنكار لها"، (أبو المكارم، 2007، صفحة 133) والثانية مفتوحة الهمزة، ومشددة النون (أنّ)، و"تفيد ما تفيد إنّ المكسورة الهمزة من المعاني". (أبو المكارم، 2007، صفحة 133) ومن أبرز المعاني لهذين الحرفين أنّهما يكونان للتوكيد، وهذا هو الأصل فيهما كقولنا: إنّه من المجتهدين، ودليل ورودها للتوكيد أنّه يجاب بها بجواب القسم، وقد تأتي (أنّ) لربط الكلام بعضه ببعض، فإنّها إن سقطت من الكلام أصبح منفصل العرى مختلا.

## • كَأَنَّ

يرى النحويون أنّها مؤلفة من كاف التشبيه، والحرف (أنّ)؛ لقول سيبويه: "سألت الخليل عن كأنّ، فزعم أنّها (أنّ)، لحقتها الكاف للتشبيه، ولكنها صارت مع أنّ بمنزلة كلمة واحدة، وهي نحو كأني رجلاً، ونحو له كذا، وكذا درهماً" (سيبويه، 1988، صفحة 151). وقال ابن جني عن قولهم: كأنّ زيداً عمرو: "اعلم أنّ أصل هذا الكلام: زيد كعمرو، ثمّ أرادوا توكيد الخبر، فزادوا فيه (إنّ)، فقالوا: إنّ زيداً كعمرو، ثمّ إنّهم بالغوا في توكيد التشبيه، فقدموا حرفه إلى أول الكلام عناية به، وإعلاماً أنّ عقد الكلام عليه، فلمّا تقدمت الكاف، وهي جارية لم يجز أن تباشر (إنّ)؛ لأنّها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك فتحها فقالوا: كأنّ زيداً عمرو." (ابن جني، د.ت، صفحة 318)

واستخدامها للتشبيه أقوى من استخدام الكاف، فإنّك "تقصد تشبيه الرجل بالأسد، فنقول: (زيدٌ كالأسد)، ثمّ تريدُ هذا المعنى بعينه، فنقول: (كأنّ زيداً الأسدُ)، فتفيدُ تشبيهه أيضاً بالأسد، إلّا أنّك تزيدُ في معنى تشبيهه به زيادةً لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته، وقوة قلبه، وأنّه لا يروعه شيءٌ، بحيث لا يتميّز عن الأسد، ولا يقصّر عنه، حتّى يتوهم أنّه أسدٌ في صورة آدمي" (الجرجاني، د.ت، صفحة 258). فكانّ وإجماع النحويين مكونة من الكاف التي للتشبيه، وأنّ، ففي قولنا: كأنّ محمداً أسدً،

أصلها إنّ محمداً كالأسد. (الأشموني، 1998، صفحة 297)

ورغم أنّ النقاد وضعوا حدوداً للتفريق بين التشبيه والوصف، إلّا أنّنا نرى أنّهما يلتقيان في محور تجميل الشيء الموصوف، فالشاعر يعمد إلى خلق أجمل صورة للشيء الموصوف، فيستعير له ألفاظاً وتراكيب تظهره في أجمل هيئة له.

وخلاصة القول فيها أنّ المشهور المنفق عليه عند النحويين، هو أنّها تكون للتشبيه، وهذا هو الرأي الراجح عند البصريين، ولا معنى لها غير التشبيه عندهم، في حين نرى أنّ الكوفيين كالزجاج يذهب إلى أنّها تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً، أمّا إذا كان خبرها مشتقاً، فإنّها تفيد معنى الظن. فحاصل ما تمّ ذكره عند البصريين والكوفيين فيما يتعلق بأحوالها:

- أنّها تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً، نحو: محمد كأنّه أسد.
- أنّها تفيد الظنّ إن كان خبرها مشتقاً، نحو: محمد كأنّه قائم.
- أنّها تفيد التشبيه مطلقاً، سواء أكان خبرها جامداً، أم مشتقاً (حمدان، 1992، صفحة 193).

وأنا أذهب أيضاً إلى أنّها تفيد التشبيه المؤكّد، وهذا هو الأصل فيها، ويشترك مع هذا الأصل معان أخرى يحددها السياق الدلالي، ولكنّ هذه المعاني التي تؤدّيها لا تتجاوز التشبيه، بل تبقى في دائرته.

2. لا العاملة عمل ليس (النافية للوحدة): تعمل (لا) عمل ليس، فترفع المبتدأ، ويسمى اسمها، وتنصب الخبر، ويسمى خبرها (المرادي، 1992، صفحة 510)، ويحتمل فيها أن تكون لنفي الوحدة، أو لنفي الجنس، فإذا قلنا: لا رجل في البيت، هذا قول محتمل فيه أن يكون لنفي رجل واحد، وقد يكون فيه اثنان، أو أكثر، وقد تكون لنفي كامل الجنس على سبيل الاستغراق.

## المبحث الثاني

الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ الفعلية والحرفية، أنماطها،

وأحكامها النحوية في شعر الوصف

أولاً: النواسخ الفعلية الأنماط، والأحكام

أ. الجمل الاسمية المقيدة بكان، وأخواتها

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الأفعال لم ترد جميعها في شعر الوصف، بل جاء منها (كان)، و(ليس)، و(أصبح)، و(أمسى)، و(أضحى) و(ما زال) بنسب متفاوتة، أكثرها حضوراً (كان) الناقصة، تليها (ليس) النافية.

### 1. الأنماط

#### • كان

وردت الجملة الاسمية المقيدة بالفعل الناقص (كان) بأنماط مختلفة؛ وذلك على النحو الآتي:

**نمط 1: الفعل الناسخ + خبره جملة فعلية**

جاء هذا النمط في شعر الوصف في موضع واحد في سياق حديثه عن إيوان قصري:

[الطويل]

إِذَا نَحْنُ زُرْنَا أَجَدَّ لَنَا الْأَسَى      وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1046)

ففي هذا البيت اقترنت قد بكان المتصدرة للجملة الفعلية؛ لإفادة التحقق في الزمن الماضي، واسم كان جاء ضميراً مستتراً تقديره (هو) عائد على القصر الجعفري، وجاء الخبر جملة فعلية فعلها مضارع (يبهج زائره) لإفادة تجدد الحدث في الزمن الماضي، وقد توسط بين اسم كان، وخبرها شبه جملة

ظرفية (قبل اليوم)؛ لزيادة وتيرة التشويق والإثارة التي تحدث قبل سماع الخبر؛ ولتدل على نقطة التحول في الخبر، فحدث الخبر كان قبل اليوم المحدد، أمّا الآن، فحكمه حكم المنفي، وإن لم يتضمن أيّ أداة من أدوات النفي؛ أي نفي الإبهاج.

**نمط 2: الفعل الناسخ + اسمه (ضمير مستتر) + خبره (شبه جملة: جار ومجرور)**

جاء هذا النمط في شعر الوصف في موضع واحد:

[الخفيف]

حَلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى      فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَابِسِ مُلَسِّ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1155)

وفي هذا البيت جاء الفعل الناسخ منفيًا (لم تكن)، لنفي الخبر، واسمه ضمير مستتر تقديره هي عائد على (حلل)، وخبره شبه جملة جار ومجرور (كأطلال)؛ أي لم تشبه. وهذا النمط من الجمل الاسمية يفيد نفي اتصاف المخبر عنه بالخبر؛ لإثبات عكس ما تتصف به الأشياء المشبه بها، فلم يأت الشاعر هنا للإخبار المباشر عن نعومة حلل الفرس، وإنما جاء للإخبار عن نعومتها بنفي تشبيها بحلل العرب الخشنة، فكان التعبير أقوى من خلال عقد المقارنة بين الحالين، ونفي تشبه الأول بالثاني.

**نمط 3: الفعل الناسخ + اسمه ضمير + خبره مفرد**

وجاء هذا النمط في خمسة مواضع، منه قول البحثري في وصف برذون له:

[السريع]

وَكَمَا نَ مَصْقُولَ النَّوَاحِي إِذَا      رَأَيْتَهُ مُسْتَعْرِبَ اللُّوْنِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 2242)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية مصدرية بكان، واسمها ضمير مستتر تقديره (هو)، وخبرها جاء مفرداً (مصقول): وهو خير منصوب، ومثل هذا النمط يصرف النظر إلى الخبر، ويبين الهيئة، أو الحال التي اتصف بها الشيء، فالشاعر في هذا البيت لا يريد استعمال كان للدلالة على أنّ المخبر عنه كان متصفاً بالخبر في الزمن الماضي، وإنما للدلالة على حاله في الزمن الحاضر.

#### • أصبح

هذا الفعل كان قليل الحضور في شعر الوصف؛ إذ جاء في ثلاثة مواضع من مواضع شعر الوصف، وفق أنماط مختلفة، وهي:

**نمط 1: أصبح + اسمها ضمير مستتر + خبرها اسم مفرد**

ومن ذلك، قول البحتري في وصف دمشق:

[السريع]

إِنَّ دِمَشْقًا أَصْبَحَتْ جَنَّةً      مُخْضَرَّةَ الرَّوْضِ غَدَاةَ الْبُرَاقِ

(البحتري، دت، صفحة 1514)

ففي هذا البيت جاءت جملة اسمية، وقد دخل عليها قيد فعليّ، وهو الفعل أصبح، واسمه ضمير مستتر عائد على (دمشق)، وخبره اسم مفرد (جنة)، فالفعل (أصبح) قيدٌ قُيدت به الجملة الاسمية، وهو لا يعني هنا اتصاف الخبر بالمخبر عنه في وقت الصباح، وإنما يريد الشاعر أن يشير إلى قضية التحول فيه؛ إذ من المعاني التي يؤديها الفعل (أصبح) أنه يأتي للدلالة على الصيرورة والتحول (السامرائي، 2000، صفحة 237).

#### • ليس

جاءت الجمل الاسمية المصدرية بليس النافية في أربعة مواضع وفق الأنماط الآتية:

نمط 1: ليس + اسمها ضمير مستتر + خبر مفرد مقترن بالباء

ومثاله قول البحتري:

[الكامل]

مُخْضَرَةٌ وَالْغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ وَمُضَيِّنَةٌ وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقْمِرٍ

(البحتري، د.ت، صفحة 1040)

ففي البيت السابق جاءت جملة اسمية مقيدة بليس النافية، واسمها ضمير مستتر عائد على الغيث، وخبرها بساكب مجرور لفظا منصوب محلا، ومثلها في عجز البيت؛ إذ جاء الفعل الناسخ، واسمه ضمير مستتر تقديره هو عائد على الليل، وخبره بمقمر مجرور لفظا منصوب محلا، ومثل هذا النمط يأتي؛ لتأكيد نفي الخبر عن المخبر عنه.

نمط 2: ليس + اسم معرف + خبر معرف

ومن أمثله قول البحتري:

[الخفيف]

ذَاكَ عِنْدِي، وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِإِقْتِرَابٍ مِنْهَا، وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي

(البحتري، د.ت، صفحة 1162)

ففي هذا البيت تصدرت ليس الجملة الاسمية، واسمها (الدار) اسم مفرد معرف، وخبرها اسم مفرد معرف بالإضافة (داري)، وهذا النمط، هو الأصل في تركيب الجملة الاسمية، وقد تساوى الاسم مع الخبر في التعريف؛ لإفادة تخصيصهما، فالدار يقصد بها إيوان كسرى؛ أي يعني أنها دار للفرس، والثانية (داري) تخصيصها بدار العرب.

نمط 3: ليس + اسم ضمير متصل + خبر جملة فعلية

وشاهده قول البحري:

[البسيط]

فَلَسْتُ تُبْصِرُ إِلَا وَكَفًّا خَضِيًّا      أَوْ يَانِعًا خَضِرًا أَوْ طَائِرًا غَرْدًا  
(البحري، د.ت، صفحة 710)

فقد جاءت الجملة الاسمية مصدرية بليس واسمها ضمير متصل (التاء)، وخبرها جملة فعلية في محل نصب خبر ليس؛ للدلالة على تجدد الحدث المنفي، وقد صرف الشاعر بذلك الذهن إلى استحضار الأشياء المستثناة من الأشياء التي نفي مشاهدتها، وأسهمت في تحقيق هذه الدلالة أداة الاستثناء التي عملت على تثبيت الأشياء التي يريد الشاعر للمتلقى أن يبصرها، وهي التي عملت على إبعادها عن حكم النفي.

نمط 4: ليس + اسم معرف بالإضافة + خبر شبه جملة جار ومجرور.

ومن أمثلته، قول البحري:

[الخفيف]

مَجْلِسٌ كَالرِّيَاضِ حُسْنًا وَكَيْنٌ      لَيْسَ قُطْبُ السُّرُورِ وَاللَّهُوِ فِيهِ  
(البحري، د.ت، صفحة 2443)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية مصدرية بليس واسمها معرف بالإضافة (قطب السرور)، وخبرها شبه جملة (فيه) في محل نصب، ومثل هذا النمط ينفي صفة الكينونة والوجود عن المخبر عنه؛ لأنَّ الخبر شبه الجملة يدل على الاستقرار، أو الكينونة، فإذا جاءت الجملة الاسمية منفية، فهذا يعني أنَّ المخبر عنه غير كائن، أو غير مستقر.

## • بات

جاءت بات وفق نمط واحد، وهو:

نمط 1: فعل ناسخ + اسمه (اسم معرف) + خبر (شبه جملة جار ومجرور)

ومنه قول البحتري:

[الخفيف]

عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَبَاتَ الِ مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبٌ نَحْسِ

(البحتري، د.ت، صفحة 1159)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية مصدرية بالفعل الناسخ(بات)، واسمه اسم معرف(المشتري)، وخبره شبه جملة جار ومجرور (فيه). وهذا النمط يأتي؛ لاتصاف المخبر عنه-وهو هنا المشتري- بالوجود والتحقق؛ ذلك لأنّ الفعل(بات) يدل على التحقق في وقت معين، أو قد يأتي للدلالة على الصيرورة، ولما جاء خبره شبه جملة، فقد دلّ على التحقق والكيونة.

## • ما زال

دخلت (ما زال) على الجملة الاسمية في شعر الوصف، وقد جاء ذلك وفق نمط واحد، وهو:

نمط 1: فعل ناسخ + اسم(ضمير مستتر) + خبر جملة فعلية

ومن ذلك قول البحتري في وصف المطر:

[البسيط]

مَا زَالَ يَسْكُبُ سَحًّا مُسْبِلًا غَدًا لَا يَسْتَفِيقُ وَلِي عَيْنٌ تُبَارِيهِ

(البحتري، د.ت، صفحة 2444)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية مصدرية بالفعل الناسخ(ما زال)، واسمه ضمير مستتر تقدير (هو) عائد على المطر، وخبره جملة فعلية(يسكب)، ومثل هذا النمط يعمل على إفادة إثبات استمرارية حدوث الخبر، واتصاف المخبر به بالخبر؛ لأنَّه نفي للفعل (زال)، ونفي الفعل (زال) يعني إثباته، ومعنى هذا البيت أنَّ عملية سكب المطر مستمرة غير منقطعة.

## 2. التحليل النحوي

يغلب على كان أنَّه إذا وقع خبرها جملة فعلية أن يكون فعلها مضارعاً، وقد يجيء ماضياً، وهذا قليل (الغلاييني، د.ت. صفحة 278)، وهو يفيد إذا كان مضارعاً تجدد الحدوث في الزمن الماضي، أمَّا إذا كان ماضياً، فإنَّه لتأكيد تحقق الحدوث في الزمن الماضي.

جاء خبر كان في شعر الوصف متأخراً عنها وعن اسمها، و" الترتيب - في هذا الباب - واجب بين الناسخ واسمه؛ فلا يجوز تقديم الاسم على عامله الناسخ" (حسن، د.ت، صفحة 569)، وعلّة تأخير الأخبار في الأبيات السابقة أنَّه جاءت أسماؤها في شعر الوصف جميعه ضميراً مستتراً، وذلك كلُّه يتفق والقواعد المتعلقة به، فقد كانت على الأصل.

لا يشترط في أسماء كان وأخواتها أن تكون معرفة، فقد تجيء نكرة، ولكن يشترط فيها ألا تكون شبه جملة؛ لأنَّها في الأصل مبتدأ، والمبتدأ لا يكون إلَّا اسماً مفرداً. (حسن، د.ت، صفحة 544) وهذا بخلاف الجملة الاسمية المطلقة التي يشترط فيها أن يكون اسمها معرفة، أو فيه مسوغ المجيء نكرة. ولا تعمل الأفعال الناسخة أيضاً إلَّا بشرط أن يتأخر اسمها عنها، ومما يشترط فيها أيضاً أنَّها لا تعمل إذا كانت أخبارها إنشائية، فلا يصح مثل قولنا: كان الرجل احترامه (حسن، د.ت، صفحة 544).

تأتي أخبار كان وأخواتها على صور مختلفة، فتأتي مفردة، وشبه جملة، وجملة اسمية وفعلية، ولا تكون أفعالها ماضية، إلَّا خبر كان، فإنَّه يصح أن يأتي خبرها فعلاً ماضياً (حسن، د.ت، صفحة 544) فلا

يصح أن نقول: أصبح محمد قد نام، ولا صار خالد كتب، ولكن يصح مثل قولنا: كان محمد قد نام، وقد جاءت أخبار كان أفعالاً ماضية في نماذج من شعر الوصف عند البحري.

تفيد كان اتصاف المخبر عنه بالخبر في الزمن المقيدة به، فمنه قول البحري: كان مصقول النواحي، هذا يعني أنه اتصف بصفة الصقل في الزمن الماضي، ثم أخرجها السياق إلى الدلالة الحال، فلو قال: يكون مصقول النواحي، فهذا يعني أنه في الوقت الحالي، وهذا ما لا يريده الشاعر؛ لأنه لا يتوافق مع الدلالة السياقية للحدث، فالمستقبل تحدده صيغة الفعل المضارع في الفعل الناقص. فما فهم منها أنها تعني اتصاف الخبر بالمخبر عنه في الزمن الدالة عليه صيغة الفعل الناقص، فإن كان ماضياً، فالزمن في الماضي، وإن كان مضارعاً، فالزمن في الحاضر، أو في المستقبل (حسن، د.ت، صفحة 548).

تدخل الباء الزائدة على أخبار (ليس)؛ لتأكيد النفي؛ وذلك لتبنيه المتلقي في الخبر على أن الكلام منفي؛ لأنه قد لا يركز على الجملة من بدايتها، فيعرف ذلك من اقتران الباء بالخبر؛ ذلك لأن الباء التي تأتي زائدة إنما تدخل على أخبار ليس، وما، ولا، وكان المنفية، لتأكيد النفي.

يلزم ما زال التي مضارعها يزال أن تكون ناقصة أمّا زال التي مضارعها يزول، فإنها تأتي تامة (ابن قيم الجوزية، 1954، صفحة 198)، وقد لاحظنا في أن مازال في البيت السابق أنها جاءت ناقصة؛ لأن مضارعها يزال، ويزال إذا سبقها النفي تكون دالة على الاستمرار؛ لأن نفيها بـ(ما) يدل على عدم زوالها، وفي ذلك إثبات لها.

## ب. أفعال المقاربة

لم ترد أفعال المقاربة جميعها في شعر الوصف؛ بل ورد فعل واحد، هو (كاد)، وذلك في أربعة مواضع فقط:

## 1. الأنماط

### كاد

كان حضور كاد قليلاً فلم ترد إلباً في أربعة مواضع موافقة للأصل الذي عليه التركيب النحوي؛ إذ لها اسم وخبر، وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً متأولاً باسم الفاعل، كقولك: كاد زيدٌ يخرج" (ابن يعيش، 2001، صفحة 376). وقد جاءت على هذا الأصل في المواضع الأربعة؛ أي على نمط واحد، وهو:

**نمط 1: كاد + اسمها + خبرها جملة فعلية:**

ومن ذلك قول البحثري:

[الطويل]

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلَقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا      مِنْ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
(البحثري، د.ت، صفحة 2090)

فالجملة الاسمية المقيدة (بكاد)، جاء اسمها ضميراً مستتراً، وهو عائد على الربيع، وخبره جملة فعلية (أن يتكلما) في محل نصب خبر كاد، وهذا النمط يدلُّ على اقتراب حدوث الخبر، ولكنه لم يحدث، فإذا كان الفعل مسبوقة بأن المصدرية، فهذا يدلُّ على صرف الحدث إلى الاستقبال، ومعنى هذا البيت أن مقومات الجمال اجتمعت في مشاهد الربيع حتى جعلته يقترب من الكلام.

## 2. التحليل النحوي

جاء خبر كاد جملة فعلية فعلها مضارع مجرد من أن في موضعين، والأصل في خبر كاد أن لا يقترن خبرها بأن، واقتران خبرها بأن قليل، وفي المثال السابق جاء موافقا لما عليه الإجماع من أن لا يقترن الخبر بأن، ولكنها في الأمثلة الأخرى جاءت مقترنة بأن، واقترانها بأن، أو عدمه يكون وفق ما يقتضيه

السياق الدلالي، ولعلَّ السر في ذلك أنَّ (أن) تصرف الحدث إلى الاستقبال؛ لذا، فالفعل المجرد من (أن)، يدلُّ على قرب الحدث، ويكون حدوثه أقربَ من الفعل المقترن بأن (ابن قيم الجوزية، 1954، صفحة 220). فالأصل فيها عدم إثبات (أن). وإثباتها قليل في الشواهد الشعرية عند النحاة (الأشْموني، 1998، صفحة 280).

تستعمل كاد في أصلها للدلالة على قرب وقوع الخبر، وهذا يعني أنَّه لم يحصل، بل قاربَ على الحصول، وهي "تأتي بمعنى همَّ ولم يفعل" (الدينوري، د.ت، صفحة 285)، فأنت لا تستطيع قول: كاد محمد يدخل المدرسة إلَّا إذا اقترب من الدخول إليها، فلو كان محمد بعيدا عنها لما جاز لك أن تقول ذلك (السامرائي، 2000، صفحة 273).

تأتي كاد متصرفة، يقول الزمخشري: "كاد يفعل" إلى "كدن"، و"كدت تفعل"، إلى "كدتن"، و"كدت أفعل"، و"كدنا". وبعض العرب يقولون: "كدت بالضم" (ابن يعيش، 2001، صفحة 382)، وهذا القول يوضح الفرق بينها، وبين عسى التي تأتي جامدة.

جاءت أخبار كاد متأخرة عنها، وعن اسمها موافقة للأصل الذي عليه تركيب الجملة المصدرية بكاد؛ إذ لا يجوز عند النحاة أن يتقدم خبرها عليها، وعلة ذلك كما يقول ابن الحاجب في أماليه: "إنما لم يتقدم خبر "كاد" على اسمها لوجهين: أحدهما: أنَّها من باب "عسى"، فكما لم يتقدم خبر "عسى" لا يتقدم خبرها. الثاني: أنَّهم لو قدموه، وهو لا يكون إلَّا فعلا، لأدَّى ذلك إلى تقديم خبر المبتدأ عليه، وهو فعل" (ابن الحاجب، 2010، صفحة 810)، فمن أحكامها أنَّه لا يتقدم خبرها على اسمها؛ لأنَّ خبرها لا يكون إلَّا فعلا، فهذا غير جائز، فتأخر خبرها واجب" (النجار، 2001، صفحة 281).

ثانياً: النواسخ الحرفية: أنماطها، وأحكامها النحوية

## 1. إنَّ، وأخواتها

### أ. الأنماط

لابدَّ من الإشارة إلى أنَّه لم يرد من إنَّ وأخواتها إلَّا (إنَّ وأنَّ)، و(كأنَّ التشبيهية).

#### • أنماط الجملة الاسمية المصدرة ب(إنَّ وأنَّ)

تصدرت (إنَّ وأنَّ) الجمل الاسمية في مواضع متعددة وفق أنماط مختلفة، وهي:

#### نمط 1: أنَّ + ضمير متصل + خبر مفرد

ومن ذلك قول البحتري:

[الخفيف]

تَصِيفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَاءٍ      لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خَرَسِ

(البحتري، د.ت، صفحة 1157)

ففي البيت السابق جاءت الجملة الاسمية المنسوخة بحرف التوكيد (أنَّ)؛ لتوكيد مضمون الجملة الاسمية،

ولربط الكلام بعضه بعضاً، فالضمير المتصل (هم) في محل نصب اسم أنَّ وخبرها جِدُّ، وهو خبر

مرفوع. وهي هنا تفيد التأكيد؛ لإثبات دقة الصورة الموصوفة، فقد تأتي أنَّ في مثل هذه الأنماط خاصة

عندما يكون الموصوف شيئاً يفوق توقعات الإنسان؛ لإثبات صفة معينة.

نمط 2: أن + ضمير متصل + خبر جملة فعلية:

ومن أمثلته، قول البحتري:

[الكامل]

يَهْنِيكَ فِي الْمُتَوَكِّلِيَّةِ أَنَّهَا حَسٌ نَ الْمَصْرِيفُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْبَعُ

(البحتري، د.ت، صفحة 1311)

فقد جاءت أن لتوكيد الجملة الاسمية المكونة من الضمير المتصل العائد إلى المتوكلية، وخبره الجملة الفعلية (حسن المصيف)، فقد أفادت أن توكيد الجملة الاسمية، وتأكيد تحقق الخبر، وهو الفعل الماضي الدال على حتمية الحدوث في الزمن الماضي. وهذا النوع من الجمل الاسمية يفيد تأكيد حتمية التحقق لدلالة الفعل الماضي على حتمية التحقق، فهذا النمط يدل على تأكيد اتصاف المخبر عنه بالخبر.

نمط 3: أن + اسم معرف بالإضافة + خبر شبه جملة جار ومجرور

ومن شواهد، قول البحتري:

[البسيط]

وَرَادَهَا زِينَةً مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا أَنْ اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى مِنْ أَسَامِيهَا

(البحتري، د.ت، صفحة 2420)

فقوله (أن اسمه من أساميتها) تأكيد للخبر، فاسمه: اسم أن منصوب، وهو مضاف، ومن أساميتها شبه جملة في محل رفع خبر أن، وهذا النوع من الجملة الاسمية يفيد اتصاف المخبر عنه بالخبر على سبيل التحقق، وإضافة إلى ذلك، فإن هذا النمط يفيد توضيحاً من خلال جعل ما بعدها يكون تعليلاً لما قبلها.

نمط 4: إن + اسم معرفة + خبره جملة اسمية

ومنه قول البحتري، في وصف دمشق:

[السريع]

إِنَّ دِمَشْقًا أَصْبَحَتْ جَنَّةً      مُخَضَّرَةَ الرَّوْضِ غَدَاةَ الْبِرَاقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1514)

ففي هذا البيت جملة اسمية مؤكدة بإنّ، فكلمة (دمشقا): اسم إنّ منصوب، وجملة (أصبحت جنة)، جملة اسمية في محل رفع خبر إنّ. وهذا النمط من الجمل الاسمية يدل على استقلالية الجملة المؤكدة؛ ذلك لأنّه يشير إلى التوكيد من أول الأمر.

نمط 5: أنّ + ضمير متصل + خبر شبه جملة جار ومجرور

ومنه قول البحتري:

[الكامل]

مُتَوَقِّدٌ يَبِيرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ      مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهُا فِي يَدْبِلِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1751)

ففي البيت السابق جاءت الجملة الاسمية مصدرية بالحرف الناسخ (أنّ)، واسمه ضمير متصل (ها)، وخبره شبه جملة جار ومجرور (في يدبل)، وهو في محل رفع خبر أنّ؛ أي كائنة ومستقرة فيها.

• أنماط الجمل الاسمية المصدرية بكأنّ

شكلت كأنّ حضورا بارزا في شعر الوصف؛ إذ جاءت في اثنين وثلاثين موضعا، وقد جاءت وفق أنماط مختلفة، وهذه الأنماط:

## نمط 1: حرف ناسخ + اسم معرف + خبر معرف بالإضافة

جاءت الجملة الاسمية المصدرية بكأن بنمط اسم معرف + خبر معرف بالإضافة في سبعة مواضع:

ومنها قول البحري في:

[الطويل]

وَمِنْ شُرْفَاتِ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَوَادِمُ بِيضَانَ الْحَمَامِ الْمُحَلَّقِ

(البحري، د.ت، صفحة 1510)

أفادت كأن تشبيه الشرفات بقوادم أجنحة الحمام الذي يكون محلقا، وقد جاءت كأن متقدمة على اسمها وخبرها، وجاء خبرها ضميرا متصلا، وخبره معرف بالإضافة، وهذا هو الأصل في نمط الجملة الاسمية المقيدة بكأن، ومثل هذا الذي يتساوى فيه التعريف بين ركني الجملة الاسمية، يشير إلى جعل المشبه يشبه المشبه به بتفاصيله كافة.

## نمط 2: حرف ناسخ + اسم معرف + فاصل + خبر نكرة

جاءت الجملة الاسمية مكونة من اسم معرف، وفاصل يفصل الاسم عن الخبر، وخبر نكرة في خمسة مواضع:

منها قوله في وصف إيوان كسرى:

[الخفيف]

وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْ عَةَ جَوْبٍ فِي جَنْبِ أُرْعَنِ جَلْسِ

(البحري، د.ت، صفحة 1159)

فقد جاءت الجملة الاسمية مصدرية بالحرف الناسخ كأنّ، واسمها معرف (الإيوان)، وجاء خبرها مفردا نكرة، وفصل بين اسمها وخبرها شبه جملة جار ومجرور، وأفادت كأنّ تشبيه الإيوان بترس في جبل يشبه رجلا أرعن، ومثل هذا النمط يفيد التوضيح من خلال الجملة المعترضة الموضحة، ويفيد الإطلاق من خلال الخبر النكرة.

### نمط 3: حرف ناسخ + ضمير متصل + خبر جملة فعلية

جاءت الجملة الاسمية مقيدة بكأنّ واسمها ضمير متصل، وخبرها جملة فعلية في ستة مواضع:  
ومنه قول البحري في وصف الربيع:

[الطويل]

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدى فَكَأَنَّهُ      يَبُتُّ حَدِيثًا كَانَ أَمْسٍ مُكْتَمًا

(البحري، د.ت، صفحة 2091)

فقد جاءت الجملة الاسمية المقيدة بالحرف الناسخ بحرف ناسخ متقدم، ثمّ ضمير متصل، وخبرها جملة فعلية (يبث)، وقد جاء خبرها فعلا مضارعاً دالاً على الاستمرار، وأفادت كأنّ تشبيه برد الندى بشخص يبث حديثاً للدلالة على استمرارية المشهد.

### نمط 4: حرف ناسخ + اسم معرف + جملة معترضة + خبر شبه جملة أو اسم مفرد أو جملة اسمية

جاءت الجملة الاسمية مكونة من اسم معرف، وجملة معترضة وخبر في ستة مواضع.

منه قول البحري:

[الطويل]

كَأَنَّ الْقَبَابَ الْبَيْضَ وَالشَّمْسُ طَلْقَةً      تُضَاكِكُهَا أَنْصَافُ بَيْضٍ مُفَلَّقِ

(البحري، د.ت، صفحة 1510)

فقد جاء اسم كأنَّ معرفاً بأل (القباب)، وخبرها اسم مفرد (أنصاف)، وقد توسط بين الاسم والخبر جملة معترضة، لبيان الهيئة والحال، ومثل هذا النمط يصرف الذهن إلى استحضار التشبيه المشروط بتحقق جملة الحال المتوسطة بين المشبه والمشبه به. وفي هذا البيت لا يتحقق تشبيه القباب البيض بأنصاف البيض المفلق إلا إذا كانت الشمس طالقة وتضاحكها.

**نمط 5: حرف ناسخ + ضمير متصل + شبه جملة (جار ومجرور)**

تكرر هذا النمط في ستة مواضع، منها قول البحري:

[الكامل]

فِي نِعْمَةٍ أَوْطَنْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَفْيَاهَا فَكَأَنِّي فِي مَنْبَجٍ

(البحري، د.ت، صفحة 405)

ففي البيت السابق جاءت الجملة الاسمية مصدرية بالحرف الناسخ (كأنّ) واسمها ضمير متصل عائد على الشاعر، وخبرها شبه جملة جار ومجرور (في منبج) وهذا النمط يفيد مطابقة الصورة، وتحققها في المكانين، فالأول هنا هو مكان الشاعر المقيم فيه، والثاني هو بلده.

**ب. التحليل النحوي**

من شروط عمل الأحرف الناسخة ألا تقترن بما، فإذا اقترنت بها بطل عملها، فتسمى عندها ما الكافية؛ أي تكفها عن العمل، ويعرب ما بعدها مبتدأ وخبر. (حسن، د.ت، صفحة 636) فدخل هذه الأدوات على الجملة الاسمية يحدث تغييراً في الحكمين الإعرابي والدلالي ما لم تدخل عليهما ما الكافية، فعلى الجانب الإعرابي ينصب المبتدأ ويسمى اسمها، ويرفع الخبر ويسمى خبرها، أمّا على الجانب الدلالي، فإنّ الجملة الاسمية التي يدخل عليها أحد الأحرف الناسخة تكتسب دلالة جديدة تستمدّها من دلالة الحرف الناسخ.

يراعى في أسماء إنَّ وأخواتها أن تتقدم على أخبارها وجوبا إلا ما كان منها خبره شبه جملة ظرفية، أو جارا ومجرورا، نحو: لعلَّ فيها رجالا (الأشموني، 1998، صفحة 298)، وقد كانت الأمثلة الواردة في شعر الوصف جميعها متقدما فيها الاسم تقدا واجبا، وهي بذلك موافقة لأصل الجملة الاسمية المقيدة بأحد الأحرف الناسخة. فترتيب الجملة الاسمية المقيدة بأحد النواسخ الحرفية: يجب أن يتقدم فيها الاسم على الخبر.

تتميز الأحرف الناسخة بأنَّها تتقدم على الأسماء والأخبار معا، ويعود ذلك إلى أنَّ هذه الحروف ملازمة للصدارة، فشرط إعمالها أن يتأخر الاسم والخبر عنها (حسن، د.ت، صفحة 636) فلا يصح مثل قولنا: محمدا قائم إنَّ، أو سعيدا إنَّ واقف. ويراعى في أخبار إنَّ وأخواتها أن يكون الخبر غير إنشائي، فلا يجوز أن نقول: إنَّ المحتاج ساعده (حسن، د.ت، صفحة 638). ويراعى في أخبارها أيضا إنَّ وقعت مفردة أن تتأخر عن أسمائها، وهو تقدم الاسم على الخبر نحو: إنَّ العلم نافع، وإنَّ الحق يعلو (حسن، د.ت، صفحة 638). ففي مثل هذه الجمل يجب أن يبقى الترتيب الأصلي، فإذا تتبععت قول الباحثي:

إِنَّ دِمَشْقًا أَصْبَحَتْ جَنَّةً      مُخْضَرَّةَ الرَّوْضِ غَدَاةَ الْبِرَاقِ  
(البحتري، د.ت، صفحة 1514)

لوجدنا أنه لا يصح تقديم خبرها عليها، فلو تقدم لم تعمل، أو لم يكن هذا التركيب صالحا، أما قوله:

[البسيط]

وَرَادَهَا زِينَةً مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا      أَنْ اسْمَهُ حِينَ يُدْعَى مِنْ أَسَامِيهَا  
(البحتري، د.ت، صفحة 2420)

فتقدم الخبر هنا جائز؛ لأنَّ الخبر هنا لا مفرد، ولا جملة، ولكنَّ هذا التركيب عمد الشاعر إلى اختياره؛ لأنَّه يخدم غرض الوصف" فيجوز أن يتقدم على الاسم فقط، فيتوسطه بينه وبين الناسخ عند عدم وجود

مانع" (حسن، د.ت، صفحة 638). ومن الملاحظ أيضا أنه يجب فتح همزة أن في موضع واحد، وهو: أن تقع مع معموليها جزءا من جملة مفتقرة إلى اسم مرفوع، أو منصوب، أو مجرور، ولا سبيل للحصول على ذلك الاسم إلا من طريق مصدر منسبك من "أن" مع معموليها" (حسن، د.ت، صفحة 642)؛ وذلك يكون لسد مصدر من مصادرها بأن تقع في محل رفع فاعل نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ [العنكبوت:51]، أو أن تكون في موقع المفعول به، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافُونَّ أَتُكْفَرُوا بِكُمْ﴾ [الأنعام:81]، أو تأتي في موقع نائب الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الجن:1]، أو في موقع المبتدأ، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً﴾ [فصلت:39]، أو في موقع الخبر، نحو قولك: معرفتي أنك كريم. (الأشموني، 1998، صفحة 299)

## 2. لا النافية للوحدة الأنماط، والأحكام

من خلال استقراء أشعار الوصف عند البحرّي تبين أن لا النافية للوحدة، أو العاملة عمل ليس استعملها البحرّي في أكثر من موضع، وبأنماط مختلفة، وقد جاءت هذه الأنماط على النحو الآتي:-

### أ. الأنماط

نمط1: لا النافية + اسم معرف + خبر معرف.

ومنه قول البحرّي:

[الخفيف]

ذَاكَ عِنْدِي، وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي      بِاقْتِرَابِ مِنْهَا وَلَا الْجِبْسُ جِبْسِي

(البحرّي، د.ت، صفحة 1162)

ففي هذا البيت وردت ثلاث جمل اسمية، الجملة الأخيرة منفية بأداة النفي (لا) واسمها معرف بأل العهدية، وخبرها معرف بالإضافة، وهي تفيد النفي المطلق للخبر عن الاسم.

نمط 2: أداة نفي + اسمها + خبر جملة فعلية.

ومنه قول البحري:

[البسيط]

إِذَا مَسَّاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ      بَدَتْ لِلْوَاصِفِينَ فَلَا وَصْفٌ يُدَانِيهَا

(البحري، د.ت، صفحة 2420)

فقد جاء الجملة الاسمية (فلا وصف يداينها) مكونة من لا النافية واسمها نكرة (وصف)، وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع (يدانيتها)، ويأتي هذا النمط للدلالة على أن الخبر في حالة استمرار. وأنها تعني لا وجود لوصف واحد، أو أكثر.

نمط 3: أداة نفي + اسم معرف + خبر مقترن بالباء

ومنه قول البحري:

[الكامل]

دَانِي الْمَحَلِّ فَلَا الْمَزَارُ بِشَاسِعٍ      عَمَّنْ يَزُورُ وَلَا الْفَنَاءُ بِضَيْقٍ

(البحري، د.ت، صفحة 1483)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية في موضعين لها التركيب نفسه، فالأولى مكونة من لا النافية، واسمها معرف بأل التعريف (المزار)، وخبرها مفرد مقترن بالباء (بشاسع)، والثانية مكونة من لا النافية، واسمها معرف بأل التعريف (الفناء)، وخبرها مفرد مقترن بالباء (بضيق)؛ وهما يعملان على

إفادة تأكيد النفي، وتقوية الوصف في الذهن من خلال نفي البعد؛ لإثبات القرب المكاني في الأولى،  
ونفي ضيق المكان في الثانية؛ لإثبات الاتساع المتحقق فيها

## ب. التحليل النحوي

لا النافية للوحدة هي " أقدم أدوات النفي في العربية ويقابلها في الأكديّة والآرامية (la) وفي العبرية (ة) (5) وقد أنكر كثير من النحاة إعمال (لا) عمل ليس، وقال الآخرون هو قليل خاص بلغة أهل الحجاز، والغالب على خبرها أن يكون محذوفاً، حتى قيل هو لازم الحذف" (السامرائي ، 2000، صفحة 258)، والظاهر عند أكثر النحاة أنه جائز الحذف إن كان معلوماً، وواجب الذكر إن كان مجهولاً. وهي في أصلها لا تعمل إلا في النكرة، ولكنها، قد تعمل في المعارف، وقد أجاز ابن جني إعمال لا عمل ليس في المعرفة. ووافقه ابن مالك. وذكره ابن الشجري" (المرادي، 1992، صفحة 294)، وشاهدتهم في ذلك، قول النابغة الجعدي:

[الطويل]

وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ، لَأَنَا بَاغِيًا ... سَوَاهَا، وَلَا فِي حُبِّهَا مُتْرَاخِيَا

( ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية الثعلب، 1982، صفحة 1924 )

ومثل ذلك أيضا ما جاء عند البحتري في الأمثلة السابقة، فقد جاءت أسماء (لا) في بعض الأمثلة الواردة في شعر الوصف أسماء معرفة.

ومما يشترط فيها أيضا أن لا يتم الفصل بين اسمها وخبرها بأي فاصل، وهذا الأمر يتطلب الترتيب بينها وبين معموليها، فلا يجوز أن تتوسط (لا) بين اسمها وخبرها (حسن، د.ت، صفحة 603). فليس مستقيما قولنا: أنا لا قاعدا.

### المبحث الثالث

#### أثر الجملة الاسمية المقيدة بالنواسخ في الدلالة في شعر الوصف

تكتسب الجمل الاسمية المقيدة وظيفية نحوية ودلالية، وهذه الوظيفة تأتي من القيد الذي يدخل عليها، سواء أكان فعلاً، أم حرفاً، ومما لا ريب فيه أن الأشعار المخصصة للوصف اشتملت على جمل اسمية مقيدة متعددة الأنماط والدلالات، فلا بد أن لهذا القيد أثراً في الدلالة لا يتأتى إلا بالقيد في الجملة الاسمية المستخدمة؛ وذلك بناء على ما يتطلبه السياق المقامي.

وهذا المبحث يُعنى بدراسة الأثر الدلالي الذي تؤديه هذه القيود الفعلية، أو الحرفية، وتهتم به أكثر من اهتمامها بالأثر النحوي الذي تحدثه هذه القيود بالجملة من تغيير للإعراب، وتعمل أيضاً على بيان أثرها في توجيه الدلالة حسب السياق الواردة فيه، ولا تكتفي بالمعاني النحوية المجردة التي تؤديها هذه النواسخ.

فالمبتدأ والخبر هما الركنان الأساسيان للذات تتحقق بهما الفائدة، فإذا أراد المتكلم أن يحدث زيادة في المعنى لجأ إلى تحويل هذه الجملة بناء على ما تقتضيه الظروف السياقية للجملة، والملابس التي وضعت الجملة لأجلها؛ إذ كل زيادة في مبنى الجملة، أو في الكلمة تؤدي إلى زيادة في المعنى، وهذا ما يؤكد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز؛ وذلك أنه كلما زدت شيئاً في المبنى، وجدت معاني غير التي كانت قبل هذه الزيادة. (الجرجاني، د.ت، صفحة 533)

#### أولاً: الأثر الدلالي للقيد الفعلي

أ. أثر كان، وأخواتها في الدلالة في شعر الوصف

كان الناقصة، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

قيدت الجمل الاسمية في مواضع مختلفة، وقد عملت على دراسة أثرها في الدلالة، ولعلَّ أبرز المعاني

الدلالية التي أفادتتها:

## إحداث مقارنة بين ماضي الشيء الموصوف، وحاضره

تأتي كان عند استخدامها في الماضي المنقطع، وهو ضرب يراد به أنه كان يحصل باستمرار في السابق (السامرائي ، 2000، صفحة 210)، ولكنه صار الآن متوقف الحدوث البتة، وذلك نحو قول الباحثري في وصف القصر الجعفري:

[الطويل]

إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الْأَسَى      وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يُبْهِجُ زَائِرَهُ  
(البحتري، د.ت، صفحة 1046)

تقدمت قد الجملة الاسمية، وجاءت مقترنة بالفعل الناسخ، والجملة الاسمية مكونة من ضمير مستتر تقديره هو، وخبر جملة فعلية دالة على استمرارية الفعل وتجده، وقد توسط بين الاسم الناسخ، وخبره شبه جملة ظرفية (قبل اليوم)؛ للتأكيد على أن زمن الإبهاج كان قديماً، فقوله: قبل اليوم تأكيد على انقطاع الحدث.

ففي هذا البيت تأكيد على أن المكان يكتسب حيويته من ساكنيه؛ فالقصر الجعفري كان جميلاً، ويسر الزائرين، ولكنه في مقتل المتوكل أصبح مكاناً خاوياً، ولا يصلح لشيء، بل يتجدد الأسى عند كل زيارة له. فنلاحظ أن الشاعر قدّم صورتين للقصر: الصورة الأولى ما أصبح عليه قصر المتوكل الآن، وهي تعرض المشهد المأساوي للقصر، والصورة الثانية ما كان عليه سابقاً من إبهاج للزائرين، وهي تبرز حجم الألم والحسرة، فإذا أمعنت النظر في الشطر الثاني من البيت، لوجدت دلالة الخبر، وهو الجملة الفعلية يبهج، وزاد على ذلك شبه الجملة الظرفية الواقعة بين اسم كان وخبرها، فوجود شبه الجملة قبل الخبر، يظهر حجم الأسى في قلب الشاعر، ويبين الشاعر بقوله: (قبل اليوم) أن مقتل المتوكل كان الحد الفاصل في تغيير النظرة للقصر الجعفري؛ لأنه يقال: إن الشاعر نظم هذه القصيدة في اليوم الذي قتل فيه المتوكل، فواضح أن هذه الجملة بتركيبها، ودلالة كان والفاصل بين الاسم وخبره، صاغها الشاعر؛

لتسهم في تحقيق دلالة الأسي والتحسر على القيمة العظيمة للقصر من إبهاج للزائرين في الماضي، وهو بذلك يلفت النظر إلى سوء حال القصر من خلال دلالة الجملة المعلنة التي يريد الشاعر عكسها؛ لأنَّ إبهاج الزائرين صار منقطعاً. ومن الملاحظ أيضاً أنَّ هذا التركيب الاسمي أسهم في تحقيق دلالة الوصف من خلال عقد المقارنة بين الصورتين.

وقوله أيضاً في وصف الإيوان وجماله، وأنَّه لا يوجد شيء يشبَّهه:

[الخفيف]

حَلَّ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ مُسِّ

(البحثري، د.ت، صفحة 1155)

جاء الفعل الناسخ منفياً، وهو (لم تكن)، واسمه ضمير مستتر عائد إلى (حل)، وخبره شبه الجملة كأطلال، ولعلَّ الملاحظ هنا، هو امتياز البحثري بالقدرة الخلاقة على التصوير الذي يظهر مقدرته الخيالية واللغوية على إحداث مقارنة بين حياة العرب المتقشفة، وحياة الفرس الناعمة. فجاءت الجملة الاسمية المصدرية بكان منفية، ومعلوم أنَّ أداة النفي إذا دخلت على الجملة الاسمية، فإنَّها تعمل على نفي الخبر، والخبر هنا شبه جملة (جار ومجرور، قوله: (كأطلال سعدى))، ففي صدر البيت أعطى البحثري قيمة لهذه الحلل الواقعة خبراً عن المبتدأ المحذوف، ثمَّ نفى عنها أن تكون كأطلال سعدى. وقد ساعد اسم كان المحذوف العائد على الحلل على رفع مكانة الحلل، فحذفه أسهم في لفت الانتباه نحو القيمة العظيمة التي يريد الشاعر أن يعطيها لحلل الفرس الموجودة في الإيوان، ثمَّ جاءت الجملة الاسمية المنسوخة؛ لتتفي تشبه حلل الفرس الناعمة بحلل العرب الخشنة، وهنا ينبئ إحساس الشاعر على أنَّه يتحسر على الإيوان، وما حلَّ به.

ومثله أيضا ما قاله البحرني في وصف فصل الربيع في عيد النيروز:

[البسيط]

وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى      أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا

(البحرني، د.ت، صفحة 2090)

يقدم البحرني مشهدا عن الورود التي ظهرت في عيد النيروز، وهو عيد الربيع عند الفرس، وقد جاء اسم كان ضميرا مستترا عائدا إلى (أوائل ورد)، وفي هذا البيت تظهر صورة الورود الجميلة، وهي الصورة التي أثبتتها الشاعر في صدر البيت؛ وذلك بإثباتها بالجملة الفعلية التي جاء فعلها ماضيا مصدرا بقدر؛ لإفادة التحقيق، فصرف النظر إلى حال هذه الورود في السابق، يدلُّ عليه قوله: (بالأمس)، وهذا يعني أنَّ الورود التي كانت نائمة أصبحت الآن في قمة نضارتها، وجمالها، وهو ما يريد الشاعر صرف النظر إليه. ولعلنا لاحظنا كيف كان البحرني، يذهب بنا كل مذهب عند صرف الأذهان إلى حال سابق كان وانقطع، ثمَّ يثبت عكسه في سياق البيت نفسه، فتأتي كان؛ لتجعل المشهد السابق حاضرا؛ لإثبات الصورة الحالية. فالورود كانت نائمة قبل عيد النيروز، أمَّا الآن فقد جاء النيروز حاملا معه البشريات؛ لينبَّه هذه الورود، فتصبح في قمة نضارتها.

#### • الدلالة على الحال

فقد تأتي كان للدلالة على الحال (السامرائي ، 2000، صفحة 216)، وليس شرطا أن يكون في الزمن الماضي، وذلك نحو قول البحرني في وصف المطر وصفا يتداعى بشكل ذهني:

[الخفيف]

أَسْعَدَا الْغَيْثَ وَإِنْ كَمَانَ      خَلِيًّا مِنْ كُلِّ مَا تَجِدَانِ

(البحرني، د.ت، صفحة 2197)

ففي هذا البيت يدعو الشاعر إلى ضرورة السعادة والابتهاج بالمطر، وإن كان خالياً من مظاهر السعادة كلها، فكأنه بذلك يصف لنا حال المطر، وهو ليس شديداً، وليس وافراً، ورغم ذلك يدعو الشاعر الناس إلى السعادة والفرح بقدمه؛ أي وإن كان حاله ليس كما يريدون. فالشاعر بذلك يستحضر وصفاً ذهنيًا للمطر بقوله: خليا أي خالياً، فيشير إلى تذبذبه وقلته، فالوصف الذهني الذي يتراءى إلى أذهاننا في هذا المقام هو مشهد المطر المتذبذب عبّر عنه الشاعر بقوله: (إن كان خالياً من كل ما تجدان)؛ أي وإن كان حاله ليس كما تجدان، ورغم ذلك يدعو الشاعر إلى السعادة والابتهاج بقدمه.

وقوله أيضاً في وصف الإيوان:

[الخفيف]

غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَاتِيهِ فِي الْمُوَكِّ بِنَكْسٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1160)

وفي هذا البيت جاء التركيب النحوي للجملة الاسمية مكوناً من أداة نفي، وفعل ناسخ، واسمه معرف بالإضافة، وخبره شبه جملة جار ومجرور (بنكس). فنلاحظ أن الشاعر استخدم تركيباً نحويًا للجملة الاسمية للتعبير عن غرض الوصف، هدف من خلاله إلى إبراز ما وصلت إليه حضارة الفرس من تقدم في العمران والمباني. وحرص على إظهار جمال الإيوان على الرغم مما أصابه من تراجع.

فواضح أن الشاعر هنا يريد أن يعبر عن جمال الإيوان، وعن عظمة من بناه، فيؤكد في البيت السابق أنه لا يعلم من بناه حقيقة، ولكن حسبه من ذلك أنه يعرف أن من بناه كان عظيماً. فجاء بكان المنفية هنا؛ لأنه يريد أن يلفت النظر إلى أن باني هذا القصر لم يكن إلا عظيماً، ويتضح أيضاً في هذا البيت كيف يصرف الشاعر ذهن المتلقي إلى استرجاع الصورة الجميلة التي نظمها الشاعر في الأبيات السابقة، وكل هذه الأشياء، هي التي أكدت للشاعر أن باني الإيوان كان عظيماً، فالصورة الذهنية الجميلة تستحضر حال الإيوان في أوجه.

ومنه قول البحتري في وصف بردون كان عنده:

[السريع]

وَكَانَ مَصْنُوعُ الْقَوْلِ النَّوَاحِي إِذَا رَأَيْتَهُ مُسْتَعْرَبَ اللُّوْنِ

(البحتري، د.ت، صفحة 2242)

فقد جاء اسم كان ضميراً مستتراً عائداً إلى بردون، ونلاحظ أنه في هذا البيت ومن خلال حذف اسم كان من الجملة، قد صرف ذهن المتلقي إلى الخبر (مصقول)، ومعلوم أن حذف اسم كان، فيه إشارة إلى الاسم، تسهم في التخلص من التكرار، وتربط الأبيات بعضها ببعض. فكان في أصلها تقييد اتصاف الخبر بالمخبر عنه في الزمن الماضي، فالشاعر هنا يهدف إلى وصف بردونه الذي كان مصقول الجوانب، فإذا نظرت إليه وجدت أن لونه مميز عن مختلف الألوان، فجاء بهذا التعبير؛ ليبين حاله في الوقت الحالي.

#### • ليس، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

الأصل في ليس أنها تنفي الخبر نفياً مطلقاً، وتحدث أثراً دلالياً في السياق الدلالي من خلال نفي الجملة الاسمية، فالجملة الاسمية في أصلها تدلُّ على الإخبار المثبت، أما إذا دخلت عليها (ليس)، فإنها تبقى للإخبار بالجملة الاسمية ذاتها، ولكنها تأتي لنفي الدلالة، وقد ورد من شعر الوصف أبيات جاءت فيها جمل اسمية منفية بليس، وكان لها أثر في الدلالة في شعر الوصف، من ذلك قول البحتري في وصف الأرض التي أُقيم عليها القصرُ الجعفري:

[الكامل]

مُخَضَّرَةٌ وَالغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ وَمُضَيَّةٌ وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقَمَّرٍ

(البحتري، د.ت، صفحة 1040)

فعلٌ الذي زاد هذا القصر جمالا أنه أُقيم في رأس أرض مشرفة تملؤها الخضرة، وتضاء من كل جوانبها، ولأجل تحقيق هذه الصورة الجمالية أدخل الشاعر (ليس)؛ لنفي المسبب الحقيقي لاختضار الأرض، والمسبب الحقيقي لفعل الإضاءة. فالشاعر يريد أن يضيف عليها جمالا من خلال جعلها لا تتساوى مع غيرها، فربما يكون غير هذا المكان مخضرا، أو مضيئا، ولكن بفعل المسبب الرئيسي؛ إذ لا يكون هذا الاختضار إلّا في الأوقات التي ينهمر فيها المطر، فجاء بالجملة الاسمية للنفي المطلق للمطر في صدر البيت، والنفي المطلق لحضور القمر في عجز البيت، وزاد تأكيد النفي بإدخال حرف الباء الجار؛ لتأكيد نفيه أيضا، لقول سيبويه: "تكون باء الإضافة بمنزلتها في التوكيد، وذلك قولك: ما زيد بمنطلق، ولست بذاهب، أراد أن يكون مؤكداً حيث نفي الانطلاق والذهاب" (سيبويه، 1988).

وما قاله البحري أيضا في قصيدة مدح فيها المتوكل، وذكر قدمه إلى دمشق، فقد تهيأت دمشق لهذا القوم، وأظهرت محاسنها، وتهيأت السحب، وأمطرت بما وعدت، فصارت أرضها خضراء لشدة المطر:

[البسيط]

فَأَسْتَبْصِرُ إِيَّاهُ وَأَكْفَأُ خَضِيئًا      أَوْ يَأْتِعَا خَضِرًا أَوْ طَائِرًا غَرْدًا

(البحري، د.ت، صفحة 710)

ففي هذا البيت وصف دمشق لما قدم الأمير إليها، وقد تصدرت (ليس) هذا البيت، وهي تفيد النفي المطلق للخبر، فلعلّ الملاحظ هنا في هذا الترتيب أنّ الشاعر يهيئ المتلقي من ناحية نفسية؛ وذلك بنفي إِبصار أي شيء، ثمّ يستثني من ذلك كلّ ما أراد له أن يبقى حاضرا بفعل قدوم الأمير؛ أي فلا ترى فيها إلّا سحابة مطرا نديا مبلا، يبيل الأرض، فيجعلها خضراء، ولا ترى فيها إلّا الطيور الجميلة المغردة، فقد هيأ الشاعر المتلقي بنفي كلّ شيء ممكن أن يراه غير الذي يريد إثباته، وهو المستثنى من

فعل النفي، فهذا التعبير أقوى من الذهاب إلى تعبير مباشر يظهر الأشياء التي ظهرت بسبب قدوم الأمير؛ لأنها أوقع في النفس.

وما قاله في قصيدة مدحية يرجح أن تكون في أحد حفدة موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (البحثري، د.ت، صفحة 2443):

[الخفيف]

مَجْلِسٌ كَالرِّيَاضِ حُسْنًا وَكَيْنَ لَيْسَ قُطْبُ السُّرُورِ وَاللَّهُوِ فِيهِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 2443)

أي هو مجلس كالبيستان لشدة جماله، ولكن على الرغم من جماله إلا أنه ناقص، ويعبر عن هذا النقص بليس التي تنفي وجود أهم قطب في السرور واللهو فيه؛ أي قلة الخمر، أو انعدامه، ففي صدر البيت يشبه المجلس بالبيستان لشدة جماله، ثم أشار إلى النقص الحاصل رغم توافر مقومات الجمال التي جعلته يشبه البيستان. وقد جاء خبر ليس شبه جملة جار ومجرور على تقدير مستقر؛ أي لا استقرار فيه من ناحية وجود الخمر، فهو مجلس اجتمع فيه كل جميل حتى صار كالبيستان إلا أن فيه نقصاً.

• أمسى، وأصبح، وأضحى، ودلالاتهما ودلالاتها في سياق شعر الوصف

الأصل في الأفعال أمسى وأصبح، وأضحى أنها أفعال تدلُّ في الأصل على تحقق الخبر في وقتها، فأمسى تعني الدلالة على التحقق في وقت المساء، وأصبح تدلُّ على تحقق الخبر في وقت الصباح، وأضحى تدلُّ على تحقق الخبر في وقت الضحى إلا أن هذه الأفعال قد تخرج عن أصلها، فتدلُّ على التحول والصورورة، أو أنها تبقى على دلالاتها الحقيقية، ومن أمثلتها:

ما قاله البحثري في وصف دمشق لما قدم المتوكل إليها، وهذا البيت يجمع بين الفعلين:

[البسيط]

يُمْسِي السَّحَابُ عَلَى أَجْبَالِهَا فَرَقًا وَيُصْبِحُ النَّبْتُ فِي صَحْرَائِهَا بَدَدًا  
(البحثري، د.ت، صفحة 710)

يعرض البحتري مشهداً لدمشق لما قدم المتوكل إليها، فما إن حلَّ المساء حتَّى كانت السحب حاضرة فوق الجبال، وبحلول الصباح ينهمر المطر، فيعمّ الخير أرجاءها، فمساؤها كان تهيئةً للسحاب الذي يتجمع على شكل فرق على جبالها، وفي صباحها تمطر هذه الغيوم، فالشاعر بهذين الفعلين جسد مشهداً يتحكم به العامل الزمني القصير بين تهيؤ الغيوم في المساء وإمطارها في الصباح؛ لتكون بقدمه في أجمل صورة، فقد استخدم الفعلين وما بينهما من الزمن استخداماً مجازياً يظهر سرعة التحول والتهيؤ لقدم الأمير.

وما قاله في وصف بستان:

[الطويل]

وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشَيْئاً مُجَدِّدًا فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنَّفُوسِ وَمَقْعِدًا  
(البحثري، د.ت، صفحة 840)

يصف الشاعر في هذا البيت بستاناً أحدث فيه المطر تغيراً من خلال تزيينه بالأزهار والنباتات الجميلة؛ إذ كسته وشياً جميلاً، فصارت النفوس مضطربة لكثرة التردد إليه، فلعلنا نلاحظ كيف أحدثت الجملة الاسمية في عجز البيت ارتباطاً في الكلام السابق، فقوله فأضحى مقيماً للنفوس ومقعداً هي جملة اسمية جاءت لتبين شدة الجمال في هذا البستان حتى جعلت النفوس تضطرب، فكلمة تأملنا هذه الجملة استحضرتنا ذلك الوشي الجميل في البستان، لأنَّ هذا الاضطراب ناتج عن شدة الجمال.

• بات، ودلالاتها في سياق شعر الوصف:

الأصل في بات أنها تستخدم للدلالة على اختصاص المبتدأ بالخبر في وقت الليل، ولكنها قد تخرج عن دلالاتها الأصلية للدلالة على الصيرورة، والتحول (السامرائي ، 2000، صفحة 237)، ومن أمثلتها قول البحرني في وصف إيوان كسرى بعد أن تردت أحواله، وأصبح خاويًا:

[الخفيف]

عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَبَاتَ ال مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبٌ نَحْسِ

(البحرني، د.ت، صفحة 1159)

انقلبت أحوال الإيوان من العمران والأهول بالسكان، إلى الوحشة والفراغ، وهذا ما نلمسه من استخدام (بات) الدالة على التحول الكبير الذي حدث للإيوان بانقلاب أحواله، فبعد أن كان الإيوان يمثل كوكب سعد، وهو ما يدلُّ عليه كوكب المشتري في أصله صار كوكب نحس، فقد استعار الشاعر كوكب المشتري السعيد للدلالة على حال الإيوان في أيام ساعده، ثم استعاره للدلالة على نحس الإيوان إبان انهيار عظمته، وجاءت بات بمعنى (صار)؛ لتدل على المآل الذي وصل إليه الإيوان حتى صار كوكب نحس.

• ما زال، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

يشير فعل النفي (ما زال) إلى الاستمرارية في الحدوث، وعدم الانقطاع، واستعمالها في الوصف يكون للدلالة من أول الأمر على أن الشيء الموصوف في حالة استمرار، يقول البحرني في وصف السحاب:

[البسيط]

مَا زَالَ يَسْكُبُ سَحَابًا مُسْبِلًا غَدَقًا لَا يَسْتَفِيقُ وَلِي عَيْنٍ تَبَارِيهِ

(البحرني، د.ت، صفحة 2444)

بدأ الشاعر قصيدته من أولها بوصف للمطر، ونزوله إلى الأرض ثم اخضرارها، إلى أن وصل إلى هذا البيت، فظلَّ يعرض مشهد استمرار المطر بالنزول، وهو غزير دون انقطاع، فلا يصحو طوال النظر إليه. فالفعل (ما زال) دلَّ على الاستمرارية؛ لأنَّه نفي للفعل زال، ونفيه يدلُّ على الاستمرار والاتصال بزمن الإخبار (السامرائي، 2000، صفحة 240). فكأنَّ الشاعر استخدم الفعل ما زال للتبنيبه به من أول الأمر على استمرارية حدوث المطر، وعدم انقطاعه.

#### • صار

ومن أمثلته قول البحري في وصف سوء حال الإيوان:

[الخفيف]

عُمِّرَتِ لِلسُرورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَعَزِّي رِبَاعَهُمْ وَالتَّاسِي

(البحري، د.ت، صفحة 1161)

يتابع الشاعر وصف حال إيوان كسرى، فيعقد في هذا البيت مقارنة بين حال الإيوان الذي كان يعج بالسرور والبهجة وبين حاله الذي يشير إليه بأنه مكان للتعزي والتحسر، ففي صدر البيت بين الشاعر حال الإيوان في السابق، ثم جاء بالفعل الناسخ(صار) الذي يحمل دلالة التحول والصيرورة، وتكون الجملة الاسمية المكونة من اسمها وخبرها بعدها، هي الدلالة الثابتة، أو هي الحكم المتحول، فإذا كانت (صار) دالة على التحول والصيرورة، فهذا يعني أنَّه كان قبلها حكم آخر، ومما لاشك فيه أنَّها هنا تدل على الصيرورة لأنَّ هذه هي حقيقة الإيوان.

فالشاعر إذن من خلال الفعل الناسخ (صار) أظهر صورتين للإيوان، وهاتان الصورتان تشيران إلى التحسر؛ إذ الصورة الأولى هي ما كان عليه الإيوان وانتهى، وهي الصورة الجميلة، والصورة الثانية هي التي تبين حال الإيوان في وقت الشاعر.

## ب. الأثر الدلالي لأفعال المقاربة:

لا بدّ من الإشارة إلى أنه لم يحضر من أفعال المقاربة في شعر الوصف إلا فعل واحد، وهو كاد؛ إذ جاء في أربعة مواضع:

### كاد، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

تستعمل كاد للدلالة على أنّ الفعل قد شارف الوقوع، والوقوع فيه منتفٍ، ومن أمثلته في شعر الوصف، وأثره الدلالي، قول البحتري في وصف الربيع في عيد النيروز:

[البسيط]

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا      مِنْ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ

(البحتري، د.ت، صفحة 2090)

يصف الشاعر في هذا البيت الربيع في عيد النيروز، فيقول: إنّ فصل الربيع جاء حاملاً معه جمال الطبيعة كلها، وكلّ شيء مبهج فيها. فجاءت الجملة الاسمية؛ لتدلّ على قرب حصول الفعل، والفعل كاد هو أقرب فعل من أفعال المقاربة؛ إذ تدلّ على الاقتراب من الفعل.

فكأنّ الشاعر هنا يقول: إنّ فصل الربيع، ولشدة جماله جاء يمشي متبخترا حتى لتظن أنه اقترب من الكلام، فقوله: (حتى كاد أن يتكلّم) أقوى في الدلالة على الوصف من قوله تكلماً، فهو لم يتكلم لا حقيقة، ولا مجازاً، ولكنه من حيث المجاز اقترب من الكلام، فنحن ربما نستخدم هذا التعبير في حياتنا العادية عندما نصف شيئاً جميلاً، فنقول: كاد يحكي، لشدة جماله، فالفعل الناسخ (كاد) جاء؛ ليدلّ على الاقتراب من الكلام. ولربما جاء استعمالها حتى لا ينصرف الذهن إلى الاستعارة المكنية وتشبيه الربيع بالإنسان الذي يتكلم، فلو قال: الربيع تكلم لانصرف الذهن إلى الاستعارة المكنية، ولكنّ الشاعر يريد أن يصرف الذهن إلى شدة جماله التي جعلته يقترب من الكلام. فالفعل تكلم تعني أنّ الأمر تحقق، وبهذا

التعبير سيذهب المتلقي إلى تأويل المجاز، أمّا الفعل كاد يتكلم، فإنّ الذهن فيه سينصرف إلى شدة جماله التي جعلته يقترب من الكلام، فيستحضر المتلقي صورة الربيع الجميلة.

ومن دلالات كاد في شعر الوصف أيضا، قول البحتري في وصف القصور:

[الوافر]

قُصُورٌ كَالكَوَاكِبِ لَمِعَاتٌ      يَكْدُنُ يَضِيئُنَّ لِلسَّارِي الظَّلَامَا

(البحتري، د.ت، صفحة 2011)

شبه البحتري في البيت السابق القصور بالكواكب اللامعة؛ لاشتراكها بصفة اللمعان والإضاءة، فالقصور تقترب من تحقيق الإضاءة لساري الليل، وجاء الفعل كاد للدلالة على قرب تحقق فعل الإضاءة؛ ذلك لصرف الذهن عن أمرين: الأول: عن الإضاءة الحقيقية التي يمكن للقصور تحقيقها إذا توافر السبب الرئيس لفعل الإضاءة، والثاني: عن الاستعارة التي يمكن أن ينصرف الذهن إليها، فتشغله عن المشهد الجمالي لتلك القصور في حال استعمل الشاعر يضيئ دون يكدن، ولكن الشاعر جاء بالفعل يكدن للدلالة على الاقتراب دون التحقق لصرف الذهن إلى جمال تلك القصور التي جعلتها تكون دليلا مضيئا لساري الليل.

ومن لطيف استعمالها أيضا في شعر الوصف، قول البحتري في وصف فرس كانت له:

[الطويل]

جَارَى الْجِيَادَ فَطَارَ عَنُ أَوْهَامِهَا      سَبَقًا، وَكَادَ يَطِيرُ عَنُ أَوْهَامِهِ

(البحتري، د.ت، صفحة 1990)

ففي هذا البيت نلاحظ أنّ البحتري يبدع في وصف حركة الفرس، وقد زين هذا البيت بالاستعارات، فيشير إلى سرعة الفرس الذي أهدي إليه، فجاء اسم كاد ضميرا مستترا؛ ليقترن الفعل كاد بالخبر يطير،

وتقدير الكلام (وكاد هو يطير) فقد عمل الضمير المستتر على إتاحة الفرصة للتلازم بين الفعل الناقص وخبره، ليكون أقوى في التعبير؛ إذ إنه يريد أن يبين شدة سرعة جواده، فالتركيب النحوي قادر على أن يخدم الدلالة، وأن يعطي صورة حسية لسرعة الحصان وقفزه، فالاستغناء عن بعض الألفاظ يُمكنُ المتلقي من استحضار المشاهد الوصفية، وتخيلها بكامل تفاصيلها دون الانشغال بتكثير الألفاظ. ولعلنا نلمس من هذا التعبير صورة حركية تبين قوة الحصان وسرعته التي جعلته يسبق الجياد وأوامها، ثمَّ كاد لشدة هذه السرعة أن يسبق أوامه هو، أو يطير عنها، ونلاحظ أيضاً أننا بهذا التعبير لا نذهب بأذهاننا إلى الاستعارات، وإنما نذهب أذهاننا إلى استحضار مشهد حركي، وصورة جمالية لحصان يسابق، ولشدة سرعته يقترب من أن يتحول إلى طائر، فيتجاوز خياله.

### ثانياً: الأثر الدلالي للقيّد الحرفي

أ. إن، وأخواتها، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

#### 1. إنَّ وأنَّ، ودلالاتهما في سياق شعر الوصف

تأتي إنَّ لتوكيد الجملة الاسمية، وتأكيد اتصاف الاسم بالخبر، ومعنى التأكيد ملازم لها، و"هو الأصل فيها، ويدور معها حيث وردت" (السامرائي، 2000، صفحة 286)، وقد تكرر مجيئها في شعر الوصف وفق معانٍ مختلفة:

#### • التوكيد، والربط

فقد تأتي إنَّ لربط الكلام وتوكيده، فيكون ما قبلها مرتبطاً بما بعدها؛ لأنَّ ما بعدها توضيح لما قبلها، وذلك كقول البحثري في وصف المتوكلية:

[الكامل]

يَهْيِيكَ فِي الْمُتَوَكِّلِيَّةِ أَنَّهُا حَسُنَ الْمَصِيفُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْبَعُ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1311)

فالشاعر في هذا البيت يهنئ المتوكل بالجمال الخلاب الذي تتمتع به المتوكلية، فيؤكد السبب الذي دفعه لتهنئته بها، فهي مكان قد حسن فيه التصيف، وطاب فيه قضاء أوقات الربيع، ولتحقيق غرض الوصف جاء بجملة اسمية مؤكدة (أنَّها حسن المصيف بها)؛ ويأتي تأكيده لذلك لما تتمتع به المتوكلية من أجواء رائعة في الصيف وفي الربيع. فجاء بالفعل الماضي؛ لإفادة التحقق، ثمَّ عطف عليها بجملة (وطاب المربع)، فالتأكيد حاصل بأداة التوكيد (أنَّ)، وبالخبر الجملة الفعلية التي فعلها ماض (حَسَنَ المصيف)، و بالجملة المعطوفة، (وطاب المربع)، ويتضافر مع غرض التوكيد غرض آخر، وهو ربط الكلام بعضه ببعض، فإن سقطت (أنَّ) من الكلام، فإنه يصبح منفصل العرى غير مترابط.

#### • تحقيق دقة في الصورة الموصوفة

ومن لطيف استعمال (أنَّ) أنها قد تأتي لتوكيد شيء خارق لعادة الناس، لإثبات دقة الشيء الموصوف. ومن ذلك قول البحثري عن الجنود الموجودين على الصورة المعلقة في إيوان كسرى:

[الخفيف]

تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَاءٍ      لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُرْسِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1157)

فمن لطيف استخدامها في هذا البيت أنها جاءت ل"شيءٍ قد جرت عادة الناس بخلافه" (السامرائي، 2000، صفحة 288)، فإنَّ العين لدقة الصورة الموضوعة تتخيل أنهم أحياء حقيقة ويقاثلون، ويتخاطبون فيما بينهم عن طريق لغة الإشارة، فجاءت (أنَّ) تأكيدا لحركتهم؛ لإثبات دقة هذه الصورة، فالشاعر لا يريد أن يؤكد حقيقة تكلمهم، وإنما يذهب إلى التأكيد على الإبداع في هذه الصورة، فجاء كلامه مؤكدا؛ لأنَّ حركتهم غير حقيقية، فأكدَّ عليها حتى لا يدع مجالاً للشك في دقة إبداع هذه الصورة، وإضافة إلى ذلك كله، فإنَّها جاءت، لربط الكلام بعضه ببعض؛ إذ لا يستقيم الكلام إذا سقطت منه.

ومن لطيف ذلك أيضا، ما قاله البحثري في وصف السيف:

[الكامل]

مُتَوَقِّدٌ بِيَّـرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدْبَلِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1751)

يصف البحثري قوة سيف ومثانته؛ إذ يقضي على أيّ عدو، وإن كان يحتمي في جبال يذبل. فواضح أنّ ما يريد الشاعر إثباته هنا هو قوة السيف، فجاء بجملة اسمية مصدرية بأنّ، (ولو أنّها في يذبل)؛ لتأكيد الحكم السابق على السيف في ذهن المتلقي؛ لأنّ هذا السيف لا يمكن أن يدرك ذلك حقيقة، فقد تأتي (أنّ)؛ لتأكيد شيء مخالف للحقيقة تقوية لصفة متعلقة به، فالشاعر في الوصف يغوص في بحر خياله، فيلتقط أقوى الأوصاف، ثم يسقطها على الموصوف.

#### • التعليل

وقد تأتي أنّ للتعليل (السامرائي ، 2000، صفحة 290) إضافة؛ إلى أصلها في التوكيد، ومن أمثلة ذلك، وصف البحثري للمتوكلية، في القصيدة التي مدح بها المتوكل؛ إذ يقول:

[البسيط]

وَزَادَهَا زِينَةً مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا      أَنْ اسْمَهُ حِينَ يُدْعَى مِنْ أَسَامِيهَا  
(البحثري، د.ت، صفحة 2420)

يستأنف البحثري حديثه عن جمال المتوكلية، ويؤكد أنّ جمالها متحقق بسبب اقتران اسمها باسمه، ف(أنّ) جاءت للتأكيد تقوية للوصف، وجاءت أيضا معللة أسباب جمالها، وهي بهذا لم تكن للتعليل المطلق، وإنّما هي مؤكدة جاءت تفيد التعليل، وجاءت لربط الكلام؛ إذ لو سقطت من الكلام لصار مفككا، فلا يستقيم الكلام في قولنا وزادها زينة من بعد زينتها اسمه حين يدعى من أساميتها.

## • استقلالية الكلام

وقد تأتي للدلالة على استقلالية الكلام، وهذا ينطبق بشكل خاص مع إنَّ المكسورة الهمزة، وذلك نحو قول البحرني في وصف دمشق:

[السريع]

إِنَّ دِمَشْقًا أَصْبَحَتْ جَنَّةً      مُخْضَرَّةَ الرَّوْضِ غَدَاةَ الْبِرَاقِ  
(البحرني، د.ت، صفحة 1514)

فقد أفادت إنَّ في هذا البيت استقلالا في الجملة، وهي للتأكيد المطلق، فيؤكد الشاعر أنَّ دمشقاً أصبحت كالجنة؛ حيث بساينيتها خضراء، فإنَّ المكسورة تأتي "الجملة معها على استقلالها بفائدتها؛ ولذلك يحسن السكوت عليها؛ لأنَّ الجملة عبارة عن كل كلام تام قائم بنفسه، مفيد لمعناه" (السامرائي، 2000، صفحة 293)، فلا فرق بين قولنا دمشق أصبحت جنة، وإنَّ دمشقاً أصبحت جنة إلا التوكيد الذي لا يدع مجالاً للشك عند المتلقي في ذهنه؛ ليتمكن من استحضار مشهد دمشق بجمالها الخلاب.

ومن أمثله أيضاً على استقلالية جملة التوكيد، قول البحرني في وصف قصر الصبيح:

[الخفيف]

إِنَّ خَيْرَ الْقُصُورِ أَصْبَحَ مَوْهُوبًا      بَكْرَهُ الْعِدَى لِحَيْرِ الْأَنْامِ  
(البحرني، د.ت، صفحة 2006)

يهيم البحرني في خياله، فيصف القصور العباسية، بأجمل الأوصاف من حيث موقعها، وإطلالتها، وإحاطتها بالبرك وبالبساتين، واستمدادها المياه من أعذب الجداول، ولعلَّ ما يزيد لها حسنا وبهاء، أنَّها أصبحت منازل للخلفاء. فنلاحظ أنَّ البحرني يحاول إثبات جمال قصر الصبيح، وذلك بأنَّه مملوك للخلفاء. فجاء بالجملة الاسمية المؤكدة بـإنَّ؛ لإثبات أنَّها خير القصور من أول الأمر؛ وذلك أنَّها تمثل

خير القصور، فالجملة في أصلها خير القصور أصبح موهوبا لخير الأنام، ولكنّ البحتري أراد إثبات ذلك، فجاء ب(إنّ) للتوكيد، فالجملة في ذلك مستقلة غير مرتبطة بما يسبقها، وإنما جاءت جملة مستقلة مؤكدة.

## 2. كأنّ، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

تحدث (كأنّ) أثرا دلاليا جديدا في الجمل الاسمية، فتوسعها، أو تقيدها، مراعاة للسياق، وهذه الدلالات التي تحدثها غير تلك الدلالات التي تؤديها، وهي مجردة من هذا القيد، ولعلّ أبرز هذه الدلالات التي ظهرت في الجملة الاسمية الواردة في شعر الوصف، تتمثل بـ:

### • التشويق، والإثارة من خلال الفصل بين معموليها

يسعى المتكلم إلى تزيين كلامه وتحسينه سواء بالأسلوب، أم بالألفاظ؛ ليجعل كلامه أكثر تأثيراً في نفوس السامعين، ومن هذه الأساليب المستخدمة أنه يؤخر ذكر الخبر؛ لتشويق السامع، وذلك بسبب إدراكه أنه كلما طالّت المدة في معرفة الخبر ازداد السامع تشوقاً؛ لأنّ المتلقي تظهر عليه رغبة شديدة من أجل سماع الخبر، وقد وجدت في شعر البحتري كثيرا من هذه الأساليب، وهذا يتفق و غرض الوصف؛ لأنّ الشاعر يهدف في غرض الوصف أن يجعل الشيء الموصوف، فيلجأ إلى الفصل بين معمولي كأنّ، وذلك نحو قول البحتري في وصف بركة المتوكل:

[البسيط]

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفُقِهَا      يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَأَدِيهَا

(البحتري، د.ت، صفحة 2420)

ففي هذا البيت نرى البحتري يستخدم التشبيه المقلوب؛ ليصل إلى مدح الخليفة المتوكل، فيشبهه بركته حين تتدفق بيد الخليفة التي تجزل في العطاء، وقد استخدم في هذا البيت جملة اسمية مقيدة بكأنّ

التشبيهية، وأصل الجملة الاسمية قبل أن تدخل عليها كأنَّ (البركة حين لجت في تدفقها يد الخليفة)،  
فالشاعر أدخل كأنَّ؛ لإفادة التشبيه. ولا بد من الإشارة إلى أنَّ هذا البيت ليس وصفاً خالصاً، إنما هو  
مدح للخليفة، فيلزم فيه لتحقيق المدح أن يصف، فالغرض من هذا البيت، هو تصوير المتوكل، وهو في  
قمة عطائه.

فجاء بالبركة موصوفة بحركة تدفقها حين تلج، بأنَّها تشبه يد الخليفة في العطاء والكرم، فقوله: (حين  
لجت في تدفقها) يجعل المتلقي يستحضر مشهد البركة، وهي في قمة عطائها قبل أن يصل إلى  
الخبر (يد) وهو المشبه به. فاستخدام كأنَّ مصدره للبيت الشعري ينبه على أنَّ السياق سياق تشبيه؛ لذا  
فالفصل بين المشبه والمشبه يزيد من وتيرة الشوق عند المتلقي.

ومن طريف الفصل بين معمولي كأنَّ، قول البحتري في وصف الكامل:

[الكامل]

وَكَأَنَّ تَفْوِيْفَ الرُّخَامِ إِذَا التَّقَى      تَأْلِيْفُهُ بِالْمَنْظَرِ الْمُتَقَابِلِ  
حُبُّكَ الْغَمَامَ رُصِفْنَ بَيْنَ مَنْمَرٍ      وَمُسَايِرٍ، وَمَقَارِبٍ، وَمُشَاكِلِ

(البحتري، د.ت، صفحة 1648)

يستوقفنا هذا الوصف الجميل للكامل، فخطوط الرخام والتزيينات الموشح بها تشبهه؛ -إذا نظر إليها  
الشخص وتمعنهما، ورآها- الغيوم التي تراكمت مع بعضها؛ لتشكل منظراً جمالياً، فالشاعر يأخذنا إلى  
استحضار مشهد يجسد جمال الرخام في القصر الكامل قبل أن يذكر لنا المشبه به، (حبك)، ولعلَّ الجملة  
التي تقع بين معموليها، (إذا التقى تأليفه بالمنظر المتقابل) هي التي توضح فسيفساء الرخام المتقابلة التي  
تشكل في نهايتها صورة جمالية تشبه سحبا متراكمة تخلق صورة جميلة.

• جعل المشبه لا يقصر عن المشبه به

وذلك حين تريد تشبيه شيء بشيء يُشبهه بتفاصيله كافة؛ أي لا يحيد عنه بأي جزء من تفاصيله. (السامرائي ، 2000، صفحة 309) كأن تقصد تشبيه محمد بالأسد، فتقول مثلا: محمد كالأسد؛ أي يشبهه، ولو بشيء واحد فقط، أما إذا قلنا: محمد كأنه الأسد، فهذا التعبير أقوى من التشبيه بالكاف، لأنه بكأن يقدم صورة تعبر عن فرط شجاعته بحيث يطابق الأسد بكامل تفاصيله، فلا يحيد عنه بشيء من تفاصيله، ومن ذلك قول البحري في قصيدة قال يمدح فيها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي:

[الكامل]

فِي نِعْمَةٍ أَوْطَنْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَفْيَافِهَا فَكَأَنَّنِي فِي مَنْبَجِ

(البحري، د.ت، صفحة 405)

يصف الشاعر في هذا البيت إقامته عند أبي نهشل؛ لأنه أحس براحة شديدة عنده لعظيم كرمه عليه حتى جعل يشعر أنه في بلده الأصلي (منبج)، فنلاحظ أنه بهذا التركيب الاسمي جعل حياته عنده، وهي المشبه تشبه حياته التي كان يحياها في موطنه الأصلي بحيث لا تحيد عنها بأي جزء من تفاصيلها، فكأنها هي هي. (الأزهري، 2000، صفحة 294) فقله: (فكأنني في منبج) جملة اسمية تشير إلى أن الشاعر يساوي في هذه الجملة الاسمية بين حياته عند أبي نهشل، وعبر عن هذه الحياة بالضمير المتصل المرتبط بحسن المعاملة، وبين خبرها شبه الجملة الجار والمجرور (في منبج) الدالة أنه مستقر، وموجود في بلده.

ويصدق على ذلك أيضا قول البحري في وصف نهر القاطول الذي يقع عليه قصر الساج:

[الكامل]

نَهْرٌ كَأَنَّ الْمَاءَ فِي حُجْرَاتِهِ إِفْرِنْدُ مَتْنِ الصَّارِمِ الْمُتَأَلِّقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1483)

يعبر البحثري في هذا البيت عن صورة حركة الماء في نهر القاطول من خلال تشبيهها بالوشى المزخرف به متن السيف القاطع الجميل، ف جاء بجملة اسمية مركبة من اسم معرف(الماء)، وخبر معرف بالإضافة(متن الصارم)، فتساويا بالتعريف، ولكنَّ اسم كَأَنَّ، وهو الماء المعرف يحتاج إلى تعريف إضافي، فيعود المتلقي إلى تخيل حركة الماء في النهر؛ إذ شكل حركتها يشبه وشى السيف القاطع، بل بهذا التركيب جعل البحثري حركة الماء التي تسير في حجرات نهر القاطول، وكأنَّها الزخرفة نفسها الموشى بها متن السيف الجميل، ليجعلنا بذلك نستحضر حركة الماء وهي، متعرجة، و متموجة، ومزينة بحركات عجيبة، وألوان بديعة يكتسبها نهر القاطول من جمال الطبيعة ومن جمال حجرات القصر.

ويعبر لنا البحثري عن صورة جميلة نرى من خلالها أنَّ أداة التشبيه (كَأَنَّ) جاءت في سياق يجعل المشبه يتطابق في كلِّ شيء مع المشبه به، فلا يحيد عنه، نحو قول البحثري في وصف قصر المتوكل(الجعفري):

[البسيط]

فَرَفَعَتْ بُنْيَانًا كَأَنَّ زُهَاءَهُ أَعْلَامُ رَضْوَى أَوْ شَوَاهِقُ صَنْبَرٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1041)

إنَّ البحثري يهدف من نظم هذا البيت إلى التوسل بالوصف؛ لمدح الخليفة؛ فالوصف والمدح في هذا البيت غايتان مقترنتان؛ إذ الوصف فيه تخليد للقصر، وفيه أيضا مدح لصاحبه، لأنَّ الإنسان يُمدح من

خلال إنجازاته، فيذهب البحرّي إلى أنّ القصر ما وصل لهذه المرحلة من الجمال إلّا؛ لأنّ صاحبه أبدع في صنعه، وساعد تركيب الجملة الاسمية على تحقيق هذا الوصف من خلال التركيب الجملي الاسمي المكون من حرف التشبيه (كأنّ)، واسمها (زهاءه)، وهو مضاف والهاء في محل جر مضاف إليه، و(أعلام) خبرها مرفوع، وهو مضاف، وإذا أمعنا النظر في الجانب الدلالي لوجدنا أنّ (كأنّ) جاءت؛ لتشبيهه جرم القصر في ارتفاعه، وعلوه بجبال رضوى العالية، فساوى في التعريف بين المشبه والمشبه به؛ ليطابقه في كل شيء، فلا يحيد عنه، فكأنّ جرم القصر في هذا الارتفاع الشامخ هي ذاتها جبال رضوى.

ومثل ذلك أيضا ما قاله البحرّي في وصف الإيوان لما خلا من ساكنيه:

[الخفيف]

فَكَأَنَّ الْجَزْمَارَ مِنْ عَدَمِ الْأُنْسِ      سِ وَإِخْلَالِهِ بِنْيَةِ رَمْسِ

(البحرّي، د.ت، صفحة 1155)

لقد صاغ البحرّي أجمل أبيات الوصف عن الإيوان من خلال تصويره في أوجه، ثمّ في ضعفه وانكساره، وتتنضح هذه الصورة عن البهو، وقد خلا من الناس، فصوره بأنّه قبر، ولعلّ الملاحظ من هذا التركيب أنّ البحرّي لا يريد أنّ يشبه هذا البهو الذي خلا من ساكنيه بالقبر، وإنّما يريد أنّ يخبرنا بأنّه هو القبر ذاته، فقد استطاع من خلال هذا التعبير الجملي (فكأنّ الجزمار بنية رمس) أن يصور بهو الإيوان لمّا خلا من ساكنيه بأنّه لا يحيد عن القبر؛ إذ يعمه هدوء غير مسبوق بعد أن كان يعج بالحركة والحيوية.

## • التحقيق

"وزعم بعضهم أنّ (كأنّ) قد تكون للتحقيق دون تشبيهه" (جمال الدين، صفحة 6)، ولكنّي أذهب إلى أنّها، وإن كانت تنفيذ التحقيق، إلّا أنّها تبقى في دائرة التشبيه، فتنفيذ تشبيهها وتحقيقها، وذلك نحو قول البحرّي:

[الخفيف]

فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوْمَ إِذَا مَا بَلَغْتَ أٰخِرَ حِسِّي

(البحرّي، د.ت، صفحة 1161)

ينتقل الشاعر بخياله عبر تخطيه الحقيقة التي وصل إليها حال الإيوان، فبعد أن كان الإيوان هامدا والرسوم مليئة بالتراب، وهذه دلالة على سوء حاله؛ فإذا بالشاعر ينتقل عبر إحساسه إلى رؤية القوم في ماضيهم العظيم، حيث اللهو والجواري، وشرب الخمر، ومراتبهم العالية التي يتفوقون بها على الآخرين، فكأنّ الشاعر يذهب بنا ليقول: إنّ الإيوان سيبقى ذا مكانة مهما فعلت به الظروف. وهذا على سبيل التحقيق والإقرار بأنّ مكانته ستظل باقية. أمّا ما يتعلق بدائرة التشبيه، ففي عرف الشاعر وإحساسه، فإنّهم يتشبهون، وهم في حالة الضعف هذه بملك يهابه الناس رغم ضعفه في الحقيقة؛ وذلك لأنّ صورته الأصلية ما زالت محفورة في ذاكرتهم، وأذهانهم عن ماضيه المجيد.

## • التقريب

فقد أجاز النحاة استخدامها على التقريب، نحو قولنا: كأنك في الدنيا لم تكن، (السامرائي، 2000، صفحة 312)، أو كأنك لم تنزل موجودا، ومن ذلك قول البحرّي:

[الخفيف]

فَكَأَنَّا نُحِسُّهَا فِي الْأَمَانِي أَوْ نَرَاهَا فِي طَارِقِ الْأَحْلَامِ

(البحرّي، د.ت، صفحة 2006)

ففي هذا البيت يصف البحترى مجالس القصور، فيرى أنها تتمتع بصفات جمالية لا يمكن إدراكها حقيقة؛ إنما تُدركُ بالعقول، وبالأوهام، فلها أوصاف تعجز الحقيقة عن تصورها، أو الإتيان بمثلها، ونلاحظ أن الشاعر استخدم (كأنّ) للدلالة على عدم وجود تلك الأوصاف في الحقيقة؛ لإظهار تميزها عن الأشياء الموجودة في عالمنا، فقال: (كأنّ نراها في عالم غير هذا العالم الوجودي)، فهو يقرب هذه الأوصاف التي يمكنها أن تغزو العقول في الأحلام والأمنيات من خلال صرف النظر إليها وتقريبها، رغم وجودها الحقيقي، وهذا مثل قولنا في بعض الأحيان عن شيء خارق في الجمال، ونريد أن نصفه، ونميزه، فنقول: كأننا في الجنة، أو كأننا نحلم.

#### • الظنّ

هناك من النحاة من رأى أنها تفيد الظن إذا كان خبرها مركبا تركيبا إسناديا فعليا، أو ظرفيا نحو كأنّ محمداً في الجامعة، أو عند خالد، أو كأنّهُ فعل كذا وكذا (أبو المكارم، 2007، صفحة 134). ويذهب السامرائي إلى أنّ الصحيح في ذلك أنها على التشبيه على تقدير محذوف. (السامرائي، 2000، صفحة 312) ومن ذلك قول البحترى في وصف بلده، وهو يتشوق لها:

[البسيط]

كَأَنَّ الْعَذَارَى تَمْشِي بِهَا إِذَا هَزَّتْ الرِّيحُ أَفْنَانَهَا

(البحترى، د.ت، صفحة 2177)

يصف الشاعر في هذا البيت بلده، فيشبه حركة الأغصان التي تهزها الرياح بحركة الفتيات العذارى، اللواتي يتبخترن بحركتهن ومشيتهن، وهذا دليل على أنّ الأغصان تتحرك بطريقة جميلة وعجيبة، وهذه الحركة تجعلك تتخيل هذا المشهد الجمالي على سبيل الظن والتهيؤ. والمعنى أنّها لشدة جمالها تجعلك تظن أنّ هذه الأغصان بحركتها الجميلة هي فتاة عذراء تتباهى بمشيتها الجميلة، فمعلوم أنّ الأغصان لا تمشي، وإنما يظنّ من ينظر إليها أنّها تمشي. وهذا الظن يأتي على سبيل التشبيه، وهناك فرق بين

قولنا، ظننت الأغصان تمشي، وكأن الأغصان تمشي؛ لأنّ في الظن خدعة، وليس تشبيها، أما قوله كأنّ الأغصان تمشي، هو تشبيه بشخص يمشي جاء على سبيل الظن (السامرائي ، 2000، صفحة 312) الدال على خداع الناظر إلى تلك الأغصان بسبب دقة حركة هذه الصورة.

ومنه قول البحري في وصف الربيع:

[الطويل]

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدى فَكَأَنَّهُ      يَبِثُّ حَدِيثًا كَانَ أَمْسٍ مُكْتَمًا

(البحري، د.ت، صفحة 2091)

يقول البحري: إنّ حبات الندى التي تتساقط جعلت تفتق العشب من باطن الأرض، وقد كان قبل ذلك ساكنا ولا حركة فيه، فالخبر (بيث) جاء على سبيل التشبيه الظني؛ أي تشبيهه بأنّه إنسانٌ يبث حديثا كان قبل ذلك صامتا. ولا يعني دخولها في معنى الظنّ أنّها تتجاوز التشبيه. وإنّما هو لشدة جماله يجعل من ينظر إليه يظنه إنسانا يبث حديثا جميلا، ولعلّ الملاحظ أنّ هذه الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية دلّ على حركة واستمرار جسدها الفعل المضارع(بيث) للدلالة على الاستمرار في بث الجمال.

وقوله في وصف القيان في داخل مقصورات إيوان كسرى:

[الخفيف]

وَكأنَّ القِيانَ وَسَطَ المَقاصِرِ      يُرَجِّعْنَ بَيْنَ حُوءٍ وُلُغْسِ

(البحري، د.ت، صفحة 1161)

يوصل البحري، وصف الإيوان من كل جانب فيه، فيقف عند القيان، وهن من الأشياء التي تعمل على تجميل القصر، فيتوسل إلى وصفهن بجملة اسمية مقيدة بكأنّ، لم تستخدم على سبيل التشبيه الخالص،

وإنما تفيد الظن المؤول بالتشبيه، فالقيان يملأن مقصورات الإيوان، وتبدو شفاههن بلون أسود يميل إلى خضرة، وأسود مستحسن، وهذا على سبيل الظن لشدة الجمال الذي يتمتعن به.

• التنبيه إلى التشبيه

فقد تستخدم للدلالة على التشبيه من أول الأمر؛ أي تنبيه المتلقي على أن الكلام من أوله يدور في فلك التشبيه، نحو قول البحتري في وصف أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع المعروف بابن أخت أبي الوزير (البحثري، د.ت، صفحة 627):

[الكامل]

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبُ مَحْفَلٌ      وَكَأَنَّ خُلُوتَهُ الْخَفِيَّةُ مَشْهُدٌ

(البحثري، د.ت، صفحة 629)

يصف الشاعر أبا أيوب بأن سريره كريمة، فلا يفعل في مجلسه المحجب فعلاً إلا كان شبيهاً بما يفعله بمحفله، ولا تكون خلوته الخفية إلا مشهداً، فجاء بأداة التشبيه مصدره للجملة الاسمية للتشبيه من أول الأمر على أن السياق الواردة فيه، هو سياق تشبيه. فجاءت أداة التشبيه كأن مصدره للجملة الاسمية واسمها (مجلسه)، وخبرها محفل. ومثل ذلك ما جاء في عجز البيت؛ إذ جاءت خلوته اسم كأن وخبرها مشهد.

وما قاله في وصف قصر الساج:

[الكامل]

وَكَأَنَّ قَصْرَ السَّاجِ خَلَّةٌ عَاشِقٌ      بَرَزَتْ لَوَاقِحُهَا بَوَاجِهُهُ مُؤْتِقٌ

(البحثري، د.ت، صفحة 1483)

وصف البحترى في هذا البيت قصر الساج، وما يحيط به من أصناف الشجر، فهذا المُدّ الذي أمامه من الأشجار والخضرة الممتدة بدت وكأنّها خليقة عاشق تزينت لحبيبتها بوجه رائق معجب. ويتراءى ذلك بجملة اسمية مصدرية بكأنّ التشبيهية واسمها قصر، وخبرها خلة.

وقوله في وصف الإيوان:

[الخفيف]

وَكأنَّ الإيوانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنَعَةِ      جَوْبُ فِي جَنبِ أرْعَنِ جِلسِ  
(البحترى، د.ت، صفحة 1159)

ينبه الشاعر في هذا البيت على تشبيه الإيوان الذي قد دخلت العجائب في صنعته، فيرسم لنا صورة عن الإيوان العظيم الذي كان مستقره في قلب جبل؛ إذ بدا وكأنّه ترس على جنب رجل عظيم. فجاء بجملة اسمية مصدرية بكأنّ التي تفيد التشبيه، واسمها الإيوان، وخبرها جوبّ.

#### • الإجابة عن التشبيه الأصلي

أي استخدامها في مواقع لا يمكن للتشبيه الأصليّ الذي يدّعيه النحاة- أن يؤدي غرضه (السامرائي ، 2000، صفحة 311)؛ ومن ذلك قول البحترى في وصف جدول الماء الذي يمدّ البركة الجعفرية:

[الخفيف]

فَتَراهُ كأنَّهُ ماءٌ بِحَرِّ      يَخْدَعُ العَيْنَ وَهُوَ ماءٌ غَمَامِ  
(البحترى، د.ت، صفحة 2006)

يتابع البحترى وصف جداول الماء، فهذا الجدول الذي يمدّ البركة الجعفرية إذا نظرت إليه، فإنّك ستخدع به، وتظنّ أنّ ماءه ماء بحر، وهو في حقيقته ماء مطر، فنلاحظ أنّ الشاعر لو استعمل التشبيه الأصلي بالكاف، فيقول مثلاً: (إنّه كماء بحر)، فإنّ الكلام لم يستقم، ولاختلّ المعنى، ولتقطعت أواصره

خلافًا للتعبير المتماسك الذي أرتأه الشاعر. فالشاعر لا يريد إخبارنا بأنه ماء بحر ولا يريد أن يشبّهه بماء البحر، إنما يريد أن يبين أن من ينظر إليه يظنّ بأنه ماء بحر؛ لاتساع هذا الجدول وامتداده، وغزارة مياهه.

ومنه قوله في وصف الرقة البيضاء:

[الكامل]

فَكَأَنَّ دَيْنًا لِلسَّمَاءِ عَلَى الثَّرَى سَلَفًا قَدِيمًا حَلَّ فِي نَيْسَانَ  
(البحثري، د.ت، صفحة 2379)

يصف الشاعر الرقة البيضاء التي تجملت واخضرت، ونزل المطر إلى أرضها وأكسبها عطرا جميلا، وصارت الطيور تغني على أغصان الأشجار، وتفجرت أنهارها الموصولة بالگردان، فكانت كالفضة السائلة بفعل مياه المطر الذي حلّ في شهر نيسان وهو أحد أشهر فصل الربيع، فكل هذه المشاهد الجمالية توحى وكأنّ المطر الغزير الذي يتخيل في الذهن، وكأنّه كان للسماء ديناً على الثرى وجاء وقت سداه في شهر نيسان، ولعلّ الملاحظ أنّه هنا لا يصلح أن يستخدم الشاعر التشبيه الأصلي الذي يأتي من الكاف. فكأنّ الأرض بهذا الابتهاج تردّ هذا الدين للسماء، وكأنّها إنسانٌ يقوم برد المعروف لشخص قدم له شيئاً في السابق.

### 3. لا العاملة عمل ليس، ودلالاتها في سياق شعر الوصف

تحدث لا العاملة عمل ليس أثرا في الدلالة يؤثر في السياق الدلالي لشعر الوصف، ومن الأمثلة على الأثر الدلالي لها:

قول البحثري في وصف مساعي أمير المؤمنين تمهيدا لمدحه في سياق وصف بركته الجميلة الواسعة:

[البسيط]

إِذَا مَسَّاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ      بَدَتِ لِلْوَاصِفِينَ فَلَا وَصْفَ يُدَانِيهَا

(البحثري، د.ت، صفحة 2420)

يفتح الشاعر قصيدته بوصف بركة المتوكل تمهيدا لمدحه، وهو الغرض الأساس من هذه القصيدة، وهذا دأبه في كثير من مواطن شعر المدح؛ إذ كان يصف الشخص، أو يصف شيئا يتعلق به؛ ليصل إلى مدحه، فإن كان هذا البيت جاء في سياق المدح إلاً أنه يتجلى فيه وصف ذهني لمساعي الخليفة المتمثلة بمكرماته وأفعاله التي سبقت كل شيء، فينفي الشاعر وجود أي شيء يمكنه أن يضاهيها من الأوصاف، ولعلّه يترأى إلى أذهاننا أن الشاعر هنا يعقد مقارنة بين البركة وأوصافها الجميلة التي ظهرت في الأبيات السابقة، وبين مساعي الخليفة وأعماله العظيمة. فجاءت الجملة الاسمية منفية بلا واسمها نكرة؛ للدلالة على تنكير الوصف للتعميم والإطلاق؛ أي لا من أوصاف البركة، ولا من غيرها، وخبرها جملة فعلية للدلالة على الاستمرارية. فيحتل في اسم (لا) أنها تنفي جنس الوصف، وتنفي الوحدة؛ أي لا وصف واحد، ولا حتى اثنين، أو أكثر يمكنه أن يضاهي مساعي أمير المؤمنين.

وقوله في وصف قصر الساج:

[البسيط]

دَانِي الْمَحَلِّ فَلَا الْمَزَارُ بِشَاسِعٍ      عَمَّنْ يَزُورُ وَلَا الْفَنَاءُ بِضَيْقٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1483)

يشير البحثري في هذا البيت إلى المكان الذي يقع فيه قصر الساج، فقد أُقيم في مكان خارج سامراء، ولكنه قريب منها، ويتضح ذلك من قوله: (داني المحل)، وقد زاد تأكده على قرب المسافة، قوله من الجملة الاسمية المنفية: (فلا المزار بشاسع)؛ أي يؤكد نفي بعد المزار. ففي هذا البيت نفي مطلق؛

لإثبات القرب المكاني للقصر، ثمَّ جاءَ بجملة اسمية معطوفة عطفها على هذه الجملة، وهي تشبهها في التركيب، (ولا الفناء بضيق)؛ للدلالة على أنّ ساحاتها واسعة.

وقوله في وصف رباع الفتح بن خاقان:

[الطويل]

فَأَلاَ هَارِبُ اللَّاجِي إِلَيْهَا بِمَسَلِّمٍ      وَكَأَ الطَّالِبِ الْمُتَمَّاحِ مِنْهَا بِمُخْفِقِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1510)

يستمرُّ البحثري مستعينا بوصف جميل يخدم غرض المدح، فهذه ديار الفتح بن خاقان التي يغنى منها كل فقير معدم، ويشعر بالحرية فيها كل من كان مقيدا، فيتوسل الشاعر لتحقيق هذا الغرض بجملتين اسميتين منفيتين؛ أي نفي عدم الحدوث لإثبات الحدوث، فنفي الشيء فيه إثبات، ولعلَّ محاولة إثبات الشيء من خلال نفيه أوقع في النفس من إثباته مباشرة، فالبحثري يريد أن يثبت أنّ رباع الفتح بن خاقان ملجأ آمن، وحصن منيع لكل من يلجأ إليه، وهي في الوقت نفسه ديار عطاء.

### الفصل الثالث

الروابط اللفظية في الجملة الاسمية، وأثرها في توجيه مسارات الدلالة في شعر الوصف

#### عند البحري

يُحدث الربط تماسكا في النص من خلال شدّ عناصره بعضها إلى بعض، فلو قلنا: جاء محمد ثمّ أخرج كتابا من حقيبتة، فإنّ حرف العطف (ثمّ) أحدث تسلسلا زمنيا وحدثيا، فيما فعله محمد، فالدور الذي قامت به هذه الأداة الخاصة بالربط التركيبي شكّل قوة في النص لم تكن فيه قبل هذه الأداة (يول، 1997، صفحة 229). ولأنّ النص عبارة عن توالي الجمل مستندا في ذلك إلى الترابط فيما بينهما، فإنّ أدوات الربط تعمل على ربط هذه الجمل مع بعضها.

ولا يتحقق الربط إلّا إذا كان هناك علاقة دلالية بين العنصرين. فلا يمكن أنْ تعدّ جملة مثل: جاء الطالب إلى المدرسة، وعاصمة مصر القاهرة على سبيل الربط رغم وجود حرف العطف الذي يجمع بين الجملتين؛ لأنّه لا وجود لأيّ رابط دلالي بينهما؛ إذ الكلام يتركب من خلال توافر شبكة علاقات تربط الكلام بعضه ببعض بناء على توافر العلاقة الدلالية والمنطقية.

فالتركيب في الكلام يكون وفق علاقات رابطة تربط عناصر المكونات اللغوية بروابط إمّا لفظية يدركها الفرد لدى ظهورها على السطح، وإمّا معنوية لا تدرك إلّا استنتاجا بناء على العلاقة المنطقية بين هذه المكونات، وتكون الروابط اللفظية أظهر في الكلام. وهي التي سيعمل الباحث في هذا الفصل على استشراف أثرها في توجيه دلالات شعر الوصف.

## المبحث الأول

### الربط مفهومه، وأهميته، وأنواعه

أولاً: مفهوم الربط

أ. الربط لغة

جاء في لسان العرب "ربط: رَبَطَ الشَّيْءَ يَرْبِطُهُ وَيَرْبِطُهُ رَبْطًا، فَهُوَ مَرْبُوطٌ وَرَبِيبٌ: شَدَّهُ. وَالرَّبِاطُ: مَا رَبِطَ بِهِ، وَالْجَمْعُ رِبُطٌ، وَرَبَطَ الدَّابَّةَ يَرْبِطُهَا وَيَرْبِطُهَا رَبْطًا وَارْتَبَطَهَا. وَقُلَانٌ يَرْتَبِطُ كَذَا رَأْسًا مِنَ الدَّوَابِّ، وَدَابَّةٌ رَبِيبٌ: مَرْبُوطَةٌ. وَالْمَرْبُطُ وَالْمَرْبُوتَةُ: مَا رَبَطَهَا بِهِ. وَالْمَرْبُطُ وَالْمَرْبُوتَةُ: مَوْضِعُ رَبْطِهَا" (ابن منظور، 2003)<sup>1</sup>. ويرى الزمخشري أن الربط يعني "ربط الدابة: شدّها بالرباط والمربط، وهو الحبل، وقطعت الدابة رباطها ومربطها، والخيل رباطها ومرابطها. والفرس في مربطه، والخيل في مرابطها" (الزمخشري، أساس البلاغة، 1998)<sup>2</sup>، وفي معجم العين "ربط: ربط يربط رباطاً. والرباط: هو الشئ الذي يربط به، وجمعه: رباط. والرباط: ملازمة ثغر العدو" (الفراهيدي، دت)<sup>3</sup>.

لعلّه بات من الواضح أنّ المعاجم اللغوية تنبئ على مدلول كلمة ربط بأنّها الأدوات والعلاقات التي تدور في فلك الجمع والتشريك بين الأشياء، وهذا يتناسب والعناصر التركيبية للجملة الواحدة، أو بين العناصر التركيبية لمجموع الجمل بعضها بعضاً، ونلاحظ أيضاً أنّ المعاني اللغوية لكلمة ربط، وما يتفرع عنها ترتبط والدلالة الاصطلاحية للمعنى الذي يشير إلى مدلول الربط بين الجمل، أو بين عناصر الجملة؛ لتشكل فيما بينها وحدة كلامية متكاملة.

<sup>1</sup> مادة: ربط

<sup>2</sup> مادة: ربط.

<sup>3</sup> مادة: ربط.

## ب. الربط اصطلاحاً

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ القدامى من أمثال الخليل وسيبويه والكسائي، لم يشيروا إلى مصطلح الربط كوسيلة لفظية تحقق التماسك النصّي، والربط كمصطلح لم يكن بارزاً عندهم. (البهناوي، 1423، صفحة 7) ولكنهم وقفوا على مضمونه بمصطلحات أخرى؛ إذ في كتبهم إشارات كثيرة للوظيفة التي يؤديها الربط بمصطلحات مختلفة كالإضمار، والعائد، والتعليق.

في حين نبّه علماء العرب المتأخرين على قيمته، وأهميته بوصفه قرينة لفظية، وظاهرة من ظواهر التركيب، فعلى الرغم من تنبهم عليها إلّا أنّهم لم يتناولوها من ناحية قواعدها النحوية، ولم يعالجوها معالجة شاملة، وإنّما نظروا إلى وظيفتها (البهناوي، 1423، صفحة 8)، ولعلّ أول ظهور لمصطلح الربط كان عند ابن السراج في كتاب الأصول، ففي باب مواقع الحروف الرابطة، يقول: "واعلم: أنّ الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إمّا أنّ يدخل على الاسم وحده مثل: الرجل، أو الفعل وحده، مثل: سوف، أو ليربط اسماً باسم: جاءني زيد وعمرو، أو فعلاً بفعل، أو فعلاً باسم، أو على كلام تام، أو ليربط جملة بجملة، أو يكون زائداً. أمّا دخوله على الاسم وحده، فنحو لام التعريف إذا قلت: الرجل" (ابن السراج، د.ت، صفحة 42).

أمّا عند المحدثين، فنرى تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، يقرر أنّ الربط هو كل قرينة لفظية، أو معنوية تعمل على وصل أحد المترابطين بالآخر، ويكون الربط بين الموصول والصلة، وبين المبتدأ والخبر، وبين النعت والمنعوت، وبين القسم والجواب. (حسان، 1994، صفحة 213) فالربط وسيلة من الوسائل التي تشدّ أجزاء الجملة إلى بعضها، فتعمل بدورها على تحقيق التلاحم النصّي.

ويذهب الباحث إلى أنّ الروابط اللفظية هي مجموعة من الأدوات الملحوظة التي توضع بين الجمل؛ لتحدث تشبيكا بينها، فتؤسس بذلك نسيجاً متكاملًا من الكلام تهدف من خلاله إلى تحقيق الفهم والإفهام،

وإزالة اللبس والغموض الذي قد يشعر به المتلقي إذا لم تكن هذه الروابط موجودة. وبهذا يتضح أنّ

الربط ومن خلال دلالاته الاصطلاحية يسهم في تحقيق الأمور الآتية:

- تقريب فهم المعاني، وإزالة الغموض في الجمل.
- تحقيق الترابط الدلالي بين ركني الجملة الاسمية.
- تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص، فتجعلها وحدة واحدة.

#### ثانياً: أثر الروابط في تحقيق الدلالة

ينبغي الإشارة إلى أنّ الربط لا تبرز أهميته إلّا إذا درس من خلال الجملة، فهي النواة الأساسية التي يبنى منها النص اللغوي، وهي الخلية التي تكوّن نسيجه، ولا بدّ من إحكام هذه الجمل، وشدّها إلى بعضها بروابط مدركة باللفظ، أو بالمعنى، فأبني لغوي يحتاج إلى روابط؛ لشدّ خيوط النسيج اللغوي إلى بعضها؛ لتتوطد العلاقات بين الجمل مع بعضها، فلا ينتشتت القارئ في أثناء قراءة أيّ منتج لغوي. (مهيوب، 2009، الصفحات 1-2) فإذا نظرنا إلى مختلف كتب التراث لوجدنا أنّهم أولوها أهمية بارزة، وإن كان مصطلح الربط غير مدرك عندهم، فهذا عبد القاهر الجرجاني يقرر أنّ الربط أساس، ومرتكز تستند عليه نظرية النظم، فيقول: "واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمتَ علماً لا يعترضه الشكّ، أنّ لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيبَ، حتى يُعَلَّقَ بعضها ببعض، ويَبْنِي بعضها على بعض، وتُجْعَلُ هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يَجْهَلُهُ عاقلٌ، ولا يخْفَى على أحدٍ من الناس" (الجرجاني، د.ت، صفحة 55).

فالكلام أصلاً لا يكون مفيداً إلّا إذا كان مع بعضه مترابطاً، فالجملة العربية يجب أن تكون عناصرها مترابطة ترابطاً محكماً حتى تؤدي غرضها في تحقيق الفهم والإفهام؛ لذا فضّل بعض القدماء مصطلح التّأليف على مصطلح التركيب؛ لأنّ في مصطلح التّأليف ألفة بين عناصر الجملة، وفي الألفنة تناسب وتناسق (حماسة، 2003، صفحة 87). ولا شكّ في أنّ تحقق الترابط النصي في النص يعمل على تحقيق صفة النصية للنص التي تعد أحد معايير النصية الحديثة، وذلك إلى جانب دورها النحوي. كذلك

فإنَّ الربط في النص يكون بين أركان الجملة الواحدة، وبين مجموع الجمل التي تشكل النص، فبين ركني الجملة الاسمية تكون هناك علاقات لفظية، أو معنوية تربط بين ركني الجملة الاسمية، وبين الجمل، فتتوطد علاقات وروابط تمكّن من تعليق الجمل مع بعضها، فتأتي الواحدة منها سبباً من صاحبها. (الجرجاني، د.ت، صفحة 55) وإلى جانب الدور التشبيكي الذي يقوم به الربط، فإنَّه يسهم في فهم النص؛ لأنَّ اللغة تسعى إلى إزالة الغموض واللبس، فيصبح بذلك وسيلة تستخدمها اللغة؛ ليكون النص مترابطاً و متماسكاً يمسك بعضه برقاب بعض، فيصبح جسداً واحداً.

### ثالثاً: أنواع الروابط اللفظية للجملة الاسمية

لقد عمل النظام اللغوي على إيجاد روابط للجمل، بعضها يدرك من خلال الفهم، وبعضها يكون ظاهراً على السطح كالروابط اللفظية، وقد ورد من الروابط اللفظية في شعر الوصف عند البحتري:

#### أ. الربط بالضمير

الأصل في الجملة أن تكون منفردة، ولكن إن قصد منها أن تكون جزءاً من كلام، فلا بدَّ من رابط يربطها مع ما يكملها من الكلام، وهذا الرابط قد يكون ضميراً، ووظيفته تكمن في تسهيل فهم النص، ولما كان الأصل في الرابط أن يكون بالضمير، فقد كثر دورانه في لغة العرب رابطاً للجملة بما قبلها، وربطاً للاسم بما قبله، وقد وقع الربط به مذكوراً ومحذوفاً. ولكون الربط بالضمير، هو الأصل ذكر النحاة أنَّ الظاهر قد يحل في الربط محل الضمير". (النشري، 1985، صفحة 138)

يرى ابن هشام في مغني اللبيب أنَّ الأشياء التي تحتاج إلى رابط يربطها: الجملة المخبر بها، والجملة الموصوف بها، وهذه الجملة لا يربطها إلا الضمير المذكور، أو المقدر، والجملة الموصول بها، وهذه الجملة لا يربطها إلا الضمير في الغالب والجملة الواقعة حالاً وربطها، إمَّا الضمير، وإمَّا الواو، والجملة المفسرة، والجملة الواقعة بدلاً، وجواب اسم الشرط (ابن هشام، 1985، صفحة 656).

فالضمير إذن وسيلة من وسائل الربط إضافة إلى وظائفه الأخرى في الخطاب والتكلم والغيبة، ولعلَّ الجمل التي تحتاج إلى رابط يربطها هي:

### 1. الضمير في جملة الخبر الاسمية

تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر عنه، والخبر متم لمعنى الجملة، وبه تكون الفائدة. ويأتي الخبر على صور مختلفة، فيأتي مفرداً، ويأتي شبه جملة، ويأتي جملة، ولقد اشترط النحويون في النوعين الأخيرين أن يعود منهما رابط يرتبط بالمبتدأ؛ حتى لا يفهم من جملة الخبر أنَّها مستقلة" (حماسة، 2003، صفحة 106)، فيلزم الجملة الواقعة خبراً عن مبتدأ أن يكون فيها ضمير يعود على هذا المبتدأ؛ لهذا يقول "ناظر الجيش: لما كانت الجملة مفيدة مستقلة بنفسها لزم أن يكون بينها، وبين ما وقعت خبراً عنه ارتباط؛ ليعلم أنَّها خبر عن ذلك المبتدأ". (ناظر الجيش، د.ت، صفحة 974) وهذا الرابط الذي يربط الجملة الواقعة خبراً بما أخبرت عنه ينبغي أن يكون ضميراً، أو ما يجري مجراه، وما يجري مجرى المبتدأ يكون أحد هذه الأشياء الثلاثة: "إمَّا إعادة المبتدأ بلفظه، وإمَّا إشارة مشار به إلى المبتدأ، وإمَّا عموم في الخبر يدخل تحته المبتدأ" (ناظر الجيش، د.ت، صفحة 974)، وغاية هذا الضمير أن يربط جملة الخبر بالمبتدأ؛ لئلا يقع أجنبياً عنه، وشرط الضمير في الخبر، أن لا يكون هو نفسه في المعنى (البهناوي، 1423، صفحة 17). أمَّا إذا كان الخبر هو نفسه في المعنى، فإنَّ جملة الخبر لا تحتاج إلى ضمير يربطها بالمبتدأ (حماسة، 2003، صفحة 109).

فالجملة التي تحتاج إلى ضمير يربطها بالمبتدأ هي الجمل التي لا تكون هي المبتدأ نفسه في المعنى، ويكون هذا الضمير إما مستتراً، وإما ظاهراً. (حماسة، 2003، صفحة 109) وقد نظر النحاة إلى أنَّ الضمير هو الأصل في الربط، وليس ذلك يعني أنَّه أصل والأمور الأخرى تنفرع عنه، وإنَّما المقصود بذلك أنَّه كثير الدوران عند العرب، وهو الأكثر استخداماً، أمَّا الروابط الأخرى، فتكون في الأصل نائبة عن الضمير، وهي قليلة الاستخدام (حماسة، 2003، صفحة 110).

## 2. الضمير في جملة النعت

النعت هو "التابع الذي يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه، أو فيما يتعلق به" (ابن هشام، د.ت، صفحة 269)؛ وقد يأتي النعت مفرداً، وجملة، وشبه جملة، والنعت الواقع جملة يحتاج إلى ضمير يربطه بمنعوته، سواء أكان ظاهراً، أم مستتراً (البهناوي، 1423، صفحة 17)، و"الغالب في الضمير العائد من جملة النعت على المنعوت أن يكون مطابقاً له." (جبر، 1983، صفحة 126) وهو أصيل في جملة النعت، والاستغناء عنه فيها قليل. (جبر، 1983، صفحة 128)

## 3. الضمير في جملة الحال الاسمية

الحال وصف فضلة منصوب يأتي لبيان هيئة (ابن عقيل، 1980، صفحة 243)، وقد يكون مفرداً نحو: جاء الولد ماشياً، وهذا هو الأصل فيه، وجملةً نحو: جاء محمد ويحمل بيده كتاباً، وقد يكون شبه جملة نحو: رأيت محمداً ومعه كتاب، والحال الجملة، أو شبه الجملة لا بدَّ فيها من رابط كالضمير، أو الواو (البهناوي، 1423، صفحة 18).

### ب. الربط بالأحرف

تؤدي أحرف الربط معاني مختلفة ودلالات متنوعة؛ إذ يكون بعضها حلقة وصل بين الجمل تعمل على ربطها وإلى جانب هذه الوظيفة، فإنَّ بعضها يكون "في معظم الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الاتصال" (البهناوي، 1423، صفحة 23)، ولعلَّ أبرز هذه الأحرف بناء على الوارد في شعر الوصف:

### 1. أحرف العطف

تأتي بعض أحرف العطف؛ لتشكل حلقة وصل بين الجمل؛ لإحداث عملية اتصال دلالية من خلال هذه الروابط اللفظية، ولم أجد من أحرف العطف في شعر الوصف إلَّا حرف (الواو) الذي يعد "قرينة لفظية

مهمة لتأمين اللبس الذي قد يعتري المتلقي حال الانفصال بينهما" (البهنساوي، 1423، صفحة 8). وفيما يتعلق بإفادتها، فقد ذهب جمهور النحويين إلى أنها تفيد مطلق الجمع (المرادي، 1992، صفحة 158) إلّا إذا وجدت قرينة تبين أنّ ما قبلها يسبق ما بعدها.

## 2. الفاء الواقعة في جواب الشرط

تعد الفاء أداة ربط إذا كانت جوابية، وإضافة إلى دورها في الربط، فإنّها تفيد الجزاء السببي (المرادي، 1992، صفحة 66)، فتدخل فاء الربط على فعل الجزاء إذا "كان الجزاء أمراً، أو نهياً، أو ماضياً صريحاً، أو مبتدأ وخبراً" (الزمخشري، 1993، صفحة 440).

## المبحث الثاني

### الروابط اللفظية في شعر الوصف عند البحتري مواضعها، وأحكامها

أولاً: الربط بالضمير

#### 1. عود الضمير في جملة الخبر

قد يأتي الخبر جملة فعلية، أو اسمية، ولا بدّ لهذه الجملة من رابط يربطها بالمبتدأ حتى تؤدي وظيفتها في إتمام المعنى، وتحقيق الدلالة:

##### أ. الضمير الرابط في جملة الخبر الفعلية:

ومن أمثلته، قول البحتري في وصف الطبيعة، ووصف أزهارها الجميلة:

[الخفيف]

فَهِيَ تَهْتَزُّ بِـيْنِ إِفْرِنْدِهِ الْأَخِ ضَرِحُ حُسْنًا وَوَشْيِهِ الْأَرْجَوَانِي

(البحتري، د.ت، صفحة 2198)

صور البحتري الطبيعة، وهي ترقص طرباً لجمالها الذي خلده ألوان الأزهار المختلفة، حتى صار ظاهراً عليها كأنه الوشي الأرجواني. فقد تصدرت الجملة الاسمية هذا البيت (فهي تهتز)؛ إذ الضمير المنفصل (هي) عائد على الطبيعة، ولا تكتمل الفائدة إلا بالخبر، والخبر هنا جاء جملة فعلية (تهتز)؛ للدلالة على الحركة في فعل الطبيعة، ولا بدّ للجملة الفعلية من رابط يربطها بالمبتدأ، وهو هنا الضمير المستتر (هي)؛ ليربط جملة الخبر بالمبتدأ، وليحقق الاتصال بينهما، ولولا هذا الضمير لما صحت الجملة من الناحية التركيبية، وكان الخبر أجنباً عن المبتدأ.

ومن أمثلته أيضا، قوله في وصف الإيوان:

[الخفيف]

فَهُوَ يَبْدِي تَجَادًا وَعَلَيَّهِ كَلَّكُلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي

(البحثري، د.ت، صفحة 1159)

فالشاعر هنا يصور الإيوان بإنسان تظهر عليه الكآبة نتيجة لما حلَّ به من مآسي الزمان إلا أنه يقف صابرا صامدا رغم هذه المصائب، فجاءت الجملة الاسمية في قوله: (فهو يبدي) مكونة من مبتدأ ضمير منفصل (هو)، وخبره جملة فعلية (يبدي)، ولا بدَّ للجملة الفعلية أن يكون فيها ضمير يعود على المبتدأ، وهو الضمير المستتر الذي يعود على الإيوان من الفعل يبدي؛ أي هو يظهر رغم المصائب التي حلتَّ به.

ب. الضمير الرابط في جملة الخبر الاسمية

ومن أمثلته قول البحثري في وصف قصر الصبيح:

[الخفيف]

إِنَّ خَيْرَ الْقُصُورِ أَصْبَحَ مَوْهَبًا بَكْرَهُ الْعِدَى لِحَيْرِ الْأَنْامِ

(البحثري، د.ت، صفحة 2006)

فقد بدأ الشاعر بوصف هذا القصر الذي تمَّ بناؤه، وطاب العيش فيه، ثمَّ أضفى عليه وصفا معنويا لعلَّه هو الذي زاده جمالا؛ إذ إنه أصبح لخير الناس، فقوله: (إنَّ خير القصور أصبح موهبا)، جملة اسمية مصدرية بإنَّ الناسخة، ووقع خبرها جملة اسمية مشتملة على رابط يربطها باسم إنَّ، واسم الجملة الاسمية الواقعة خبرا جاء ضميرا مستترا، و(موهوبا) خبره، والضمير المستتر عائد على اسم إنَّ، وهو أداة الربط التي ربطت الخبر الواقع جملة اسمية، ولولا هذا الضمير لما صحت الجملة من الناحية

التركيبية، ولو لم يأت فيها ضمير لكانت الجملة، (إن خير القصور أصبح خير القصور موهوبا)، ولكنَّ الضمير -فضلا عن دوره في تحقيق الترابط بين ركني الجملة الاسمية، فإنه عمل على التخلص من التكرار غير المفيد.

مما سبق يتبين لنا أنَّ وجود الضمير ضروري في الجملة الواقعة خبرا، ولولا هذا الضمير لكانت جملة الخبر أجنبية، وكان الكلام مفككا غير مترابط، لأنَّ عدم وجوده يعدم العلاقة بين الخبر والمبتدأ، وتصبح الجملة أجنبية فلا تتحقق الفائدة المرجوة منها؛ إذ مشروط فيها تحقيق الفائدة الدلالية. (حسن، د.ت، صفحة 467)

## 2. عود الضمير في جملة النعت

قد تأتي جملة النعت اسمية، ولا بدَّ لجملة النعت أن يعود منها ضمير على منوعتها، ومن الأمثلة على ذلك عند البحري، قوله في وصف هطول المطر:

[البسيط]

سَحًّا بِسَحٍّ وَإِسْبَالًا بِمُسْبَلَةٍ دَمْعٌ يَبُوحُ بِشَجْوٍ كُنْتُ أَخْفِيهِ

(البحري، د.ت، صفحة 2444)

يتابع البحري في هذا البيت ما كان سابقا له من وصف لانهمار المطر الذي يجعل وجه الأرض يبتهج، فتصبح كالوشى الذي لا يدانيه أيُّ وشي، ويبقى هذا المطر منهمرا ما دام الشاعر ينظر إليه، ثمَّ يأتى على وصف حركة المطر الذي جعله يبكي لاشتياقه، وقد كان يخفي هذا الشجو والاشتياق، فجاءت الجملة الاسمية (كنت أخفيه) وصفا لكلمة (شجو) الواقعة نكرة، والضمير بقوله: (أخفيه) عائد على كلمة شجو؛ لتحقيق الاتصال بينهما.

ومنه أيضا ما قاله في وصف القصر الجعفري:

[الكامل]

مَلِكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ إِقَامَةً فِي خَيْرِ مَبْدَى لِلْأَنَامِ وَمَحْضَرٍ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1040)

يتراءى في هذا البيت وصف ذهني يُستمد من الأوصاف السابقة في القصيدة من تشبيهات للقصر الجعفري بعد استتمام بنائه تشير إليها في هذا البيت عبارات: (خير دار، وخير مبدى، وخير محضر)، وفي هذا البيت وقعت الجملة الاسمية مركبة من مبتدأ محذوف وخبر نكرة، والنكرة تحتاج إلى شيء يوضحها، فجاءت الجملة الفعلية الواقعة بعد كلمة ملك في محل رفع صفة، وفيها ضمير يرجع إلى الجملة الاسمية. ومن هذه الجملة الواقعة نعتا تراءى لنا الوصف الذهني الذي أعادنا إلى استحضار مشاهد الوصف المادي للقصر.

ويبرز الربط اللفظي للضمير في الجملة الاسمية الواقعة نعتا؛ في وصف البحثري للأرض التي أقيم عليها القصر الجعفري:

[الكامل]

فِي رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاها لَوْلُوٌّ وَتَرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرٍ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1040)

فقوله في رأس مشرفة غير واضح المعالم، فلو اكتفى الشاعر بهذا القول لما اتضحت صفاتها، فقوله (حساها لؤلؤ) جملة اسمية وقعت صفة للنكرة الواقعة قبلها (مشرفة)، فهي جملة اسمية في محل جر نعت، والضمير المتصل في قوله: (حساها) عائد على مشرفة، وعطف على هذه الجملة بجملة أخرى تشبهها في التركيب وفيها ضمير أيضا يعود على مشرفة.

ومثاله أيضا ما قاله في وصف قصر المتوكل (الجعفري):

[الكامل]

فَرَفَعَتْ بُنْيَانًا كَأَنَّ زُهَاءَهُ أَعْلَامُ رَضْوَى أَوْ شَوَاهِقُ صَنْبَرٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1041)

ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية في قوله (كأنَّ زهاءه أعلام رضوى) صفة لكلمة (بنيانا) الواقعة نكرة، وفي الجملة الاسمية ضمير في قوله: (زهائه) يعود على المنعوت. فالمنعوت في هذه الجملة مذكور؛ لأنَّ النعت ما بعدها جملة؛ إذ يشترط في الجملة الواقعة نعتا أيضا أن يكون منعوتها مذكورا (حسن، د.ت، صفحة 473).

ويشترط فيه أن يكون نكرة؛ ذلك لأنه لو لم يكن نكرة لما لزمته هذه الجملة؛ لأنَّ جملة النعت تأتي في الأصل للتوضيح (حماسة، 2003، صفحة 179).

لعلَّ الملاحظ أيضا من الأمثلة السابقة أنَّ جملة النعت في الأمثلة جميعها جاءت خبرية، (حسن، د.ت، صفحة 473)؛ ذلك لأنَّ جملة النعت وضعت؛ لتساند الجملة الخبرية في تحقيق الفائدة؛ لذا فإنَّ الجملة الإنشائية لا تصح أن تكون نعتا (النجار، 2001، صفحة 140)، فلا يصح مثل قولنا: بنيان القصر ارفعه.

يغلب على الرابط في جملة النعت أن يكون مذكورا، ولكنه قد يقع مستترا، فيحذف إذا كان في الكلام قرينة تدلُّ عليه، وقد طابق الضمير في الأمثلة السابقة ذلك؛ إذ جاء مستترا وظاهرا؛ ولعلَّ الملاحظ أنَّ الجملة الواقعة نعتا إذا جاءت فعلية، فإنَّ ضميرها يكون مستترا، أمَّا إذا جاءت اسمية، فإنَّ الضمير فيها يكون مذكورا.

### 3. عود الضمير في جملة الحال

لا بدّ في جملة الحال أن يربطها رابط بصاحبها، وهذا الرابط إمّا أن يكون الضمير، أو الواو، أو كليهما معاً، وذلك نحو:

#### أ. الربط بالضمير والواو معاً

تتشارك الواو مع الضمير لربط جملة الحال، ومن أمثلة ذلك، قول البحتري في وصف الخيل في الحلبة:

[الرجز]

كَانَهَا وَالْحَبْلُ فِي صُدُورِهَا      أَجَادِلُ تَنْهَضُ فِي سُيُورِهَا  
(البحثري، د.ت، صفحة 1044)

يستمر البحتري في وصف الخيول، فيعرض مشهداً في هذا البيت للخيول داخل الحلبة، ويشبها بالصقور وهي تنهض في عليائها، فجاءت الجمل الاسمية (والحبل في صدورها) جملة حال، ويعرب (الحبل) مبتدأ و(في صدورها) شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر، والرابط فيها واو الحال، إضافة إلى الضمير(هاء) في قوله: (في صدورها)، فقد" تقع قبل قسم من الجمل الحالية واو تسمى واو الحال، وجوبا أو جوازا" (السامرائي ، 2000، صفحة 296).

#### ب. الربط بالواو

يمكن للواو وحدها أن تربط جملة الحال بصاحبها، ومثاله، قول البحتري في وصف لقائه الذئب:

[الطويل]

تَسْرِبْلَتُهُ وَالذَّنْبُ وَسَنَانُ هَاجِعٍ      بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَالَهُ بِالكَرَى عَهْدُ  
(البحثري، د.ت، صفحة 742)

وصف الشاعر في الأبيات السابقة لهذا البيت الليل الذي لقي فيها الذئب، ثم تابع في هذا البيت تحديد أوصاف الذئب التي تدلُّ على يقظته حال لقائه إيَّاه وخوضه معركة معه، فالذئب جهز نفسه، وكأنَّه ابن ليل لم يعرف النعاس أبداً. ففي هذا البيت جاءت الجملة الاسمية (والذئب وسانن هاجع) مكونة من مبتدأ وخبر، والرباط في هذه الجملة، هو (واو الحال)؛ إذ جاءت لتربط الحال بصاحبها.

ومن أمثلة الربط بالواو وحدها أيضاً قول البحري في وصف منازل الفتح بن خاقان للأسد:

[الطويل]

غَدَاةَ لَقَيْتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ      يُحَدِّدُ نَابًا لِلِقَاءِ وَمِخْلَبًا

(البحري، د.ت، صفحة 199)

يمهد البحري في هذا البيت لوصف منازل الفتح بن خاقان للأسد، وهو مستتر في عرينه يجهز نفسه للقائه بأنياه ومخالبه، فجاءت الجملة الاسمية، (والليث مخدر) مكونة من مبتدأ وخبر، وواو الحال التي تربط جملة الحال الاسمية بصاحبها، وهو لقاء الليث، فجاءت جملة الحال لتوضيح حال الأسد وقت لقائه.

ج. الربط بالضمير

قد يأتي الضمير وحده لربط جملة الحال بصاحبها، ومن أمثلة ذلك قول البحري في وصف فرس:

[الكامل]

هَزَجُ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَعْمَاتِهِ      نَبَرَاتِ مَعْبَدٍ فِي التَّقْيِيلِ الْأَوَّلِ

(البحري، د.ت، صفحة 1748)

ومعنى هذا البيت أنَّ الشاعر يقدم صورة شعرية جميلة لصوت الخيل، فكأنَّها تشبه النقرات الثلاث عند أحد أئمة الإيقاعات الموسيقية العربية (البحري، صفحة 1748)، فجاءت الجملة الاسمية (كأنَّ في نعماته

نبرات) جملة اسمية تبين هيئة الحصان في صوته، والرابط في جملة الحال، هو الضمير المتصل في قوله: (نغماته)، وهو عائد على الحصان.

فقد تأتي الحال الجملة فعلية، أو اسمية، ولكن من الأمثلة السابقة يتضح أنّ الحال الجملة جاءت في غالبها جمل اسمية، وهذا يرتبط ودلالة الجملة الاسمية الدالة على الثبات؛ ليضفي دلالات ثابتة على الشيء الموصوف ثم يتبين أنّ هذه دلالات ملازمة له، فيقوى الموصوف في عين المتلقي.

ولاحظت أيضا من الأمثلة السابقة أنّ جمل الحال وقعت جميعها خبرية، وهذا ما تشترطه اللغة؛ إذ لا تبيح أن يأتي الضمير الجملة جملة إنشائية (حسن، دت، صفحة 395)؛ لأنّ الحال يأتي ليشارك الجملة الخبرية في تحقيق غايتها الإخبارية.

تشبه جملة الحال جملة النعت من حيث التزامها بالشروط المتعلقة بها، وأنّها هي ذاتها إلّا أنّها؛ أي الحال الجملة تارة تشتمل على الضمير، وتارة تشتمل على الضمير والواو معا وتارة على الواو وحدها (جبر، 1983، صفحة 129). فالجملة التي تقع حالا لا بدّ فيها من رابط يربطها بما قبلها؛ ذلك لأنّ الجملة كلامٌ مستقلٌ بنفسه مفيدٌ لمعناه، فإذا وقعت الجملة حالا، فلا بدّ فيها ممّا يُعلّقها بما قبلها، ويربطها به، لئلاّ يُنوّم أنّها مستأنفة" (ابن يعيش، 2001، صفحة 26) وهذا ينطبق على جملة النعت أيضا.

**ثانيا: الربط بالأدوات**

**أ. الربط بالواو**

تعمل الواو العاطفة على ربط الكلمات والجمل مع بعضها؛ لإفادة اشتراكهما في الحكم، ومن أمثلة ذلك عند البحري ما قاله في وصف مشهد أحداث معركة خاضها صاعد بن مخلد لما قتل العلوي عند نهر دجلة:

[الطويل]

عَمَاعِمُ أَصْوَاتٍ وَجَرَسُ تَقَارِعٍ وَمُخْتَارَةُ الْمَرْدُولِ يَدْمِي وَرِيدُهَا  
(البحثري، د.ت، صفحة 534)

فبعد أن تلاقوا عند نهر اليهودي، عرض لنا الشاعر مشهدا من مشاهد المعركة التي خاضها الأبطال،  
فيبرز فيها صورتهم، وهم يصدرون أصوات البطولة والنصر، وسيوفهم تقارع سيوف الأعداء، ثم  
عرض مشهدا آخر يشترك مع هذه المشاهد، فالشاعر عطف جملة اسمية(ومختارة المرذول يدمي  
وريدها) على الجملة الاسمية في مطلع البيت؛ ليدلّ على أنّ هذا الحدث هو جزء من الأحداث التي  
تجري في هذه المعركة.

ومن أمثلته أيضا، قوله يصف سيفا:

[الكامل]

مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1751)

يصف البحثري في هذا البيت سيفا، فهو قاطع يدرك الأعداء بكل سهولة، وإن لم تمسكه يد فارس بطل  
إنما هي صفة متحققة فيه لذاته، وهو مصقول، وإن لم يتحقق له الصقل، ففي هذا البيت جاءت الجملة  
الاسمية في عجز البيت (ومصقول وإن لم يصقل)؛ أي وهو مصقول، فكلمة مصقول خبر لمبتدأ  
محذوف تقديره هو، فعطف الجملة الاسمية الثانية على الجملة الأولى، وهو ماضٍ؛ لإبراز الصفة الثانية  
على السيف في الوقت نفسه.

وقوله في وصف مطر أدركه، فناله منه أذى، فندم على خروجه، وقد كان مجتمعا عند الحارثي، فطلب  
منه الحارثي البقاء إلّا أنّه أباي، فكتب إلى الحارثي يعبر فيه عن ندمه:

[الطويل]

لَجَرَّ عَلَيْنَا الْغَيْثُ هُدَابَ      مَزْنَةً أَوَّخَرَهَا فِيهِ وَأَوْلَهَا عِنْدِي

(البحثري، د.ت، صفحة 564)

شبه الشاعر المزنة بهُدَابُ يمدُّ خيوطه، وشبه المطر بخيوط الهدَاب للدلالة على شدته وغازاته، وللتعبير عن هذه الدلالة جاءت الجملة الاسمية معطوفة، و(وأولها عندي) على جملة: (وأخراها فيه)، وجاء العطف بالواو؛ لاشتراكها معها في تحقيق المشهد الوصفي. فأوخر هذه الخيوط هي في هُدَاب المزنة، وأولها عند الشاعر، وهو يعني بذلك امتداد هذه الخيوط دون انقطاع للتعبير عن شدة المطر، وغازاته.

وما قاله في وصف قومه وقت خوضهم المعارك:

[الكامل]

فَالنَّقْعُ لَيْلٌ وَالسُّيُوفُ كَوَاكِبٌ      تَنْقِضُ فَوْقَ جَمَاجِمِ الْأَقْرَانِ

(البحثري، د.ت، صفحة 2381)

فإذا اشتدت المعارك عليهم كانوا أهلاً لها، فالغبار كالليل، والسيوف تصبح كالكواكب لامعة، وفي قوله: (والسيوف كواكب). جاءت الواو عاطفة؛ لعدم الاكتفاء بما قبلها، وهي بذلك تتناسب ومرض الوصف؛ إذ يحرص الشاعر لتحقيق مرض الوصف على إبراز المشهد الوصفي بشكل كامل، فتأتي الواو للجمع بين المشاهد جميعها؛ لإبرازه بصورته الكاملة، فعرض الشاعر لمشهد معركة لا يكتمل إلا بإبرازها من جوانب مختلفة.

لاحظت من خلال الأمثلة السابقة أنَّ الواو لا تفيد الترتيب، فليس شرطاً في واو العطف أن يكون ما قبلها سابقاً لما بعدها، وإنما هنا تعني أنَّ هذه المواقف متحققة في الشيء الموصوف، وقولنا هذا لا يعني

أنها لا تفيد الترتيب مطلقاً، بل قد تأتي في سياقات يكون ما قبلها سابقاً ما بعدها من حيث الزمن (السامرائي ، 2000، صفحة 217)، كأن نقول: درس محمد، ونجح في الامتحان؛ لأنّ دراسته تسبق نجاحه من حيث الزمن. أمّا ما جاء في سياق تحقيق المشهد الوصفي، فإنّ الهدف هو إبراز هذه المشاهد جميعها تقوية للصورة الوصفية التي يريد الشاعر إبرازها دون أيّ اعتبار لأيهما يسبق الآخر؛ لأنّ هذه المشاهد تكون متحققة في الوقت نفسه.

#### ب. الربط بالفاء الواقعة بعد أداة الشرط

يحدث أسلوب الشرط ربطاً بين الجمل، فيأتي الربط بين جملتين مستقلتين على سبيل تحقيق علاقة دلالية بين الجملتين، فإذا كان جواب الشرط واقعا مبتدأ، فلا بدّ من اقتران الفاء كقولنا: إذا جنّنتي فأنت مكرمٌ. (ابن يعيش، 2001، صفحة 111)

يقول البحتري في وصف خمر قدّمه له ابن رباح أحمد بن إبراهيم فأعياه:

[المتقارب]

إِذَا صُبَّ مُسْوَدُّهُ فِي الزُّجَاجِ فَكَأْسُ النَّدِيمِ بِهِ مِحْبَرَةٌ  
(البحتري، د.ت، صفحة 899)

ومعنى هذا البيت أنّ هذه الخمر التي صبّت له إذا وضعت في الزجاج، فإنّ الكأس تصير محبرة، وكأنّه وضع فيها حبراً، فعلق على جوانب الكأس، فتصبغت حوافها بهذه الألوان. وقد جاء في هذا البيت أداة شرط (إذا) وجوابها جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر (فكأس النديم به محبره)، ألا ترى أنّه لا تصير كأس النديم محبرة إلّا إذا تمت عملية الصب، "ومن أجل ذلك احتاجوا إلى الفاء في جواب الشرط مع المبتدأ والخبر، لأنّ المبتدأ ممّا يجوز أن يقع أوّلاً غير مرتبط بما قبله. وذلك نحو قولك: إن جنّنتي

فأنت مُكْرَمٌ" (ابن يعيش، 2001، صفحة 111). فقد اشترط حدوث الإكرام بالمجيء، ولو لا هذه الفاء لما علم أن هذه سبب من تلك.

ومنه أيضا قوله في وصف فرس:

[الكامل]

وَإِذَا التَّقَى الثَّفَرُ الْقَصِيرُ وَرَاءَهُ فَالطُّولُ حَظُّ عَنَانِهِ وَحَزَامِهِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1991)

ومعنى هذا البيت أنه وصفه بعنق طويل، وبطن منتفخ، وظهر قصير، فأبدع في وصفه بلفظ جميل، ونسج في تركيبه أجمل نسج، فجاءت الفاء؛ لتربط الجملة الاسمية (فالطول حظ عنانه) بالجملة السابقة، فجاءت الفاء مصدرية الجملة الاسمية؛ لأن الجملة الاسمية مستقلة، ويمكن أن تأتي وحدها لكن الفاء عملت على ربطها بما يسبقها من الكلام، حتى لا تكون منفصلة عن الكلام السابق.

### المبحث الثالث

#### الأثر الدلالي لروابط الجملة الاسمية في توجيه الدلالة في شعر الوصف عند البحتري

إنَّ عملية الربط النحوي المتمثلة بالروابط اللفظية تحدث إحكاماً بين عناصر الكلام، فتنسجها نسجاً، وتشدها إلى بعضها، فتجعلها تسير وفق نسق واحد، وكأنَّ الجمل تتوالد من بعضها، ولعلَّ حسن عملية الربط هي الطريقة الأقوم للوصول إلى إيضاح المعاني والدلالات، وتحقيق الفهم والإفهام؛ لذا سيعمل الباحث في هذا المبحث على استشراف الأثر الدلالي للرباط المستخدم، وبيان دوره في توجيه غرض الوصف عند البحتري.

#### أولاً: الأثر الدلالي للربط بالضمير في شعر الوصف

##### 1. الضمير في جملة الخبر

##### أ. جملة الخبر الفعلية

ومن أمثلته ما قاله البحتري في وصف موكب الخليفة (المتوكل) لماً خرج إلى صلاة عيد الفطر:

[الكامل]

فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ

(البحتري، د.ت، صفحة 1071)

يصف البحتري في هذا البيت موكب الخليفة المتوكل؛ إذ وقف فيه على مشاهد متحققة في موكبه كصوت الخيول، وهي تصهل، وصوت الفوارس، وهي تقخر بنسبها بصوت مرتفع، وسيوفهم، ورماحهم تلمعان، فجاء في هذا البيت بأربع جملة اسمية أخبارها جميعها جمل فعلية دالة على الحركة والاستمرارية، وفي كل خبر من هذه الأخبار ضمير مستتر يعود على مبتدئه. فالرابط في الفعل

(تسهل) عائد على الخيل، والرابط في (تدعي) عائد على الفوارس، والرابط في (تلمع) عائد على البيض، والرابط في (تزه) عائد على الأسننة.

وإضافة إلى هذا الدور النحوي، فإنها أسهمت في صرف النظر إلى الأشياء الموصوفة، من خلال الإشارة إليها، وتمثلها لحركة الفعل المخبر به عنه، ففي قوله: (الخيل تسهل)، فإن الرابط، وهو الضمير المستتر يصل الفعل بالمبتدأ، فيصير بينهما علاقة اتصال لغوية، ويتلاحمان بطريقة تجعل المتلقي يستحضر مشهد الخيول، وهي تسهل، فيقوى المشهد الوصفي في ذهنه. وتضافرت مع هذا الأسلوب في الجمل الأربعة واو العطف التي تدلُّ على مطلق الجمع في المشاهد الأربعة التي يريد الشاعر إبرازها.

ومن أمثله أيضا ما قاله في وصف البركة الحسنة:

[البسيط]

كأنما الفضة البيضاء سائلةً من السبائك تجري في مجاريها  
(البحثري، د.ت، صفحة 2418)

يتابع البحثري وصف المياه التي تجري في البركة الحسنة، فيشبهها بسبائك فضة مذابة تسير في قنوات، وجاء بكلمة السبائك؛ لأنَّ سبائك الفضة عند تذويبها تكون صافية وخالية من أية شوائب، ثمَّ توسل لتحقيق المشهد الوصفي بجملة اسمية (الفضة تجري) فكلمة الفضة مبتدأ، وتجري فعل مضارع في محل رفع خبر المبتدأ، والضمير المستتر في الفعل عائد على الفضة، وهو أداة الربط التي تربطه بالمبتدأ، ولولا هذا الضمير لما صحت الجملة من الناحية التركيبية.

وإضافة إلى ذلك، فإنَّ هذا الضمير صرف الذهن إلى استحضار مشهد المياه، وهي تجري جريان فضة سائلة؛ ذلك لأنَّ الضمير ينبه إلى استحضار المشهد بتفاصيله كافة، فقد نقل لنا الشاعر مشهد حركة المياه في مجاري البركة الحسنة بصورة مستمرة.

وقوله في وصف الغيث:

[الكامل]

غَيْثٌ أَذَابَ الْبَرْقُ شَحْمَةً مُزْنِهِ      فَالرَّيْحُ تَنْظِمُ فِيهِ حَبَّ الْجَوْهَرِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 950)

ففي هذا البيت يصف الشاعر مظهرا من مظاهر الطبيعة يهدف من ورائه إلى إسقاط هذه الصفة على ممدوحه، أو مقارنته معه، فالمطر دال على العطاء والكرم، تمثل ذلك كله من خلال عرض مشهد من مشاهد الطبيعة، وتصويره تصويرا فنيا بتصوير حبات المطر وكأنها حبات جواهر يحركها الريح، فينظمها نظما، فجاءت كلمة (الريح) مبتدأ، وخبرها جملة فعلية (تنظم)، ويعود من الخبر ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على المبتدأ، ولولا هذا الضمير لما فهم الكلام، ولما فهمت العلاقة بين كلمة الريح الواقعة مبتدأ وبين الفعل تنظم الذي يشير إلى ترتيب حبات المطر، وكأنها لؤلؤ منظوم في عقد. ثم إن الضمير العائد من الفعل الدال على الحركة أشار إلى استمرار الريح في عملية النظم، وبهذا جعلنا الشاعر أمام مشهد حقيقي نتخيله بأذهاننا، وكأنه ماثل أمامنا.

وما قاله أيضا في وصف بركة المتوكل:

[البسيط]

أَمَّا رَأَتْ كَالِإِسْلَامِ يَكْلَاهَا      مِنْ أَنْ تُعَابَ وَيَأْتِي الْمَجْدِ يَبْنِيهَا  
(البحثري، د.ت، صفحة 2416)

يخاطب البحثري في هذا البيت دجلة، وهي كالغيري تنافس البركة في حسنها وجمالها، هادفا من ذلك إلى إبراز جمال البركة، ولعل الذي أضيف عليها هذا الجمال أن الذي بناها هو نفسه الذي حمى الدين الإسلامي، ولعلنا نلاحظ بذلك أيضا كيف يذهب الشاعر إلى إبراز صفاتها الجمالية من خلال التركيز

على دور الخليفة في ذلك، ف جاء في بداية البيت مخاطبا دجلة ومسائلا إياها؛ أي كيف لها أن تتافسها وفيها لمسات الخليفة الذي حرص أن تكون خالية من أي عيب، ثم جاء بجملة اسمية (وباني المجد يبينها) مكونة من مبتدأ وخبر جملة فعلية، وعاد من الجملة الفعلية ضميران الضمير الأول المستتر العائد على الخليفة الذي بناها وبنى المجد، والضمير الثاني، وهو الضمير المتصل الذي يعرب مفعولا به، وكان عائدا على البركة المذكورة في الأبيات السابقة، ولعل في هذين الضميرين تعظيما للخليفة، وتعظيما للبركة.

وإضافة إلى ذلك فإنّ الضمير أسهم في ربط المبتدأ بالخبر، فصارت الجملة سالحة من حيث التركيب مما شكل توجيهات للأشياء المشار إليها؛ لتمكين المتلقي من فهم النص، وبهذا نرى أنّ البحرّي يقول كيف لدجلة أن تتافس هذه البركة، والذي حمى الإسلام، وبنى مجده هو الذي بناها، ثمّ إنه جاء بالخبر جملة فعلية فعلها مضارع رغم أنّ عملية البناء متحققة؛ ذلك لأنه يهدف من ذلك إلى جعل الفعل يسهم في الرفع من شأنها من خلال الدلالة على استمرارية حركة الفعل، فاستعماله في هذا المقام كان مجازا؛ ذلك لأنّ بناء البركة متحقق والأصل فيه أن يأتي ماضيا لكنّه جاء هنا للدلالة على استمرار الحفاظ عليها.

#### ب. جملة الخبر الاسمية

ومن أمثله ما قاله البحرّي في وصف القصر الصبيح:

[الخفيف]

إِنَّ خَيْرَ الْقُصُورِ أَصْبَحَ مَوْهُوبًا      بَكْرَهُ الْعِدَى لِحَيْرِ الْأَنَامِ  
(البحرّي، د.ت، صفحة 2006)

فنحن نرى في هذا البيت كيف استطاع البحرّي أن يضيفي وصفا جميلا على القصر الصبيح، من خلال جعله موهوبا لخير الناس، فهذه الدلالة المعنوية للقصر تجعله يحلو بأعين الناس؛ فقد يظهر جمال

الشيء الموصوف من خلال عظمة الشخص الذي يملكه، فالشاعر توسل لتحقيق غرض الوصف بجملة اسمية مصدرية بإنّ واسمها (خير القصور)، وخبرها جملة اسمية (أصبح موهوبا) واسمها ضمير مستتر يعود إلى (خير القصور)، وقد شكّل هذا الضمير أداة ربط بين الخبر الواقع جملة اسمية، وبين اسم إنّ، ولولا هذا الضمير العائد على اسم إنّ لما صحت الجملة، وإضافة إلى ذلك، فإنّ الضمير المحال إلى السابق جاء بديلا عن إعادة الذكر، كما أنّه عمل على الرفع من شأنه مرة أخرى؛ لأنّ الضمير محذوفاً، أو مذكوراً يضيفي على الشيء العائد إليه نوعاً من الفخامة، وهذا ما يريد الشاعر إبرازه، فقد تضافر الضمير الدال على التفضيم مع كلمة خير؛ ليدل على القيمة العظيمة للقصر.

## 2. الأثر الدلالي للضمير في جملة النعت

أشرنا في المبحث السابق إلى أنّه إذا وقعت الجملة الخبرية بعد نكرة أعربت نعتاً بشرط أن يربطها ضمير يعود منها إلى المنعوت، ومن أمثلته في شعر الوصف، قوله في وصف لون الفرس:

[الكامل]

أَوْ أَدْهَمٍ صَافِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ      تَحْتَ الكَمِيِّ مُظَهَّرٌ بَيْرِنْدَجِ

(البحرّي، د.ت، صفحة 403)

يدعو الشاعر ممدوحه في هذا البيت إلى ملاقاته العدو بأدهم صافي السواد يظهر، وكأنّه تحت فارسه وجه ثوب مصنوع من الجلد الأسود. فالظاهر أنّ كلمة (أدهم) جاءت نكرة والأدهم هو الحصان الأسود، وهذه الكلمة وحدها كافية لإفادة السامع بلون الحصان لما تحمله الكلمة من دلالة، ولكنّ الشاعر يخصص هذا الأدهم، فيجعل له أوصافاً أخرى تخصصه؛ أي فليس أي أدهم يمكن أن يكون صالحاً، إنّما يكون سواده صافياً لا يخلطه أي شيء، فكلمة (صافي) جاءت نعتاً، والجملة الاسمية بعدها (كأنّه تحت الكمي مظهر بيرندج) جملة نعت، وهي أيضاً جاءت؛ لإفادة تخصيص الأدهم، وجاء الضمير المتصل، في

قوله: (كأنه) أداة ربط لإفادة التركيب النحوي، ولصرف ذهن المتلقي إلى الحصان من خلال الضمير الرابط الواقع في الجملة المخصصة لبيان صفة الأدهم.

ومن أمثله أيضا ما قاله في وصف الليل الذي لاقى فيه الذئب:

[الطويل]

وَلَيْلٌ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي أُخْرِيَاتِهِ حُشَاشَةٌ نَصَلِ ضَمِّ إِفْرِنْدَهُ غِمْدُ  
(البحثري، د.ت، صفحة 742)

ففي هذا البيت وجدتُ الشاعر يصف الليل الذي حدثت فيه مغامرته مع الذئب، فكان، ومع بزوغ فجره الجديد كأنه سيف لامع، فقد افتتح الشاعر بيته بواو رب التي تحتل إفادة التثكير، ويعرب ما بعدها مبتدأً مجرورا لفظا مرفوعا محلا، والجملة الاسمية المنسوخة بعدها واقعة صفة لكلمة (ليل) الواقعة نكرة؛ لتعمل على تخصيصها، ويلزم لكون الجملة الاسمية الواقعة خبرا أن يعود منها ضمير على المنعوت، وهذا أدى إلى ربط جملة النعت بالمنعوت، وجملة النعت أسهمت في تحقيق صفة الليل قبل الوصول إلى الخبر الواقع في الجملة بعده، ولولا وجود الضمير الواقع في كلمة أخرياته لألبس علينا الفهم؛ إذ شكّل الضمير حلقة وصل ربطت الكلام، فعملت على تخصيص الوقت الذي يريد الشاعر إبرازه من هذا الليل.

وما قاله في وصف قصور الفتح بن خاقان:

[الطويل]

رِبَاعٌ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ لَمْ تَزَلْ غَنَى لِعَدِيمٍ أَوْ فِكَأًا لِمَوْثِقِ  
(البحثري، د.ت، صفحة 1510)

فلا يكفي الشاعر هنا أن يقول: هي رباع من الفتح بن خاقان، إذ لا تتحقق الفائدة، فقد "يتم النعتُ الفائدةُ الأساسية بالاشتراك مع الخبر. مع أنَّ الأصل في الخبر أن يتم هذه الفائدة وحده، ولكنه في بعض الأحيان لا يتمها إلا بمساعدة لفظ آخر كالنعت" (حسن، دت، صفحة 444)، فالشاعر لا يريد إخبارنا أن هذه هي رباع الفتح بن خاقان، إنما أراد الشاعر أن يحقق لها وصفا معنويا، فجاءت جملة (لم تزل غنا) واقعة صفة، والضمير الذي يربطها بالمنعوت، هو الضمير المستتر (اسم لم تزل)، وهو الذي عمل على ربط جملة النعت بالمنعوت. ولولا هذا الضمير لأدّى ذلك إلى التكرار اللفظي الذي يصرف الذهن عن الوصف.

ومن ذلك أيضا ما قاله في التشبيه المقلوب عن كرم الفتح بن خاقان:

[الطويل]

يَحُلُّ بِهَا خِرْقٌ كَأَنَّ عَطَاءَهُ      تَلَاخُقُ سَيْلِ الدَيْمَةِ الْمُتَخَرِّقِ

(البحثري، دت، صفحة 1510)

يتلاقى غرضا الوصف والمدح، فيكتسب المكان صفات إيجابية من ساكنيه، فلعل الذي زاد جمال رباع الفتح ابن خاقان أن فيها رجلا عظيما كريما سخيا معطاء، يكاد عطاؤه يسبق المطر الغزير غير المنقطع، وهذا المشهد الجمالي للجملة الاسمية (كأنَّ عطاءه تلاحق) الواقعة صفة عن النكرة، وربطه الهاء ينبه على عظمة الفتح ابن خاقان وكرمه، فيكتسب المكان تلك الصفات الجمالية التي تتراءى إلى الأذهان، فتحلو صورتها من خلال الضمير المتصل المتعلق بكلمة (خرق).

ومنه أيضا ما قاله في وصف أسطول سفن المعركة التي خاضها أحمد بن دينار:

[الطويل]

يَسُوقُونَ أُسْطُولًا كَأَنَّ سَفِينَهُ      سَحَابٌ صَافٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُمْطِرٍ

(البحثري، دت، صفحة 980)

يتابع الشاعر وصف المعركة التي خاضها أحمد بن دينار، فيصف في هذا البيت الأسطول الذي قاده الجنود، فكانت سفنه على نوعين النوع الأول يشبه السحاب القوي الذي يحمل المطر، والنوع الثاني يشبه سحاب الصيف الذي لا يحمل مطرا، فالأول دالٌّ على قوة تلك السفن، أمَّا الثاني، فدالٌّ على سرعة السفن وخفتها في الحركة، فالأولى تخوض معركة شرسة في المكان الذي حطَّت فيه، والثانية تلاحق الأعداء بسرعة فائقة لخفتها، فالملاحظ أنه لولا الجملة الاسمية التي جاءت موضحة كلمة (أسطولا) لما اتضحت صفة هذا الأسطول، فجاءت الجملة لتوضحها، وعاد من هذه الجملة ضمير متصل في قوله: (سفينه)، وهو الذي بين أن هذه الجملة توضح كلمة أسطول، ثم إنه عمل على ربط الكلام وجعله متماسكا الأمر الذي أدى إلى تحقيق الفهم في المعنى الدلالي، وإضافة إلى ذلك فإن هذا الضمير رفع من شأن الأسطول؛ لأن من وظائف الضمير الرفع من شأن الشيء.

ويصف البحري موقف الفتح بن خاقان في حماية الخلافة:

[الخفيف]

وَسُيُوفًا إِيْمَاضُهَا أَوْجَالٌ لِلْأَعَادِي وَوَقَعُهَا آجَالٌ

(البحري، د.ت، صفحة 1318)

يصف الشاعر في هذا البيت موقف الفتح بن خاقان في حماية الخلافة، فهو يشهر عزماتِ وسيوفا، فكانت كلمة (سيوف) واقعة مفعولا به، وهي نكرة لزمها توضيح، فجاءت جملة (إيماضها أوجال) جملة اسمية توضيحية لكلمة سيوف وعاد منها ضمير (الهاء في قوله) (إيماضها) ولولا هذا الضمير لما اتضح المعنى الدلالي الناتج من علاقة الربط بين الجملة الاسمية التي جاءت لتبين صفة هذه السيوف. وإن كانت هذه السيوف توحى بشيء معنوي يتمثل بالقوة لحماية هذه الخلافة، إلا أنه يتراءى إلى أذهاننا سيوف حقيقية تلمع في على رؤوس الأعداء فتوقعهم بين قتيل وخائف.

### 3. الأثر الدلالي لربط جملة الحال

#### أ. الأثر الدلالي لربط جملة الحال بالضمير، والواو معا

ومن أمثله وصف البحترى الرقة البيضاء، وما جرى بينها وبين المطر من وفاء للدين:

[الكامل]

مَنَحْتَهُ وَهِيَ شَجِيَّةٌ بِبُكَائِهَا      وَوَفَى بِضَحِكِ المَوْثِقِ الجَذْلَانِ  
(البحترى، د.ت، صفحة 2379)

تعطي السماء الأرض منحةً لما تمطر عليها، فتأتي الأرض في موعدها الذي تنتزین به، فتردّ لها هذه المنحة ردا جميلا، فالشاعر بهذا التعبير استطاع أن يجسد لنا علاقة جميلة بينهما، فالسما حين تمطر، تظهر، وكأنها تبكي، وهذا البكاء يجعل الأرض تبتهج بجمالها عندما تتحرك فيها الغدران، وتتفجر عيونها، وتنبت النباتات الجميلة، فهذه المظاهر الجميلة التي تتحلّى بها الأرض كأنها تردّ على هذا البكاء بضحك إنسانٍ مقيد.

فجاءت الجملة الاسمية (وهي شجية ببكائها) تبيين حال السماء التي منحت الأرض مطرا جميلا بعد أن كانت حزينة على مشهدها الذي يسبق فصل الربيع. فالرابطان في جملة الحال لازمان؛ إذ بدون واو الحال لا تستقيم الجملة، فلا يصح قولنا: منحته هي شجية، وقد يتوهم أنها جملة مستقلة؛ ذلك لأنها جملة اسمية يمكنها أن تتوسط الكلام دون أن يكون لها علاقة مع ما يسبقها من كلام، ولكنها جاءت هنا لتظهر العلاقة بين الحال وصاحبه.

ومن الأمثلة على مجيء رابط الحال الضمير والواو معا، قوله في وصف الخيل لماً مدح أبا نهشل

محمد بن حميد الطوسي:

[الكامل]

بَطْلٌ يَخُوضُ الْخَيْلَ وَهِيَ شَوَائِلٌ خَلْفَ الْأَسِنَّةِ وَهُوَ غَيْرُ مُدَجِّجٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 402)

يلزم الشاعر في بعض الأحيان للوصول إلى ممدوحه أن يصف شيئاً متعلقاً به، فواضح من سياق هذه القصيدة أن غرضها المدح، وفي هذا البيت يحاول الشاعر إبراز بطولة الطوسي في خوض معاركه، فعرض مشهداً من مشاهد المعارك التي يخوضها من خلال إظهار مقدرته على سياسة الخيل، ومواجهتها وهي في قمة هياجها خلف الرماح دون أن يكون معه سلاح.

بين الشاعر حاله وحال الخيول التي يواجهها، فحال الخيول ظهر بقوله: (وهي شوائل خلف الأسنة)، والرابطان في هذه الجملة هما: (الضمير والواو) العائدان على صاحب الحال (الخيول)، وبين حاله هو أيضاً وقت خوض المعركة، بقوله: (وهو غير مدجج)، والرابطان في هذه الجملة أيضاً هما (الضمير والواو) العائدان على صاحب الحال (بطل)، فهذه الروابط عملت على إظهار العلاقة بين الحال وصاحبه، فجملة الحال في هذا البيت غاية مهمة لتحقيق غرض الوصف؛ إذ جُمِلُ الحال هي التي جعلته يكون خارقاً؛ لأنه ليس سهلاً على أي إنسان أن يواجه خيولاً هائجة خلف تلك الرماح دون أن يكون معه سلاح.

وقوله أيضاً في وصف دمشق:

[السريع]

وَكَيْفَ لَا تُؤَثِّرُهُمَا بِالْهَوَىٰ وَصَافِيهَا مِثْلُ شِتَاءِ الْعِرَاقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1515)

ففي هذا البيت يظهر أنّ البحرّي يفتتح البيت باستفهام استنكاري، فيتساءل كيف لك ألا تقابل دمشق بالاشتياق، لأنّ الصيف فيها يشبه شتاء العراق، فنلاحظ أنّ الشاعر بهذا يركز على إبراز مناخ دمشق بأجمل صورة له؛ إذ المكان الذي يتصف صيفه بالبرودة يكون صالحاً للتصنيف والاستجمام.

وقد جاءت الجملة الاسمية الواقعة حالاً؛ لتعلل ما ذهب إليه الشاعر في بداية البيت؛ إذ يتشوق الشاعر إليها، ثم جاء بجملة الجال؛ ليوضح سبب تشوقه له، وجملة الحال هي (وصيفها مثل شتاء العراق). ولعلّ الملاحظ في هذه الجملة أنّها عاد منها ضمير ربطها بسياق الحديث السابق إضافة إلى واو الحال، وهذان الرابطان هما اللذان جعلتا الكلام السابق يرتبط بالكلام اللاحق، وهما الأداتان اللتان عملتا على ربط هذه الجملة الموضحة.

#### ب. الأثر الدلالي لربط جملة الحال بالضمير

ومن ذلك قول البحرّي يصف لون الفرس:

[الكامل]

لَبِسَ الْقُتُوَّ مُزْعَفَرًا وَمُعْصَفَرًا      يَدْمِي فَرَا حَ كَأَنَّهُ فِي خَيْعَلٍ

(البحرّي، د.ت، صفحة 1747)

يشير البحرّي في هذا البيت إلى لون الحصان، فهو شديد الحمرة المائلة إلى صفرة الزعفران، وصفرة العصفور، وكأنّهُ بذلك يلبس قميصاً بلا كمين، وعبر عن ذلك بجملة حال (كأنّهُ في خيعل)، والرابط في جملة الحال، هو الضمير (هاء) الذي يعود على صاحب الحال، وهو الحصان، فجاءت جملة الحال؛ لتبين صورة الحصان، وكأنّهُ يلبس قميصاً بلا كمين، ولعلّ في الضمير الذي يربط الحال بصاحبه تشبيهاً إلى الصورة الجميلة التي يريد الشاعر أن يبرزها للحصان، ثم لوحظ أيضاً أنّ الضمير وحده يكفي ليشكل أداة ربط بين الحال وصاحبه؛ إذ تأتي الواو حتّى لا يتوهم أنّها جملة مستقلة، ولكن هنا لا يمكن

التوهم أنّ الجملة مستقلة؛ لأنّها جملة تشبيهية أدتها أداة التشبيه (كأن)؛ إذا واضح هنا أنّ المشبه به هو الحصان.

### ج. الأثر الدلالي للربط بواو الحال

وقال يصف الرقة البيضاء وما يحيط بها من مناظر جميلة من رياض ومياه وأبنية:

[الطويل]

كَأَنَّ الْقِيَابَ الْبَيْضَ وَالشَّمْسُ طَلْقَةً      تَضَاحِكُهَا أَنْصَافُ بَيْضٍ مُفَلَّقِ

(البحثري، د.ت، صفحة 1510)

يصف البحثري في هذا البيت القباب البيض التي تزين أسطح البيوت الموجودة في الرقة البيضاء، فيشبهها بأنصاف بيض مفلّق، وقد توسل إلى تحقيق هذا المشهد بجملة اسمية مصدرية بكأن التشبيهية، وتوسط بينها، وبين خبرها بجملة حالية (والشمس طلقة).

فجملة الحال جاءت؛ لتبين سبب تشبه القباب بأنصاف البيض المفلّق؛ إذ انعكاس الشمس على تلك القباب، وهي تضاحكها جعلها تشبه أنصاف بيض مفلّق، وواضح من ذلك أنّ صورة تلك القباب المائلة إلى الصفرة جاء بفعل انعكاس أشعة الشمس عليها، كذلك فإنّ جملة الحال تضاحكها وربطها الهاء التي تعود إلى (الشمس)، جاءت؛ لتضفي على الشمس نوعا من الأنسنة، فكأنّ الشاعر بذلك يذهب إلى أنسنة الشمس، وهي تضاحك تلك القباب.

ومن أمثله أيضا ما قاله في وصف الذئب، ووصف لقائه:

[الطويل]

فَأَوْجَرْتَهُ خَرْقَاءَ تَحْسِبُ رِيَشَهَا      عَلَى كَوَكَبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسْوَدٌ

(البحثري، د.ت، صفحة 744)

فهذا بيت يصف فيه الشاعر صراعا بينه وبين ذئب جائع وجه ضربة سهم قوية خارقة، ولشدة قوة هذا السهم تحسب أنّ ريش السهم ينقض على كوكب في ليل مظلم، فجاء بجملة الحال (والليل مسود)؛ ليشير إلى وقت الانقضااض.

فالشاعر يشير في هذا البيت إلى وقت المعركة، وهو وقت الليل؛ ليؤكد أنه ابن ليل لا يخشى تلك الوحوش، ويشير إلى يقظة الذئب في أوقات الليل واستعدادها للمواجهة. ومما يشير له أيضا أنّ سهمه انقض على هذا الذئب في وقت سواد الليل، وهو محقق العيون كانقضاضه على كوكب في وقت الظلام، فكأنه بذلك شبه يقظة الذئب، وتحديق عيونه في وقت الليل بكوكب يبرز في الليل. إضافة إلى ذلك فإنّ واو الحال جاءت؛ لأنّ سياق الكلام هو سياق وصف يهدف إلى إبراز الهيئة، وليس الإخبار، فلو سقطت من الكلام لالتبس على المتلقي معنى هذه الجملة، ولما استقام الكلام أصلا.

ثانيا: الأثر الدلالي للربط بالأدوات في شعر الوصف:

أ. الأثر الدلالي للربط بحروف العطف

الواو، وأثرها الدلالي

لم يرد من حروف العطف في شعر الوصف عند البحرّي إلّا الواو، ومن أمثلة ذلك ودلالاته، قول البحرّي، في وصف منازل الفتح بن خاقان للأسد:

[الطويل]

حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ إِنْتَنِي      وَلَا يَدُكَ إِرْتَدَّتْ وَلَا حَادُهُ نَبَا

(البحرّي، د.ت، صفحة 201)

يصور الشاعر في هذا البيت شجاعة الفتح بن خاقان في لقاء الأسد، ثم منزلته، فيلزم لتحقيق غرض الوصف أنّ يظهر الشاعر المشهد بتفاصيله كافة لتقويته، فجاء في هذا البيت بواو العطف في موضعين،

و(لا يدك ارتدت)، و(لا حده نبا)، وهاتان جملتان اسميتان منفيتان ومعطوفتان على قوله: (لا عزمك انتى) لاشتراكهما في حكم النفي الذي يهدف إلى إبراز قوته وشجاعته، وإبراز متانة سيفه.

لذا بين الشاعر مظاهر مختلفة يمكنها أن تؤكد قدرته في المواجهة؛ لتبرز في النهاية صورة متكاملة تجسد شجاعته، وتمكنه من الأسد. فالواو في هذا المشهد لا تعني أن موقفا سبق موقفا آخر، إنما يأتي كل واحد من هذه المواقف في الوقت نفسه؛ لأن الواو قد تدل على الترتيب، وقد تأتي لإفادة الحدوث، يقول سيبويه: "وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شيء" (سيبويه، 1988، صفحة 438) إلبا إذا كان هناك قرينة تدل على تقدم أحدهما، وفي هذا البيت لا توجد قرينة تدل على ذلك؛ إنما جاءت هذه المواقف جميعها؛ لتشكل اتحادا فيما بينها تظهر من خلالها قوته وتمكنه وشجاعته، ومتانة سيفه.

ومثاله أيضا قول البحري يصف فرسا:

[الكامل]

تُوهِمُ الْجَوَازُ فِي أَرْسَاعِهِ      وَالْبَدْرُ غُرَّةٌ وَجْهَهُ الْمُتَهَلِّلُ  
(البحري، د.ت، صفحة 1747)

لقد أبدع البحري في وصف حصان؛ إذ يرى أن من ينظر إليه يتوهم أن الجوزاء في أرساعه، وأن البدر مائل في وجهه لشدة جماله، ولعل الملاحظ أنه جاء بالواو العاطفة؛ لإبراز الصفتين الجميلتين في هذا الحصان، ولتحقيق غرض الوصف يقول قدامة: "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاهها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته" (ابن جعفر، 1302، صفحة 41)، فخلاصة ما يهدف إليه البحري في هذا البيت هو إبراز جمال ذلك الحصان، فجاء بمعانٍ مختلفة وجمعها جمعا بواو العطف.

وقال يصف ما قام به أحمد بن عبد العزيز بن الشلمغان في عديد سجستان:

[الخفيف]

فِرْقَةٌ لِلسُّيُوفِ يَنْفُذُ فِيهَا أَلْ حُكْمُ قَصْدًا وَفِرْقَةٌ لِلْقِيُودِ

(البحثري، د.ت، صفحة 809)

يُقَسِّمُ الشاعرُ عديدَ سجستان وما فعله أحمد بن عبد العزيز بن الشلمغان بهم، إذ جعلهم فرقتين: فرقة منهم قتلت أثناء خوض المعركة، والفرقة الثانية وقعت في الأسر، فجاءت الواو العاطفة؛ لتعطف الجملة (فرقة للقيود) على (فرقة للسيوف)؛ لأنهما اشتركتا في المصير نفسه في المعركة، فالفرقة الأولى نفذ فيها حكم السيف قصدا، والثانية تعرضت للأسر قصدا أيضا. فقد عملت الواو العاطفة على جمع المشهدين اللذين يوضحان مصير عديد سجستان، وعبرت أيضا عن تمكن ابن الشلمغان في المعركة.

وقال يصف الغيث:

[الرجز]

وَرَنَّةٌ مِثْلُ زَيْبِرِ الأَسَدِ وَكَمْعٌ بَرَقَ كَسُيُوفِ الهِنْدِ

(البحثري، د.ت، صفحة 567)

ففي هذا البيت يصف الشاعر سحابة كانت قد صدقت بما وعدت؛ جاء ذلك بتشبيه الفعلين الحقيقيين اللذين تشهدهما من الغيمة وقت نزول المطر، فصوت الرعد يشبه بقوته زئير الأسد، والبرق فيها يشبه لمعان سيوف الهند وقت المقارعة، فجاء في هذا البيت بجمليتين اسميتين معطوفتين على ما قبلهما، وفائدة العطف فيهما هو إبراز مشهد المطر؛ لنشهد بذلك عملية كاملة للمطر من نسيم عليل له، وصوت رعد يشبه صوت الأسد، وبرق يشبه لمعان السيوف، وكأننا بذلك نشهد عملية حقيقية لنزول المطر؛ إذ "أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع" (القيرواني، 1981، صفحة 294).

## ب. الأثر الدلالي للربط بالفاء الواقعة في جواب الشرط

تأتي فاء الشرط لبيان السبب (السامرائي ، 2000، صفحة 106)، وخصت بذلك؛ لأنها تتضمن معنى السببية والجزاء (ابن الوقاد، د.ت، صفحة 404). ولا تكون هذه من مهمات الفاء فقط، وإنما تأتي لإيضاح المعنى، وتعيين الجزاء، وقد يؤدي حذفها إلى عدم اكتمال المعنى (السامرائي ، 2000، صفحة 106)؛ ومن أمثلتها في شعر الوصف، قول البحثري في وصف سيف:

[الكامل]

وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ      وَإِذَا أُصِيبَ فَمَالَهُ مِنْ مَقْتَلٍ

(البحثري، د.ت، صفحة 1752)

يبين الشاعر في هذا البيت قوة ضربة سيف، فإذا أصاب، فكلُّ شيء بفعل هذا الضربة هالك، أمَّا إذا أُصيب، فإنه لا يهلك، فالفاء الواقعة في جواب الشرط تبين السبب، "فجاء بها في الشرط للدلالة" (السامرائي ، 2000، صفحة 106)؛ على أنها تفيد الجزاء، وتربطه بالسبب، ولو حذفت من الكلام لالتبس، وأشكل على المتلقي فهم المعنى، ولم يظهر المقصود الحقيقي هنا أنَّ إصابته هي التي تجعل كل شيء مقتولاً، فقد استطاع الشاعر من خلال هذه الجملة الاسمية المصدرية بالفاء الواقعة في جواب الشرط أن يجعل الكلام مترابطاً، وأن يصدر مشهداً جميلاً لصورة السيف، فأصابته لهدفه تعني كل شيء، أمَّا إصابته هو فلا تعني له شيئاً، وبهذا يتضح مشهد قوته في الهجوم، وفي الدفاع.

وقال يصف دمشق لما قدم إليها المتوكل:

[البسيط]

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مَحَاسِنَهَا      وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطْرِيهَا بِمَا وَعَدَا

(البحثري، د.ت، صفحة 710)

وصف البحترى في هذا البيت دمشق ساعة قدوم المتوكل إليها؛ إذ كان قدومه سببا في أن عمّت فضائله دمشق كلّها، فتزينت أرضها، وابتهجت بهذا القدم الجميل، فلا ترى فيها إلّا الخضرة والورود والأزهار، فكأنّها عروس تجهز نفسها لعريسها في ليلة زفافها، فجاءت الجملة الاسمية مصدرية بحرف (أمّا) الذي يفيد التفصيل والتوكيد، ويعرب الاسم الواقع بعدها، وهو (دمشق) مبتدأ مرفوعا، والجملة الفعلية في محل رفع خبر. وجاء حرف الفاء في جملة الخبر؛ ليكون أداة ربط بين المبتدأ وخبره إضافة إلى الضمير المستتر الواقع في جملة الخبر، والذي يربطها بالمبتدأ، في قوله (أبدت)، ثمّ إنّ حرف الفاء ربط فعل الإظهار بالسبب الذي جعلها تظهر محاسنها، وهو هنا متعلق بقدوم المتوكل.

وقوله أيضا في وصف الرقة البيضاء:

[الكامل]

فَإِذَا الْعُيُونُ تَأَمَّنَتْ أَشْخَاصُهَا      فَكَأَنَّهِنَّ إِلَى الْعُيُونِ رَوَانِ  
(البحترى، د.ت، صفحة 2378)

يرى البحترى أنّ عيون الماء الواقعة في الرقة البيضاء حال امتلائها، فإنّها تصبح شبيهة بعيون شخص ينظر إلى عيون كل من يرمقه بعينه، أو ينظر إليها، فامتلاء تلك العيون وجريان قنواتها المتصلة بها هما الدافع إلى الاعتقاد بأنّها عيون محدقة بعيون الناظر إليها، فجزاء امتلائها بفعل مياه الأمطار، هو الداعي إلى هذا الظن، فجاءت الفاء الواقعة في جواب الشرط لتربطه بالسبب. فلو أسقطت من الكلام لأشكل على المتلقي الفهم؛ لأنّ الكلام الواقع بعدها يصبح كلاما مستقلا، ولا يربطها معه أيّ علاقة.

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وخير البشر أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تناولت هذه الدراسةُ الجملةَ الاسمية في شعر الوصف عند البحثري دراسة نحوية دلالية؛ إذ وقفت فيها على الجملة الاسمية المطلقة، أنماطها ودلالاتها، وعلى الجملة الاسمية المقيدة أنماطها ودلالاتها، وتناولت فيها أيضا روابط الجملة الاسمية اللفظية في شعر الوصف أثرها ودلالاتها، وبتوفيق من الله تمَّ هذا العمل، فأرجو الله أن يتقبله، وأن يجعله علماً نافعا. وفي ختام هذه الدراسة، فلا بدَّ من عرض أهمِّ النتائج التي توصلتُ إليها:

1. نوع الشاعر من أنماط الجملة الاسمية؛ لتناسب طبيعة الوصف؛ وذلك بناء على ما يقتضيه السياق، فقد اعتمد الجملة الاسمية في شعر الوصف للمناسبة بين دلالة الجملة الاسمية، وما يتضمنه شعر الوصف من ثبات، أما إذا أراد التدليل على الحركة والاستمرار، فإنه يأتي بالخبر جملة فعلية؛ فالجملة الاسمية عند البحثري خاضعة لمناسبات القول، وهذا ما تشترطه اللغة العربية على جملها؛ لأنه لا يتم التفاهم فيها إلَّا إذا روعي في تركيبها مناسبتها لسياق الحال.
2. أسهمت الوصلات النحوية المختلفة التي تركيبت منها الجمل الاسمية في شعر الوصف بتحديد الغايات الدلالية، فكلُّ تركيب لغوي كان يعمد الشاعر إلى اختياره كان مناسباً لطبيعة الغرض الوصفي.
3. تنتع الرقعة الدلالية من خلال التأثير بمظاهر الحياة، فيستخدم الشاعر أساليب معينة؛ لإظهار هذه المظاهر، وبتنوع مشاهد الوصف تتعدد الأساليب اللغوية، فكانت الأساليب اللغوية عند البحثري متعددة؛ لأنَّ لديه ثراء في المادة الموصوفة، فقد وصف الطبيعة، والقصور، والحيوانات، والمعارك، والسيوف، ومواكب الخلفاء.
4. أكثرَ الشاعر من استخدام كأنّ؛ لأنَّ طبيعة شعر الوصف تقتضي أن يكثر الشاعر من استخدامها؛ لتحقيق التشبيه تقوية لغرض الوصف. فأكثر النواسخ الحرفية حضورا في شعر الوصف هي كأنّ

التشبيهية، تليها إنَّ وإنّ، وهما حرفان يأتیان؛ لإفادة نفي الشك عن الشيء الموصوف وتأكيدہ؛ لتقوية حضوره في الأذهان.

5. استخدم الشاعر كان الناقصة؛ لإحداث مقارنة بين حالين للشيء الموصوف، فقد تأتي (كان) لإظهار صورة الموصوف في ماضيه، ثمَّ يأتي ما يقابلها بصورة أخرى تظهر عكس الحال الذي كان عليه الموصوف.

6. أفاد الفصل بالجملة المعترضة بين اسم كأن وخبرها إثارة وتشويقا.

7. تفيد كأن التشبيه إذا جاء خبرها جامدا، أمّا إذا جاء خبرها مشتقا، فإنها تفيد الشك، وإذا جاء خبرها فعلا، أو جارا ومجرورا، فإنها تفيد الظنّ.

8. أكثر أنواع الخبر ورودا هو الخبر شبه الجملة، ويليه الخبر المفرد، يلي هذين النوعين الخبر الجملة الفعلية التي فعلها مضارع، أما الخبر جملة اسمية، فكان قليل الحضور.

9. تأتي الواو العاطفة في شعر الوصف؛ لإبراز الصورة الموصوفة في أبهى صورة لها من خلال توظيف المشاهد جميعها في غرض الوصف.

10. وصف الأشياء ترجمة دقيقة لصورتها الحقيقية، ولا بدّ للشاعر أن يمتلك خيالا واسعا يمكنه من استنتاج هذه الصورة، وجعلها مشاهد حية وصورا نابضة بالحركة.

11. قد تتجاوز (أنّ) دلالاتها الأصلية في التوكيد لتحقيق معاني دلالية أخرى يحددها السياق الواردة فيها كأن تأتي للتعليل والربط.

12. تأتي (كأن) لتحقيق غاية دلالية في الشعر الوصفي لم يستطع التشبيه الأصلي بالكاف أن يحققها في سياق التشبيه الوارد في شعر الوصف عند البحري.

## المراجع العلمية

### القرآن الكريم

الأزهري، خالد بن عبد الله (2000). شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح

في النحو. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأشموني، علي بن محمد (1998). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ط1، لبنان: دار الكتب العلمية.

الأصفهاني، أبو الفرج (1993). الأغاني. تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الأمدي، أبو القاسم (بلا تاريخ). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق: أحمد صقر، ط4، دار

المعارف.

الأنباري، أبو البركات (2015). أسرار العربية. الكويت.

الأندلسي، أبو حيان (1998). ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب محمد، ط1، القاهرة:

مكتبة الخانجي.

الأنصاري، ابن هشام (1986). تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد. تحقيق: عباس الصالحي، ط1، دار

الكتاب العربي.

الأنصاري، ابن هشام (بلا تاريخ). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ط1.

أنيس، إبراهيم (1966). من أسرار اللغة. ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن أيوب، أبو الفداء (2000). الكناش في فني النحو والصرف. تحقيق: رياض بن حسن الخوام، لبنان:

المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

البحثري (بلا تاريخ). *الديوان*. تحقيق: حسن الصيرفي، ط3، مصر: دار المعارف.

البدارين، مؤمن (1999). *بناء الجملة العربية في شعر السلميين: الخفاف بن ندية، والخنساء بنت عمرو*

*والعباس بن مرداس*. دراسة لغوية تحليلية. رسالة ماجستير، جامعة آل البيت.

بركات، ابراهيم (بلا تاريخ). *النحو العربي*. ط1.

بروكلمان، كارل. (بلا تاريخ). *تاريخ الأدب العربي*. ترجمة: عبد الحليم الصفي، ط5، دار المعارف.

البهنساوي، حسام (1423هـ). *أنظمة الربط في العربية: دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة*

*والنظرية التوليدية التحويلية*. ط1، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

جبر، محمد عبد الله (1983). *الضمان في اللغة العربية*. ط1، دار المعارف.

الجرجاني، عبد القاهر (بلا تاريخ). *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود شاكر، ط3، القاهرة: مطبعة

المدني.

ابن جعفر، قدامة (1302). *نقد الشعر*. ط1، قسنطينية: مطبعة الجوائب.

جمال الدين، محمد بن عبد الله (بلا تاريخ). *ألفية ابن مالك*. دار التعاون.

ابن جني، أبو الفتح (بلا تاريخ). *الخصائص*. ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن جني، أبو الفتح (بلا تاريخ). *اللمع في العربية*. تحقيق: فائز فارس، بيروت: دار الكتب الثقافية.

ابن الحاجب، جمال الدين (2010). *الكافية في علم النحو*. تحقيق: صالح عبد العظيم، ط1، القاهرة:

مكتبة الآداب.

حسان، تمام (1994). *اللغة العربية معناها ومبناها*. المغرب: دار الثقافة.

حسن، عباس (بلا تاريخ). النحو الوافي. ط15، دار المعارف.

حماسة، محمد (2003). بناء الجملة العربية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

حمدان، محمود (1992). أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم. ط1، مصر: مطبعة الأمانة.

حميدة، مصطفى (1997). نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

الحنبلي، شمس الدين (2018). شرح الفارضي على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد مصطفى الخطيب، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن الخشاب، أبو محمد (1972). المترجل في شرح الجمل. تحقيق: علي حيدر، دمشق.

ابن خلكان، شمس الدين (1900). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

الدينوري، ابن قتيبة (بلا تاريخ). الشعر والشعراء. القاهرة: دار الحديث.

الدينوري، ابن قتيبة (بلا تاريخ). تأويل مشكل القرآن. تحقيق ابراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

ديوان ابن الحطيم (1967). تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت: دار صادر.

الذهبي، شمس الدين (1985). سير أعلام النبلاء. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة.

ابن رشيق (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. تحرير محمد محيي الدين، ط 5، دار الجيل.

الزركشي، بدر الدين (1975). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار

إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

الزركلي، خير الدين (2002). *الأعلام*. ط15، دار العلم للملايين.

الزمخشري، أبو القاسم (1993). *المفصل في صنعة الإعراب*. تحقيق: علي بو ملح، ط1، بيروت:

مكتبة الهلال.

الزمخشري، أبو القاسم (1998). *أساس البلاغة*، تحرير محمد السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

السامرائي، فاضل (2000). *الجملة العربية والمعنى*. ط1، دار ابن حزم.

السامرائي، فاضل (2000). *معاني النحو*. ط1، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن السراج، أبو بكر (بلا تاريخ). *الأصول في النحو*. تحقيق: عبد الحسين الفتلي، لبنان: مؤسسة

الرسالة.

سبويه (1988). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي.

السيوطي، جلال الدين (بلا تاريخ). *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي،

المكتبة التوقيفية، مصر.

الشكعة، مصطفى (1986). *الشعر والشعراء في العصر العباسي*. ط1، دار العلم للملايين.

أبو صالح، عبد القدوس (1982). *ديوان نبي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية الثعلب*. ط1، جدة:

مؤسسة الإيمان.

الصبان، محمد بن علي (1997). *حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك*. ط1، لبنان: دار الكتب العلمية.

الصعيدي، عبد المتعال (2005). *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*. ط17، مكتبة الآداب.

الصفدي، صلاح الدين (2000). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط27، بيروت: دار إحياء التراث.

ابن عاشور، محمد الطاهر (1984). *التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.

عبد الغني، رشاد (2008). *نظام الجملة الاسمية في شعر عبد الله البردوني دراسة نحوية دلالية*. قسنطينة: جامعة منتوري.

عثمان، ناصر باتع محمد (2006). *بناء الجملة الخبرية في شعر البحتري (دراسة وصفية توليدية تحليلية)*. الزقازيق: جامعة الزقازيق، فرع بنها، كلية الآداب، رسالة دكتوراة.

عفيفي، احمد (1996). *ظاهرة التخفيف في النحو العربي*. ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

العقل، عبد الله بن سلمان (1974). *البحثري وشعره في الوصف*. مصر: جامعة الأزهر، رسالة ماجستير.

ابن عقيل، عبد الله ابن عبد الرحمن (1980). *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. تحقيق: محمد محيي الدين، ط20، القاهرة: دار التراث.

العكبري، أبو البقاء (1995). *الليباب في علل البناء والإعراب*. تحقيق: عبد الإله النبهان، ط1.

العلوي، يحيى (1423). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. ط1، بيروت: المكتبة  
العنصرية.

الغلاييني، مصطفى (بلا تاريخ). جامع الدروس العربية. ط2.

ابن فارس، أحمد (1979). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل (بلا تاريخ). معجم العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم  
السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

قباوة، فخر الدين (1989). إعراب الجمل، وأشباه الجمل. ط15، حلب: دار القلم العربي.

القزويني، محمد (بلا تاريخ). الايضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3،  
بيروت: دار الجيل.

القيرواني، ابن رشيقي (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد محيي الدين، ط5، دار  
الجيل.

ابن قيم الجوزية، برهان الدين (1954). ارشاد السالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد السهلي، ط1،  
الرياض: أضواء السلف.

كحالة، عمر (بلا تاريخ). معجم المؤلفين. بيروت: مكتبة المثني.

ابن مالك، جمال الدين (1967). تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. تحقيق: محمد كامل بركات، دار  
الكتاب العربي للطباعة والنشر.

المبرد، محمد بن يزيد (بلا تاريخ). المقتضب. تحقيق: محمد عزيمة بيروت: عالم الكتب.

محمد، أشرف السيد محمد (2008). نظام الارتباط والربط في شعر البحتري. مصر: رسالة دكتوراة،  
جامعة الزقازيق.

المخزومي، مهدي (1986). في النحو العربي نقد وتوجيه. ط2، لبنان: دار الرائد العربي.

مرات، خديجة (2014). النواسخ" كان وأخواتها" بين النحو العربي والنحو الوظيفي سورتا البقرة  
والنساء أنموذجاً. الجزائر: رسالة ماجستير، جامعة صطيف.

المرادي، بدر الدين (1992). الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق محمد فاضل فخر الدين قباوة،  
ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

المصري، حمدي (1998). الأفعال الناسخة. ط1، أخبار سوهاج.

ابن المعتز، عبد الله (بلا تاريخ). طبقات الشعراء. ط3، القاهرة: دار المعارف.

أبو المكارم، علي (2007). الجملة الاسمية. ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم (2003). لسان العرب. بيروت، لبنان.

مهيوبي، الشريف عمر (2009). روابط الجملة عند النحويين القدماء. مجلة كلية الدراسات العربية  
والإسلامية، دبي، 38.

ناظر الجيش، محمد بن يوسف (بلا تاريخ). شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل  
الفوائد». ط1.

النجار، محمد عبد العزيز (2001). ضياء السالك إلى أوضح المسالك. ط1، مؤسسة الرسالة.

النشرتي، حمزة (1985). الرابط وأثره في التراكيب العربية. مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة  
17.

الهاشمي، أحمد (بلا تاريخ). القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك وخلاصة  
الشرح لابن هشام، وابن عقيل والأشموني. لبنان: دار الفكر.

ابن هشام، جمال الدين (1985). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: مازن المبارك ومحمد حمد  
الله، ط6، دمشق: دار الفكر.

ابن هشام، جمال الدين (بلا تاريخ). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق: يوسف البقاعي، دار  
الفكر للطباعة والنشر التوزي.

ابن هشام، جمال الدين (بلا تاريخ). متن قطر الندى وبل الصدى. ط1، دار العصيمي للنشر والتوزيع.

ابن الوقاد، خالد بن عبد الله (بلا تاريخ). شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح  
في النحو. ط1.

ابن يعيش (2001). شرح المفصل للزمخشري. تحقيق: إميل يعقوب، ط1، لبنان: دار الكتب العملية.

يوسف، علي (2007). النواسخ الفعلية في القوائد العشر. جامعة أم درمان الإسلامية، رسالة دكتوراه.

يول، براون (1997). تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفي، ومنير التريكي، ط1، جامعة الملك سعود.

## الملاحق

### ملحق (أ)

#### شهادة قبول نشر البحث المستل من الاطروحة



مركز الدراسات والبحوث  
REFAAD  
For Studies & Research

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية  
Int. Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies  
ISSN 2663-5860 (Online)  
ISSN 2663-5852 (Print)



الموضوع: خطاب رقم: 37/ع/2024

التاريخ: 2024/2/14

#### قبول نشر

بالإشارة إلى البحث المقدم من:

سعادة الأستاذ مازن أحمد محمد حامد/ جامعة النجاح الوطنية- فلسطين

سعادة الأستاذ الدكتور أحمد حسن حامد/ جامعة النجاح الوطنية- فلسطين

والمعنون بـ:

الروابط اللفظية في الجملة الاسمية، وأثرها في توجيه مسارات الدلالة في شعر

الوصف عند البحري

يسرنا إبلاغ سعادتكم بأن هيئة تحرير (المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية)، وبعد تحكيم البحث حسب الأصول العلمية والاطلاع على قرار لجنة التحكيم، فقد أصدرت قرارها بإجازة البحث للنشر في المجلة، وسيتم نشره - بإذن الله تعالى- في (المجلد السادس، العدد الأول- 2024).

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام والتقدير

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

رئيس التحرير

الدكتور مصطفى طاهر الحياصرة





**AN-Najah National University**  
**Faculty of Graduated Studies**

**THE NOMINAL SENTENCE IN  
AL-BUHTURI'S POETRY OF DESCRIPTION:  
A GRAMMATICAL AND SEMANTIC STUDY**

**By**  
**Mazen Ahmad Hamed**

**Supervisor**  
**Prof. Ahmad Hamed**

**This Dissertation is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Ph.D in Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.**

2024  
**THE NOMINAL SENTENCE IN AL-BUHTURI'S POETRY OF  
DESCRIPTION: A GRAMMATICAL AND SEMANTIC STUDY**

By  
**Mazen Ahmad Hamed**  
**Supervisor**  
**Prof. Ahmad Hamed**

**Abstract**

This study aimed at clarifying the structure of the nominal sentence in Al-Buhturi's descriptive poetry by fostering the standard rules formulated by the early grammarians with examples that agree with these standards from Al-Buhturi's descriptive poetry to understand the reality of his poetic text and to what extent it conformed to the rules formulated by grammarians. It also revealed the semantic aspect played by the nominal sentence in his descriptive poetry. Since the linguistic structure in the nominal sentence, and the changes related to it such as deletion, introduction, delay, and the advancement of abrogates to it, contribute to directing connotations, expanding meanings, and achieving understanding and comprehension.

In addition to what was mentioned above, the study included an introduction in which I presented the importance of the thesis, the problem, the plan and the approach I followed to accomplish this study, then an introductory chapter in which an overview of Al-Buhturi's life, his poetry, his collections and their importance are presented. The presentation deals with the nominal sentence, its meaning and its determinants. In the three following chapters I explained in the first the effect of the absolute nominal sentence in highlighting the semantic and aesthetic aspect in descriptive poetry; while the second chapter focuses on the restricted nominal sentence and the effect of actual and literal restrictions in achieving a new semantic path that cannot be achieved except with this restriction, the third chapter shows the importance of verbal connections in the nominal sentence in directing the paths of meaning and its impact on achieving understanding and comprehension. Then the conclusion of the study which presents the most important results that I have reached.

**Keywords:** Al-Buhtari, description, nominal sentence, grammar, connotation, absolute, restricted, verbal links.